

مسبب

الامم في العيشة



الامم

أيام في الفياتنام

تأليف حسيب حنا نمر

(أمين سر رابطة الحقوقيين الديموقراطيين العالمية)

الناشر: منشورات دار إلى الإمام -1966

صندوق بريد 2779

الطبعة الأولى: 66-12-2500

البلد: بيروت - لبنان

الوصف المادي: 270 صفحة.

وهذه الطبعة الثانية للعام 2022

تعليق وتحقيق وطباعة الالكترونية بقلم خالد غنام – استراليا.



مراجعة: أكاديمية فتح الفكرية، أكاديمية الشهيد عثمان أبوغربية

فلسطين في 2022م

الفهرس

5	ذكرياتي مع الكتاب بقلم خالد غنام
11	بيان الحقوقيين الديمقراطيين بلبنان
14	بين إيرفورت وهانوي
15	الوصول إلى هانوي
16	زيارة المنطقة الرابعة
18	رابية "دوي تونغ"
30	في قرية "دونغ في"
32	في قرية "نام نغام"
35	جسر "هام رون"
37	في مدينة "تان هوا"
40	مغادرة "تان هوا"
42	مقبرة الطائرات
44	الكولونيل لو يتحدث عن مراحل الحرب الفيتنامية العادلة وعن فشل الخطط الأميركية
53	لقاء مع ممثلي أبناء الجنوب
55	مع رجال الدين
59	ما وراء اقتراحات السلم الأميركية
62	لقاؤنا مع الطيارين الأميركيين
65	لقاء مع وزير الصحة
71	لقاء مع وزير التربية الوطنية
74	لقاء مع ممثلي الثقافة وأساتذة الجامعات والعلماء
81	زيارة متحف الثورة في هانوي
83	المسرح الوطني في هانوي
85	لقاء مع ممثلي جبهة الشعب الوطنية
88	زيارة إحدى التعاونيات
92	معمل الميكانيك: "كران هونغ داو"
97	معمل 8 آذار للنسيج
99	لقاء مع العسكريين المكلفين بالأسرى الأميركيين
100	زيارة النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء

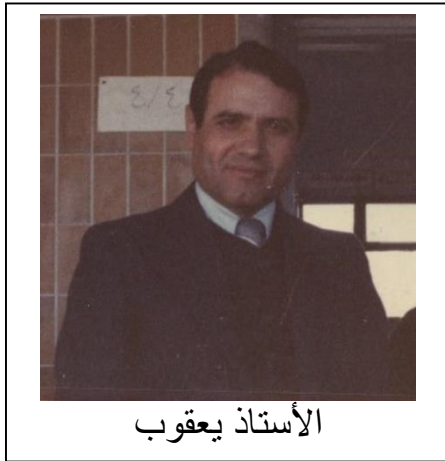
102	المؤتمر الصحفي
103	حفلة نادي الحزب الاشتراكي
104	جولة في أسواق هانوي
105	حفلة توقيع البيان المشترك
106	مغادرة هانوي
106	البيان المشترك
109	نداء إلى حقوقي العالم
109	من نداء إلى منظمة الوحدة الافريقية
110	بعض فقرات من اتفاقيات جنيف
111	تصريح "بيدل سميث" ممثل الولايات المتحدة
111	تحية إلى الفيتنام
116	سيرة الشاعر: حنا نمر

ذكرياتي مع الكتاب بقلم خالد غنام

قمت بزيارة والدتي بالأردن في صيف 2021 بحثت في مكتبتي القديمة عن ذكريات الصبا وعندما سقطت عيني على الكتاب تذكرت قصيدة شعرية كانت أول ما ألقيتها في الإذاعة المدرسية وذلك بمدرسة اليرموك المتوسطة في دولة الكويت الحبيبة يوم 21 مارس 1983 بمناسبة ذكرى معركة الكرامة كان عمري 12 عاماً. قصيدة ثورة السلام للمحامي الشاعر الأممي حنا نمر التي يقول فيها مطلعها:

قصيدة ثورة السلام

في سبيل السلام ثرنا جميعاً	ننشرُ الحبَّ والجمالَ البديعاً
والإخاءَ الذي تمنَّته منذ الـ	كون هذي الشعوبُ تُحيي الربوعاً
والحياةَ الملأى بأحلى الأمانى	والغدَّ الحرَّ والنظامَ المنيعاً
نتحدَّى اللصوص في ملجأ الإثـ	ح، أراقوا دماءنا والدموعاً
ثورة السلم والحياة فدينا	ها، وخضنا الغمارَ نأبى الرجوعاً



الأستاذ يعقوب

وذلك بطلب من المعلم الفاضل أستاذ يعقوب معلم مادة الاجتماعيات والناشط الفلسطيني الذي تعلمت منه أجمل فنون الثورة، فن الحرب الشعبية بما تحمله من حياة مليئة بالعزيمة الثورية، فقد كان يقول لنا أن الثورة هي اختيار الإجباري للشعوب المظلومة، ومهما تخيلت أنك المتميز عن غيرك، فالحقيقة أن المعاناة مهما كانت فهي مؤلمة، والمقاومة مهما كان شكلها فهي الطريق للنصر ورفع الظلم. أستاذ يعقوب رمز للفرح والغضب، كان يمتلك موهبة مرحة في شرح مادة جامدة مثل التاريخ والجغرافيا والعلوم الاجتماعية، وكان يحمل عصي طويلة لم أره يضرب فيها أحد التلاميذ، بل أنه عندما يسأل أحد التلاميذ سؤالاً ويخطأ بالإجابة، كان يرقص الدبكة ويلوح بعصاه وهو يندب حظه قائلاً: يا خسارة تعبي معكم أنا أشرح لتفهم الكراسي أما أنتم حتى الدبكة لا تعرفونها.

لم يكن سهلاً أن أنجح في اختبارات اللجنة الثقافية بالمدرسة التي يشرف عليها الأستاذ يعقوب وبعضوية الأساتذة يونس الفار وزهير غنام. واللجنة مسؤولة عن الإذاعة المدرسية ومجلة الحائط والتحضير للمهرجانات الخطابية والفنية بالمدرسة. ومنها تعلمت الكتابة الفنية وتمرن على الخطابة والدعاية الثقافية وغيرها من الأنشطة، وسلامي إلى أروع شخصية افتقدها الأستاذ يعقوب وللأسف أنني نسيت اسم عائلته وهذا حقاً مؤسف.

في نهاية فبراير 1983 أعطاني الأستاذ يعقوب كتاب أيام في الفياتنام وقال لي أريد منك أن تحضر كلمة خطابية عن التجربة الفيتنامية لتلقيها في ذكرى معركة الكرامة 21 مارس. فسألته ما علاقة الفيتنام بفلسطين؟ ولماذا قرأ هذا الكتاب ذو الأوراق الصفراء المتعفنة (تخلوا

حالة الكتاب الآن 2022م) المكتوب في عام 1965 أي قبل معركة الكرامة؟ فأجابني الأستاذ يعقوب: أريد منك أن تتعلم من الكاتب فن الحرب الشعبية، فهو محامي متمرس وذهب للفيتنام ضمن لجنة حقوقية دولية، وهو ثائر قادر على رفع معنويات الفيتناميين وهو أديب متمرس قادر على تدوين يوميات زيارته بأسلوب يجعلك تشعر أنك مرافق له، فوصفه للمكان والمشاعر والأحداث تجعلك تشعر أنك مررت في تجربة ثورية حقيقية، كما أنه شاعر ثوري له أسلوب راقى يرسل فيه أعمق التعبيرات الثورية التي تصل لكل الناس مهما كان موقفهم من الثورة.

عندما بدأ بقراءة الكتاب كان في ذهني أمرين أن اقتبس شهادات من الكاتب وأن أبحث عن علاقة ما بين معركة الكرامة والفيتنام. فكان الأمر الأول هين حيث أن أسلوب الكاتب سلس ومشوق مما يجعل سرديته مسهبة واستنتاجاته مقتضبة، بينما الأمر الثاني فكان مدهش للغاية، فقد شعرت أنني أعيش في الفيتنام بكل مشاعري وأشعر بكل آلام الثوار هناك.

بالعودة لشهادات الكاتب حسيب نمر في الكتاب فهي تنفيذ للفكر الثوري الوطني، وأن الثورة الفيتنامية كانت قادرة على ممارسة مسلكية ثورية راقية، فكل ثائر يقوم بدوره وفقاً للنظريات الثورية المعروفة وخصوصاً النظرية اللينينية وبعض تطبيقات الثورة الصينية الماوية ولها أبعاد عميقة في فهم الأممية اليسارية، هذا ما أستطيع أن أقوله الآن. أما في عام 1983م كنت أنظر للكاتب على أنه ثائر مثقف يحمل فكر شيوعي، وأنه جريء ولا يهاب الموت فهو كان في الجبهة وسمع قصف العدو الأميركي الامبريالي ولكنه بقي متوازن ولم يخف أو يهرب، بل أنه كان يساند الثوار ويطالبهم بالاستمرار بالمقاومة.

أما موضوع علاقة الفيتنام بمعركة الكرامة فهي علاقة القتال حتى الموت أو النصر فلا تراجع ولا استسلام، فعلى الرغم من أن الثورتين الفلسطينية والفيتنامية انتهجتا أسلوب حرب العصابات في نضالهم – وهي بالكتاب تذكر بأسماء متعددة مثل حرب الأنصار، قوات العصابات، مقاتلو الادغال، حرب الغوار، الفدائيين- إلا أن تكتيكات حرب العصابات غير ثابتة، فكما أن قواتها تتحرك وليس لها قواعد ارتكاز معروفة، فهي أيضاً تمتلك أفكار مرنة ذات خيارات مفتوحة، مما يجعل الجيش النظامي يفقد القدرة على التخطيط العسكري خصوصاً في المناطق الحدودية.

خط 17 أو الحد الفاصل بين فيتنام الشمالية المحررة والفيتنام الجنوبية المحتلة (في زمن كتابة هذه اليوميات 1965م)، تنتهج القوات الفيتنامية أساليب المتاريس الثابتة التي يعتبروا حمايتها جزء من الكرامة الوطنية، فلا تراجع ولا استسلام في هذه المناطق بل قتال حتى الموت أو دحر الاحتلال، وفعلاً كان هذا الخط مركز امداد رئيسي لقوات الأنصار المتغلغلة في عمق الأراضي المحتلة، وإن هذه المنطقة تحتوي على قوات الرصد التي تراقب حركة طيران العدو الأميركي، وهي المنطقة التي يتم فيها استقبال الجرحى والمهجرين من فيتنام الجنوبية، هذه المنطقة كانت أهم وأخطر منطقة في حرب الفيتنام، وحتى بعد تقدم القوات

الفيتنامية في جنوب البلاد إلا أنهم أبقوا خط 17 كمركز متقدم للقوات الثابتة حتى النصر وإعلان الاستقلال.

وبالمثل كانت معركة الكرامة المنطقة الارتكازية للفدائيين الفلسطينيين، فلا يمكن قبول شروط العدو الصهيوني الداعية لوقف حرب الاستنزاف التي حققت انتصارات ثورية لحركة فتح والانتفاف جماهيري واسع. كان قرار القتال حتى الموت أو النصر قراراً منهجياً، وإذا فعلها الفيتناميون وقبلهم الكوريون فلماذا لا يفعلها الفلسطينيون؟ لقد صمد الفدائيون وحققوا انتصاراً عميقاً خصوصاً بعدما استطاعوا منع حياض الجيش العربي الأردني، فهذا الجيش كما كل الجيوش العربية يجب أن تكون مع الحق الفلسطيني ولا يمكن أن تكون محايداً في صراعنا مع العدو الصهيوني.

بين طيات الكتاب تدوين يوميات كانت تعتبر من الممارسات الثورية اليومية في ذلك الوقت ولعل أهمها تجميل الرعب، ففي الرواية الفيتنامية يتم تحويل بقايا طائرات العدو الأمريكي المدمرة لهدايا تذكارية وخواتم تُهدى لشعوب العالم كدليل على أن رعب قصف الطائرات الأمريكية لا يُفقد الثوار الإحساس بالجمال، وأن هذه المعادن التي تُصنع منها الآلات الحربية يمكن تحويلها لشيء فني جميل، وهو يماثل ما فعله الثوار التاميل بتحويل عبوات الصواريخ لأسيرة ينام داخلها الأطفال، فهي توفر لهم الحماية من صليات الآلة الحربية التي كانت تدق قرى شمال سيريلانكا، وكذلك فعل ثوار المكسيك برص عبوات الرصاص الفارغة ولصقها ببعضها البعض لكتابة حروب كلمات القائد زاباتا: نموت وتحيا المكسيك، وفي انتفاضة الأقصى قامت النسوة الفلسطينيات بتحويل عبوات القنابل المُستَئِلة للدموع إلى قوارير لزراعة الورود.

نعم الثوار يتشابهون في حبهم للحياة وتمسكهم بحقهم الوطني، وما جاء في طيات الكتاب يجعل الثائر يحترار لتكرار الأساليب وكأن الثورة لها منهاج واحد يقوم على فطرية الوطنية داخل الثوار. ففي مقولة شهيرة نحفظها للشهيد الرئيس الراحل ياسر عرفات؛ لقد جئت حاملاً غصن الزيتون في يد وفي الأخرى بندقية الثائر، فلا تسقطوا الغصن الأخضر من يدي في عام 1974 حيث نسمع كلمات مشابهة من فلاح فيتنامي قالها عام 1965 وهو يحترث أرضه بمنجل وعلى كتفه سلاح الكلاشنكوف: أنا فلاح وحياتي العادية أن أفلح الأرض لكن إذا هاجم أرضنا الأعداء؛ فلا بد أن نحميها بالرصاص والدم. وفي عبارة مماثلة قالتها إيتا عام 1967 لتشي جيفارا قبل مقتله بأيام لقد تركت تربية الدواجن وجئت لمساندتكم بحمل السلاح، فعندما يرتفع صوت الرصاص لا تبيض الدجاج ويصبح الديك عدوانياً .

أما قضية اللجوء في كتاب أيام في الفيتنام فنراها بصورها الثلاث ثوار من الشمال ينضمون لقوات الأنصار في الجنوب وثور من الجنوب يحمون مدينة هانوي عاصمة الشمال، وفي ظل حكم الزعيم هوشي منه يعامل اللاجئون الجنوبيون معاملة المواطن الشمالي بل أن الجنوبيون يشاركون بالحكم فهم أعضاء مجلس قيادة ثورة ومنهم الوزراء، بل أن الثورة الفيتنامية امتدت خدماتها لدول الجوار في كمبوديا ولاوس، وكان واجب الثورة تحرير الوطن

ومساندة الثورات في دول الجوار. وهذا الالتحام الثوري يذكرنا بأن الثورة الفلسطينية كانت ثورة كل العرب، وفي أطرها القيادية كان الكثير من القيادات غير الفلسطينية، بل الشهيد القائد الرمز أبو أياد صلاح خلف قال: الفلسطيني ليس فقط من وُلِدَ لأسرة فلسطينية بل الفلسطيني هو كل من يناضل من أجل فلسطين بما في ذلك أنصار الثورة الفلسطينية من كل دول العالم، وأن ثورة الفلسطينية لها أهداف عالمية وانتصار الثوار في أي بلد من بلدان العالم هو انتصار لفلسطين.

كما تطرق الكتاب لضرورة نشر الحقيقة بالإعلام الثوري وطرح الدعاية الثورية اللازمة، فقد كانت مدينة هانوي والمدن الفيتنامية تحتوي على متاحف ثورية ومعارض فنية ثورية ومسرح ثوري وحتى هدايا تراثية ثورية كلها مفتوحة للعالم ليشهد حقيقة ما يحدث في الفيتنام وأن قيادات الثورة الفيتنامية لا يباليون عندما يتحدثون عن بشاعة العدوان الأمريكي وأن الثوار الفيتناميين يكبدون القوات الأمريكية خسائر كبيرة، ويسقطون الطائرات الحربية بوسائل بدائية، وأنهم أقاموا متحف لأنواع الطائرات التي أسقطوها. فمهما كان الإعلام الأمريكي قادرًا على بث الأكاذيب، يستطيع الإعلامي الصادق زيارة الفيتنام والاطلاع على الحقائق في أرض الواقع .

وقد دُوِّن الأستاذ حسيب نمر التقديمية الثورية الفيتنامية بالتعامل مع قضايا المرأة، فهي عنصر فاعل بالثورة، بل أن التأثيرات متواجدة في المراكز القيادية والعسكرية والميدانية، في صورة تنفي أن الرجل الشرقي يرفض أن تقوده امرأة، بل أن القيادات النسائية العسكرية كن أكثر صلابة واستحققن نيل الميداليات التقديرية، وأن جزءاً أساسياً من الحرب الشعبية طويلة الأمد تجعل وقت التأثيرات موزع بين إتمام المهمات الثورية والواجبات المنزلية، بل أن بعضهن كن يمتلكن مواهب فنية أيضاً، فلا يوجد حدود لعطاء المرأة في الثورة الفيتنامية، فهي شعلة عطاء.

وفي موضوع الأشبال الذي استوقفني طويلاً، فقد كان القائد العسكري جياب يرفض أن ينضم للجيش الثوري الأشبال، وأنه يريد لهم أن يذهبوا للمدرسة ويتعلموا، فهم بناء الوطن، ولا بد أن يكونوا مسلحين بالعلم ليبنوا الفيتنام بعد إتمام عملية التحرير، وفي قصة أحد الأشبال من المنطقة الحدودية الذي كان يصر على تعلم حمل السلاح للانضمام لمليشيا القرية المكلفة بحماية القرية، وبالفعل بعد تكرار محاولاته التحق بصفوف المليشيا، وفي منظر آخر يظهر لنا الأشبال الصغار وهم يحتمون من القصف بجسد معلمتهم التي استشهدت وهي تحميهم بجسدها الأعزل، فنرى الأشبال يثورون بطريقة عنيفة ويقومون بالانتقام إلا أن ناظر المدرسة يطالبهم بمواصلة الدراسة، العدو يريدكم إلا تتعلموا فأكبر تحدي لكم أن تواصلوا تعليمكم.

عندما يتحدث الأستاذ حسيب نمر عن القائد الأعلى للثورة الفيتنامية فهو يتحدث عنه بمهابة عالية وتبجيل صادق، فالزعيم هوشي منه قائد استثنائي بدأ نضاله مبكراً فكان يعيش بالمنافي يبحث عن الشباب الفيتنامي من أجل رص الصفوف ومواجهة الاستعمار الفرنسي، وفعلاً

شكل تنظيمًا ثورياً واسعاً باسم جبهة تحرير الهند الصينية من الاستعمار الفرنسي، وكان ضمنها ثوار من كمبوديا ولاوس. كان فكر هوشي منه الثوري يقوم عن البحث عن الوحدة الوطنية العريضة ضمن الفهم الماركسي الذي يجمد التناقضات الثانوية والتركيز على التناقض الرئيسي وكما شرحها لينين عندما قال لا يوجد خصومة سياسية في زمن الثورة، فلنستمر بالهجوم حتى دحر الأعداء ونحرر الوطن ثم نبدأ بحل الخلافات السياسية بيننا.

وضمن هذا الفكر الثوري كان هوشي منه قادراً على كسب تأييد القوى الثورية وأعطائها مساحة حرية في تنفيذ قرارات الثورة، كما أنه راعى دور القيادات الدينية وخصوصاً الأقلية المسيحية التي كان يعتقد الاستعمار الفرنسي أنها موالية له، إلا أن شعار هوشي منه أن الحرب ضد الاحتلال الأجنبي ونحن نحارب ضمن حركة تحرر وطني ونرفض رفضاً قاطعاً تحويل المعركة لمعركة دينية، فقد سبق أن حاربنا الاستعمار الياباني وهم بوديون مثلنا، كما سبق لثوار فيتناميين في الحزب الشيوعي الفرنسي محاربة القوات النازية أثناء حصار باريس.

أما أصعب قرارات هوشي منه كان الحفاظ على الحلفاء المختلفين، فهو حليف للاتحاد السوفياتي وكذلك للصين الشعبية وفي زمن الانقسام الصيني السوفياتي بعد وفاة ستالين كان الحل الفيتنامي هو القرار الوطني المستقل والتفرغ التام للشأن الداخلي وعدم التدخل بالشؤون الداخلية للحلفاء، فقد رفض طلب خرشوف للضغط على ماو تسي تونغ من أجل فتح الحدود الصينية لتوصيل الإمداد العسكري للفيتنام، وقال مقولته الشهيرة: إن كان خرشوف جاداً بأنه يريد أن يرسل مساعدات عسكرية فهو يمتلك القدرة على فعل ذلك، كما فعل مع كوبا.

وعندما أقرأ الكتاب الآن أجد الثورة الفلسطينية استفادت من التجربة الفيتنامية بالكثير من الممارسات الثورية، وأكثر من هذا ما تبينته من التقارب بين أسلوب تفكير الزعيم الفيتنامي هوشي منه والشهيد الرئيس ياسر عرفات، فعندما تسمع بمغارة فيات لهوشي منه تتذكر مغارة نابلس لياسر عرفات. فعندما عاد الرئيس "هوشي منه" إلى الفيتنام سنة 1941 حيث أقام في إحدى المغاور واستخدمها كمسكن ومركز عمل ومكان اجتماع مع معاونيه، وقد سُمي الجبل هناك جبل "كارل ماركس" كما سُمي الينبوع القريب من المكان "نبع لينين"، وقد كتب "هوشي منه" في السجن بفرنسا بعض القصائد. وتذكر أن الشهيد ياسر عرفات تخفى في مغارة بنابلس بعد حرب حزيران 1967 ومنها بدأ قيادة الثورة.

يعتبر الأستاذ حنا نمر أول عربي يزور الفيتنام بعد العدوان الأمريكي عام 1960 ضمن وفد رسمي، فقد جاءها ضمن وفد دولي من الحقوقيين لتقصي الحقائق، وهو قد دُون اسمه في سجلات الزائرين الرسميين في أكثر من موقع داخل الفيتنام ولم ير أن تلك السجلات تحتوي على أسماء عربية، إلا أنه يذكر أن القيادة الفيتنامية كانت على تواصل مستمر مع الزعيم العربي الراحل جمال عبد الناصر، وأن الموقف العربي الرسمي والشعبي يتضامن مع الثورة الفيتنامية. أما زيارة قيادة حركة فتح للفيتنام فكانت عام 1966 وكان ضمن وفداتها الشهيد الرئيس ياسر عرفات والشهيد الرمز خليل الوزير، وقد سبق أن التقى الشهيد ياسر

عرفت بالقائد الفيتنامي العسكري الكابتن جياب عام 1964 في مدينة بكين الصينية، فما قصده الأستاذ حسيب نمر واضح بأنه أول من قام بزيارة رسمية للفيتنام.

أما سبب طباعتي الكتاب إلكترونياً؛ الحقيقة أن النسخة التي بحوزتي أصبحت صفراء باهتة وأطراف الصفحات بدأت بالذوبان ورائحة الكتاب كريهة، وحاولت البحث عن نسخة جديدة من هذا الكتاب فوجدته مفقوداً منذ زمن طويل. فقررت أن أنال شرف طباعته إلكترونياً ليكون مرجعاً يُستفاد منه، في قراءة هذا الكتاب الممتع. فكتب اليوميات لها جمالية خاصة عندي محبي قراءة المذكرات الشخصية، إلا أن الكتاب يماثل ما كنا نقرأه بالثورة الفلسطينية عن يوميات الحرب الأهلية اللبنانية؛ فالكاتب لا يُشعرنا أن دوره أن يبقى بالفيتنام ويناضل يد بيد مع الثوار الفيتناميين، بل أنه جاء للبحث عن دلائل وقرائن تساعد في مساندة الثورة الفيتنامية بالمحافل الدولية. كما أن القيادة الفيتنامية عندما سمعت قصائده الشعرية التي يمتدح فيها الثورة الفيتنامية، طالبته بأن يترجمها للغات العالمية، فالشعر الثوري له تأثير سحري على الجماهير في كل أنحاء العالم.

وبالنسبة لي فإنني أعتبر أن هناك كتب كثيرة تم فقدانها في المكتبة العربية بسبب أنها طبعت في فترات زمنية سابقة، ومن واجبنا كمثقفين البحث عن طرق عملية لإعادة طباعة هذه الكتب بطريقة الإلكترونية، ومن الناحية التقنية فإن صعوبة تحويل هذه الكتب – المطبوعة بألة الطباعة اليدوية القديمة – لا يكون بالمسح الإلكتروني السريع، حيث أن شكل الحروف مختلف ولا تظهر الكلمات واضحة مما يجعل موضوع المسح الإلكتروني مسألة تحتاج إلى مختصين ذوي خبرة بالتعامل مع المخطوطات القديمة وطبيعة عملهم ستكون مكلفة كثيراً. أما التصوير الإلكتروني للورق الأصفر المهترئ، فإن قراءته ستكون صعبة للغاية فأغلب الكلمات في أطراف الصفحات باهتة وأحياناً ممحبة.

وبما أنني قمت بطباعة الكتاب وكتابة ذكرياتي معه، كان لا بد من إضافة النكهة العصرية للكتاب، فقمت بوضع الحواشي الهامشية التي تعطي معلومات عن بعض الشخصيات الواردة في طيات الكتاب وكذلك بعض المعلومات عن الأسلحة المذكورة داخل النص، وكذلك بعض المصطلحات السياسية الواردة بالنص وأيضاً شرح بعض الكلمات الأجنبية الواردة، خصوصاً بالمجال العسكري. كما أن اسم الكتاب فياتنام فهو كما شرحها لي الأستاذ يعقوب عبارة عن كلمتين فيات وهي اسم المغارة التي انطلقت منها الثورة الفيتنامية وكلمة نام فهي تعني رجل الثورة، وأن فياتنام هو الاسم الأممي للثورة الفيتنامية خصوصاً في الأحزاب الشيوعية الأوروبية. وقد حاولت قدر الإمكان الحفاظ على التسمية المعروفة للفيتنام داخل نص الكتاب، وهذا لتسهيل قراءة الكتاب.

وقد أضف بنهاية الكتاب ما استطعت أن أجده عن الأستاذ حسيب حنا نمر المحامي اللبناني فهو كاتب له عدة كتب منشورة، وقد حاولت جمع بعض قصائده الواردة في الموقع الإلكتروني لمعجم البابطين لشعراء العربية. وإن كان هناك أي حقوق ملكية فكرية لأي جزء من هذا الكتاب بما فيه نصه الأصلي أو هوامشه أو ترجمة الأستاذ حسيب حنا نمر في نهاية الكتاب،

فقد أوردت مصادر المعلومات بشكل واضح وفقاً للمعايير المعلوم بها بالدول العربية، وأن إعادة طباعة الكتاب الصيغة الالكترونية لم يكن القصد منه الربح المادي، بل الحفاظ على تراث ثوري وكتاب له ذكريات خاصة لي شخصياً. أتمنى لكم قراءة ممتعة

ودتمت للنضال.
أخوكم خالد غنام - استراليا

بيان الحقوقيين الديمقراطيين بلبنان "عن زيارة وفد الرابطة العالمية للفيئاتام"

تحتل قضية الفيئاتام مركزاً هاماً في الميدان الدولي، وربما كانت في الوقت الحاضر أخطر قضية، لما تعبره من مسائل حقوقية، وإنسانية، ولأن عدم حلها على أساس صحيح يشكل خطراً دائماً على السلام الدولي وتهديداً مستمراً لما توصلت إليه البشرية بعد نضال قرون من حقوق دولية، وأسس العلاقات القائمة بين الدول. وقد اهتمت رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية¹ منذ البدء بقضية الفيئاتام، فرحبت بعقد اتفاقيات جنيف سنة 1954، لأنها أوجدت حلاً سلمياً وسياسياً وحقوقياً أنهى الحرب التي كانت دائرة في الهند الصينية. وواصلت جهودها لاحترام هذه الاتفاقيات وتنفيذها مؤيدة الشعب الفيئاتامي في كفاحه من أجل استقلاله الوطني ووحدة أراضيه، واستنكرت جميع المساعي الاستعمارية للتدخل مباشر وغير مباشرة في شؤونه الداخلية. وفي جميع المؤتمرات والاجتماعات التي عقدتها أجهزتها كانت قضية الفيئاتام تحتل المكان الأول من الأبحاث والمقررات.

ومؤخراً في الاجتماع الذي عقدته أمانة سرها في أواخر آذار سنة 1965 تقرر إرسال وفد حقوقي دولي إلى الفيئاتام ليحمل إلى شعبها تأييد الحقوقيين الديمقراطيين والتقدميين لنضاله وقضيته وللقيام بتحقيق حسي هناك. وقد جرت الموافقة على هذا القرار بالإجماع وبحماسة من جميع المشتركين في اجتماع أمانة السر. وفي أيلول تألف الوفد نهائياً من الأستاذ جو نوردمان² أمين السر العام لرابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية رئيساً، ومن الأستاذ

1- تحتل رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية مركزاً مهماً بين المنظمات الدولية الحقوقية المتخصصة، وهذه الرابطة منظمة غير حكومية لها صفة استشارية لدى الأمم المتحدة واليونسكو، وقد تأسست عام 1946، وتتألف من جمعيات ونقابات الحقوقيين وممارسي القضاء في عدد من بلدان العالم، ومقرها في بروكسل. ينص دستور الرابطة على العمل لتحقيق الأهداف الواردة في ميثاق الأمم المتحدة لصيانة السلم والدفاع عن الحقوق والحريات الديمقراطية ودعم استقلال جميع الشعوب. ومن هذا المنطلق فإنها تؤيد حركات التحرر وقضاياها في العالم.

2- جو نوردمان Joë Nordmann، المولود لعائلة يهودية في 26 يناير 1910 في فرنسا وتوفي في 12 نوفمبر 2005، محاماً ومقاوماً وناشطاً في الحزب الشيوعي الفرنسي. في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، كان مدافعاً عن الحزب الشيوعي. في عام 1930، أقام في برلين ثم سافر إلى الاتحاد السوفيتي حيث عاد متحمساً. حرصاً على مواصلة مسيرته المهنية كمحام في باريس، التحق بشركة فنسنت أوريول في عام 1933، حيث عمل حتى عام 1939. التقى بالمحامي الشيوعي جورج بينارد الذي حثه على الانضمام إلى جمعية القانون الدولي (AJI) نظراً لإدراكه لأهمية الحركة الشيوعية، فقد تلقى دروساً مع جورج بوليتسر في الفلسفة وجورج كوجنيوت في الاقتصاد السياسي في جامعة العمال. في عام 1933، أخذ بطاقة حزبه الشيوعي. في عام 1936 سافر مع جمعية القانون الدولي إلى رومانيا واليونان لرصد وتقصى الحقائق عن ظروف الاحتجاز في هذه الأنظمة الاستبدادية. في عام 1941، أسس منظمة مقاومة، الجبهة الوطنية للحقوقيين، برئاسة بيير دي شوفرون، عضو مجلس نقابة المحامين. الجبهة هي منظمة مقاومة من قصر العدل في باريس ثم في جميع أنحاء فرنسا.

وبعد تحرير فرنسا، أصبح رئيس أركان الشيوعي مارسيل ويلارد، السكرتير العام المؤقت للعدل (24 أغسطس - 10 سبتمبر 1944) وعضواً سابقاً في جمعية القانون الدولي. تم تعيين جو نوردمان لمساعدة مكتب المدعي العام الفرنسي في محكمة نورمبرغ العسكرية أثناء محاكمة كبار الشخصيات النازية، حيث كتب عن ذلك جو نوردمان: "كنت جالساً على

حسيب نمر أمين السر الحقوقيين الديمقراطيين العالمية، ومن الرئيس عبدالله ابراهيموف رئيس المحكمة العليا في أذربيجان، ومن الأستاذ بكاي ندياي النائب العام في باماكو عاصمة مالي، ومن البروفسور خوسه رودريكس من شيلي أعضاء. وتوجه الوفد إلى الفياتنام حيث وصلها في أواخر أيلول ومكث هناك ثلاثة عشر يوماً.

وقد أتيح لأعضائه خلال هذه المدة أن يتصلوا بممثلي مختلف الفئات، وممثلي السلطة والأحزاب، والهيئات والمتقنين والطلاب والنساء والعلماء، والأساتذة، ومديري الجامعات والمدارس والحقوقيين من محاميين وقضاة، ووزراء الصحة والتربية الوطنية والتجارة ونائب رئيس الوزراء، كما زاروا المناطق المتعرضة لقصف الطائرات وشاهدوا عن كثب المستشفيات والمدارس والمعابد والبيوت المهدامة، كما شاهدوا آثار الغارات من بقايا طائرات وقنابل كبيرة وصغيرة، وشاهدوا تفجر القنابل والجسور والمنشآت، وزاروا المعامل يشتغلون والبنادق إلى جانبهم، كما شاهدوا الفلاحين ذاهبين إلى أعمالهم وقد حمل المتطوعون منهم البنادق والرشاشات.

واستمع أعضاء الوفد إلى ممثلي أبناء الجنوب الموجودين في الشمال يتحدثون عن الفظائع المرتكبة هناك، من قتل الناس بالجملة، وإحراقهم أحياء وتغطيسهم في الزيت الغالي، وتجميعهم فيما سمي بالمزارع الإستراتيجية، واستخدام قنابل النابالم³، والغازات السامة، وتهديد الكنائس والمعابد، وقصف السكان الأمينين والأطفال إلخ.. كما استمع الوفد إلى رجال الدين الكاثوليك والبوذيين يتحدثون عن تهديم الكنائس والمعابد، وقصفها في أثناء إقامة الشعائر الدينية وقتل المصلين. وأتيح للوفد أن يتصل بالأسرى من الطيارين الأميركيين؛ حيث اعترفوا صراحة أنهم يستطيعون التمييز بين الأهداف العسكرية والمدنية، وأنهم ينفذون أوامر حكومتهم دون اعتراض أو مناقشة، وقد أقروا عن حسن معاملة الشعب الفيتنامي لهم واعتنائه بهم بالرغم أن الولايات المتحدة لم تعلن الحرب على الفياتنام ولا يعتبرون ذلك بمثابة أسرى حرب حسب القانون الدولي.

مقعد الاتهام، وأواجه غورينغ ومجرمي الحرب النازيين الرئيسيين الآخرين. هكذا أصبحت مهتفاً بمفهوم الجرائم ضد الإنسانية وقادت الحملة، بعد سنوات، لإدخال هذه الفكرة في القانون الفرنسي. كما دفعه التزامه المتشدد إلى الدفاع عن ضحايا قضية محطة مترو شارون، والجمهوريين الإسبان، وكذلك المقاتلين الفيتناميين والجزائريين. لقد دافع في اليونان ضد دكتاتورية العسكرية، في باراغواي ضد الديكتاتور ألفريدو ستروسنر، في تشيلي ضد أوغستو بينوشيه، ولكن أيضاً ضد المرتزق بوب دنارد.

رئيس الرابطة الدولية للمحامين الديمقراطيين(AIJD) ، التي أسسها عام 1945، وهو محامٌ لمجلة الحروف الفرنسيةLettres françaises ، الأسبوعية الأدبية الشيوعية. خلال محاكمات براغ والثورة في المجر (1956)، واصل اتباع أوامر قيادة الحزب الشيوعي، إلا أنه عثر عن خلافاته معهم حول الدبابات في براغ عام 1968 ثم حرب أفغانستان (1979-1989) دون الابتعاد عن الحزب. أكسبه هذا الولاء للحزب الشيوعي الفرنسي سمعة بأنه "ستاليني قديم". كما تولى نوردمان الدفاع عن العديد من المنشقين السوفييت، كما حدث أثناء محاكمات الكتّاب السوفييت أندريه سيناكسكي ويولي دانيال في عام 1965 وألكسندر جينسبيرغ في عام 1968، وأرسلت بعثة AIJD إلى كابول في زمن الاتحاد السوفيتي. تدخل عام 1980.

في عام 1973، كان أول من استأنف الإجراءات ضد بول توفير بتهمة "جريمة ضد الإنسانية"، وهي حقيقة غير مسبوقة في التاريخ، والتي ستجرح بعد سنوات طويلة من الانتظار. ستنتج محاكمات كلاوس باربي وموريس بابون، والتي يلعب فيها دوراً رائداً في كل مرة. خلال هذه السنوات، كان المتحدث باسم الاتحاد الوطني للمقاومين والوطنيين المرحلين والمعتقلين (FNDIRP). في السبعينيات، قام بأول "نقد ذاتي" واعترف "بأخطائه" تجاه الاتحاد السوفيتي. في عام 1996، أوضح أنه أنكر حقيقة الستالينية بسبب سياق الحرب العالمية الثانية وفترة ما بعد الحرب حيث كتب: "بالنسبة لي، كان الحزب والاتحاد السوفيتي استمراراً للمقاومة ثم للتعاشيش السلمي". تذكر أنه في ذلك الوقت كان المثقفون الفرنسيون قريبين إلى حد كبير من الشيوعيين. انضمت إلى الحزب والنضال أثناء الحرب بدافع مناهضة الفاشية. لم يكن للترامي علاقة بالاتحاد السوفيتي ". كتب في مذكراته: "كل الأشياء التي تم يجب أخذها في الاعتبار، يبدو لي أن الاعتقاد الذي هو أصل العمى الذي أصابني يمكن مقارنته بالإيمان الديني... إن ذكرى وفاة ستالين تجعلني أفكر في الركوع والسجود لله".

3- النابالم napalm مستحضر من سوائل قابلة للاشتعال، تغلب عليه صفة البنزين الهلامي jellied gasoline ويستخدم سلاحاً في الأعمال القتالية. والناپالم مادة كثيفة تشكل عند مزجها بالبنزين هلاماً لزوجاً سريع الاشتعال بظي الاحتراق يلتصق بالسطوح، وتصل درجة حرارته إلى أكثر من 1100م. ويستخدم في قاذفات اللهب والقذائف الحارقة وقنابل الطائرات.

وقد تمكن أعضاء الوفد من أن يطلعوا عن كثب على ارتفاع معنويات الشعب الفيتنامي، واشترآكه جميعه بمختلف فئاته وهيئاته، كباره وصغاره وشيوخه وشبابه، نسائه ورجاله، في المعركة، مما يغطي القناعة التامة بأن الأميركيين إنما يخوضون هناك حرباً بلا فائدة منها، ولا نتيجة سوى تقتيل الناس، ومن الأميركيين أنفسهم، وتهديد العالم بخطر الحرب الدائم. وعند نهاية الزيارة عقد الوفد مؤتمراً صحفياً في هانوي، نقلت أنباءه الصحف الفيتنامية والأجنبية، كما وقع مع الحقوقيين الفيتناميين بياناً مشتركاً، أرسل إلى جميع الهيئات الحقوقية مع نداء للعمل على مساعدة الشعب الفيتنامي للتخلص من هذه الحرب التي لا تحمل للإنسانية سوى الخوف والدماء.

وفي طريقه عقد مؤتمراً صحفياً في موسكو نشرت وقائعه جميع الصحف السوفياتية والعالمية وأذيع بالتلفزيون، كما قدّم أعضاؤه تصريحات وأحاديث للإذاعة. وقد نقلت وكالة الأنباء تاس وقائع المؤتمر ووزعتها في جميع أنحاء العالم. وفي فرسوفيا⁴ ألقى الوفد تقريراً عن نتيجة أعماله أمام مؤتمر اتحاد النقابات العالمي، كان له صده، ونال الإجماع، كما عقد الوفد مؤتمراً صحفياً في باريس بقاعة الإليزه، نشرت وقائعه الصحف الفرنسية والعالمية، وعلقت عليه. وقد أرسل الوفد مذكرة إلى أمانة سر دول الوحدة الإفريقية وأمانة سر الدول الإفريقية والآسيوية.

وقد قرر الوفد أن يتحول إلى لجنة دائمة تعمل ضمن وسائلها للمساعدة في حل قضية الفيتنام على أساس اتفاقيات جنيف، والقوانين الدولية المسلم بها، واحترام سيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، والعمل على صيانة السلام العالمي، والمكتسبات الحقوقية والدولية التي توصلت إليها الإنسانية بعد كفاح قرون وأجيال. والحقوقيون الديموقراطيون في لبنان إذ يقدرّون تقديراً ثميناً اشتراكهم في هذا الوفد الدولي، يؤيدون مبادراته ويدعون جميع الحقوقيين في لبنان والبلدان العربية، وجميع الفئات والهيئات إلى مساندة الشعب الفيتنامي للتخلص من التدخل الاستعماري في شؤونه، واحترام الاتفاقيات والقوانين الدولية، لأن انتصار الشعب الفيتنامي يعني انتصاراً لجميع الشعوب الصغيرة ومنها شعبنا اللبناني.

الحقوقيون الديموقراطيون في لبنان

4- وارسو أو فرسوفيا أو فارسوفيا هي عاصمة بولندا (بولونيا) وأكبر مدنها.

بين إيرفورت⁵ وهانوي

... الواقع أن زياتي للفيتنام بدأت في "إيرفورت" المدينة الألمانية المزدهرة الواقعة قرب "فايمار" بلد الورود والرياحين والشعراء، والفنانين إذ يكفيها أنها بلد "غوت". إن غوت الشاعر الألماني النابغة أشهر بكثير من المعركة التي خاضها نابليون بقربها. لقد اجتمعت أمانة سر رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية في أواخر آذار سنة 1965 وتقرر في اجتماعها إرسال وفد إلى الفيتنام يحمل إلى شعبها تحيات الرابطة وتأييدها ويقوم في الوقت نفسه بمهمة تحقيق في الأعمال التي يرتكبها المستعمرون هناك ولم يدر في خلدي حينئذ وأنا أؤيد هذا الاقتراح بحماسة أنني سأكون في عداد الوفد، ولا الوقت الذي سيزور فيه الفيتنام، والواقع أن أحداً من أعضاء الوفد الذي تألف فيما بعد لم يكن يتوقع وقتئذ أنه سيطيّر آلاف الأميال ليرى الشعب البطل في أرضه.

وبعد انتهاء الاجتماع زرنا "فايمار" كما زرنا على مقربة منها المعتقل النازي المعروف "بوخنفالت" حيث عقدت أمانة السر اجتماعاً علنياً أعلنت فيه القرار الذي اتخذته بعد جواز مرور الزمن على الجرائم التي ارتكبتها النازيون كما تريد أن تفعل سلطات ألمانيا الغربية. ولم أكن أتصور وأنا أرى آلات التعذيب، وآثار التقتيل والوحشية التي خلفها النازيون أنني بعد بضعة أشهر سأشهد وأسمع مثلها في الفيتنام على أيدي نازية جديدة تفخر في الوقت نفسه بأنها ساهمت في القضاء على النازية القديمة، وجلس ممثلوها على منصة القضاء العالمي يحكمون على زعمائها بالسجن والإعدام. على أرض ألمانيا المجزأة إلى شرقية وغربية والتي يمنعها الاستعمار من أن تتوحد بدأت زيارتنا إلى الفيتنام المجزأة إلى شمالية وجنوبية والتي يمنعها المستعمرون من أن تتوحد أيضاً. وكما يوجد في الطرف الآخر الغربي حكام ضالعون مع الاستعمار، يعملون معهم يداً بيد، كذلك يوجد في الطرف الجنوبي من الفيتنام حكام ضالعون مع المستعمرين يخدمونهم وينفذون أوامرهم.

وفي صيف سنة 1965 تلقيت رسالة من أمين السر العام للرابطة يعرض فيها أن الاختيار وقع عليّ لأكون أحد أعضاء الوفد، ويسألني عما إذا كنت أوافق على ذلك. لقد كان العرض بالنسبة إليّ مفاجأة إذ ما فكرت يوماً أن أقوم بمثل هذه الرحلة، ولكنه كان في الوقت نفسه تحقيقاً لحلم يراودني إطلافاً، وبالرغم من أنني كنت مقدراً الصعوبات الكثيرة التي ستعترضني حتماً، فقد قبلته بفرح. وبعثت برسالة إلى الأمين العام أعلمه بالقبول ورحت استعد بانتظار السفر... وتألف الوفد نهائياً من الأستاذ "جو نوردمان" المحامي في باريس وأمين السر العام لرابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية رئيساً ومن "عبدالله ابراهيموف" رئيس المحكمة العليا في أذربيجان، ومن "بكاى ندياي" النائب العام في باماكو عاصمة جمهورية مالي، ومن "خوسه رودريكس" أستاذ الحقوق، ومنى أنا، أي أن الوفد كان ممثلاً لجميع القارات في العالم.

5- إيرفورت Erfurt هي العاصمة وأكبر مدينة في ولاية تورينجيا، وسط ألمانيا. تقع في الجزء الجنوبي من حوض تورينجيان، داخل الوادي الواسع لنهر جيرا. تقع على بعد 100 كم (62 ميل) جنوب غرب لايبزيغ، 300 كم (186 ميل) جنوب غرب برلين، 400 كم (249 ميل) شمال ميونيخ و250 كم (155 ميل) شمال شرق فرانكفورت.

الوصول إلى هانوي

لا أريد التحدث عن الطريق الذي سلكناه للوصول إلى "هانوي" بل سأبدأ بالموضوع مباشرة، دون أن أتقيد بالترتيب اليومي للحوادث والذكريات التي سأنقلها عن هذه الزيارة. لقد وصلنا إلى مطار هانوي في آخر شهر أيلول سنة 1965 عند الساعة السابعة مساءً في جو جميل رائق، تسيطر عليه حرارة هانوي ورطوبتها، نظراً لوقوعها في مكان منخفض بين حقول الأرز ومستنقعاتها، وكان في استقبالنا ممثلو الأوساط الحكومية في العاصمة، وممثلو جمعية الحقوقيين الفيتناميين وفي مقدمتهم وزير التجارة الخارجية ورئيس الجمعية، وقدمت لنا فتيات في عمر الزهور باقات من الزهور، ثم انتقلنا إلى فندق "الوحدة"، وهو فندق قديم بُني على عهد الفرنسيين وأصبح اليوم يحمل هذا الاسم.

وما أن دخلنا الغرفة حتى اضطررنا إلى استبدال ثيابنا بتياب صيفية بسبب الحر، ولاحظنا أن كل غرفة مزودة بمروحة كهربائية، وبوعاء من الماء الساخن لاستخدامه في صنع الشاي، وبسبب الحر كان علينا أن نبقى بالقميص، والتشريفات هناك لا تمنع ذلك. وفي المساء أقام لنا وزير التجارة الخارجية مأدبة عشاء تحدث فيها بكلمة تنبض بالشعور والشعر، وقد عرفنا أنه من الشعراء المعروفين في الفيتنام، وقد تكلم عدد من الفيتناميين وأعضاء الوفد ومما قلته:

"أريد أن أقول كلمة من القلب لأن الكلمة التي تصدر عن القلب تعرف أقرب طريق تصل منه إلى القلوب المتحابية. لقد قال أحد شعرائنا القدماء أن الأذن تعشق قبل العين أحياناً، ونحن في أقصى الطرف الغربي من آسيا، وأنتم في أقصى الطرف الشرق منها ومنا من هم من افريقيا وأميركا وأوروبا، وقد سمعنا بالشعب الفيتنامي قبل أن نراه فأحببنا هذا الشعب وسمعنا ببطولته فقدسنا هذه البطولة، وقد جننا اليوم نرى بالعين، فإذا أُضيف حب العين إلى حب الأذن أصبح عظيماً عميقاً رائعاً. ولكن العين التي تعرف كيف تحب تعرف كيف تبغض، وكذلك الأذن، وقد سمعنا بأخبار الاستعمار ورأينا ما يفعله، وخاصة الاستعمار الأميركي، فكيف بنا اليوم ونحن في البلاد التي تحاول السيطرة عليها، وبين أنباء الشعب الذي يقاسي منه. إن عاطفة الصداقة والتضامن لا تعرف الحدود فهي تستطيع أن تقطع الجبال والوديان والجسور التي يتباهون بتدميرها لتصل إلى مكانها."

ويوم الجمعة أول تشرين الأول سنة 1965 عقدنا اجتماعاً مع زملائنا الحقوقيين لوضع منهاج العمل في زيارتنا لبلادهم، ومن بين الرغبات التي أبديناها زيارة المنطقة الرابعة، فقالوا أن زيارتها خطيرة إذ أن السفر إليها يجب أن يكون في الليل وفي سيارة عسكرية مغطاة بالأغصان تسير مظفاة الأضواء خوفاً من الغارات، لأن الأميركيين يقومون بها في النهار غالباً ولكن أصررنا على القيام بهذه الزيارة وقلنا: أننا لم نأت إلى الفيتنام للقيام بنزهة، ولا بأس إذا قاسمنا الفيتناميين بعض متاعبهم والأخطار التي يتعرضون لها، إننا سنكون مسرورين بذلك. فوعدنا زملاؤنا بتحقيق هذه الرغبة بعد الاتصال بمن يلزم لتحضير هذه الزيارة وتأمين سلامة ذهابنا وإيابنا وإقامتنا.

زيارة المنطقة الرابعة

ومنذ أن وطئت أقدامنا أرض الفيتنام التي تروي كل منها حفنة أسطورة عن بطولة الشعب الذي جبل من ترابها ويعيش فوق أديمها، ونحن نبدي الرغبة ونلح فيها للقيام بجولة في المناطق المعرضة للقصف، وخاصة ما اصطلح على تسميته بالمنطقة الرابعة، وهي الواقعة مباشرة في شمال الخط السابع عشر. وقد كنا، قبل أن نصل إلى الفيتنام، جعلنا زيارتها في رأس المنهاج الذي أزمعنا المطالبة به من إخواننا الفيتناميين. ومضت أربعة أيام كان خلالها زملاؤنا الحذوقيون يصورون لنا كل يوم تقريباً كلما اجتمعنا بهم الأخطار التي تتعرض لها المنطقة الرابعة، حتى يثبونا عن عزمنا، ولكننا في كل مرة كنا نصر على الزيارة، ونرفض جميع ما يقدم لنا من موانع، لقد كنا نعدهم في ذلك لأنهم مسؤولون عن سلامتنا، ويقدرّون هذه المسؤولية، وخاصة أن الطائرات الأميركية لم تكن توفر أي هدف ولو كان مديناً كمستشفى أو مدرسة أو سوق. ولما رأوا هذا الإصرار منا اقتنعوا بتوفير هذه الزيارة لنا.

وتقرر أن نبدأ برحلتنا مساء الرابع من شهر تشرين الأول، وعند المساء حضر مرافقونا وقال المولج بقيادة القافلة: "إنكم ستزورون المنطقة المعرضة للغارات، فيجب أن تستعدوا لها، يجب أن تكونوا مزودين بمنشفة مبللة بالماء لمنع تأثير الغازات، وأن ترتدوا ملابس داكنة اللون تسهيلاً للاختفاء وزودونا بشال من الشاش الأخضر لوضعه على الرأس، لا أزال احتفظ به كذكرى حلوة، ثم قال بلهجة حازمة: "يجب أن تتبعوا تعليماتي فإذا نبهتكم عن وجود الغارة عليكم أن تنزلوا من السيارة بسرعة وتبتعدوا عنها قليلاً وتنزلوا إلى أقرب خندق أو ملجأ، ولا تخرجوا قبل أن أعطي علامة الانتهاء من الغارة."

وبعد هذه التعليمات صعدنا إلى غرفنا فحملنا ما نحن بحاجة ضرورية ماسة إليه من حوائجنا، وركب أعضاء الوفد ثلاث سيارات من سيارات الميدان المموهة المغطاة بالأغصان الخضراء، المطفأة الأضواء، كما رافقتنا سيارات أخرى، وخرجنا من هانوي والشمس على أهبة المغيب، واتجهنا نحو الجنوب، كان الطريق قديماً ولكنه مفروش بالأسفلت، وهو يمر بين صفوف لا متناهية من بيوت الفلاحين، القرية تتبع القرية، متناثرة بين حقول الأرز الخضراء المغطاة بالمياه، المملوءة بالسود الصغيرة، كما هي الحال في كل بلاد تعتمد على الزراعة، إذ تقل فيها المدن والتجمعات الكبيرة وتكثر فيها القرى والمزارع وتتناثر البيوت.

وام نلث قليلاً حتى ألقى الليل سدائله لا يخفف من سوادها سوى طلوع القمر يرسل أشعته ضوءاً خافتاً خفيفاً على الطريق الذي تسير عليه السيارات وكلها مطفأة الأضواء مموهة مغطاة بالأغصان الخضراء، والأغطية الترابية اللون. وتوقفنا عند مكان قريب من النهر إلى جانب جسر كبير، مدينة "نن بنه"⁶ وسنقطعه على نقالات نهريّة، لأن الجسر قد دُمر في الغارات الأولى التي قام بها الأميركيون، وقرب هذا الجسر تلة كانت مركزاً عسكرياً

6- نينه بينه Ninh Binh هي مدينة صغيرة في دلتا النهر الأحمر في شمال فيتنام. وهي عاصمة محافظة نين بينه. خلال فترة الأعمال العدائية غير المعلنة في تونكين التي سبقت اندلاع الحرب الصينية الفرنسية في أغسطس 1884، كان ولاء نينه بينه ذا أهمية كبيرة للفرنسيين، حيث شنت المدفعية في قلعتها النبيلة التي تسيطر عليها حركة المرور النهريّة إلى خليج تونكين. على الرغم من أن السلطات الفيتنامية في نينه بينه لم تبدل أي محاولة لإعاقة مرور رحلة استكشافية أطلقها هنري ريفيير في مارس 1883 للقبض على نام أون، فقد عرف عنها أنها معادية للفرنسيين. في تشرين الثاني (نوفمبر) 1883، عشية حملة سين تاي، احتل الفرنسيون قلعة نينه بينه دون مقاومة وأقاموا حامية

للفرنسيين، وقد قُتل فيه ابن الجنرال تاسيني⁷ قائد القوات الفرنسية في الفيتنام قديماً. وفيها معبد للبوديين كانوا يقصدونه للعبادة فامتنعوا الآن بسبب الغارات.

وبعدما وثق القوم بخلو السماء من طائرات الأعداء نقلونا مع السيارات إلى عوامة كبيرة قطعنا بها النهر، وقد علمنا أن الأماكن التي يجري فيها الانتقال تختلف من يوم إلى آخر، بحيث لا يعرف الأميركيون أماكنها وفي النهار تغرق هذه النقالات ولا تخرج إلا في الليل، لتستعمل كجسور نقالة، وهكذا استعاض عنها الفيتناميون عن الجسور الثابتة المهدمة بجسور نقالة. ثم مررنا بمدينة "نن بنه" فرأيناها تعج بالحياة، والأسواق فيها مفتوحة والناس يروحون ويجيئون، ويشترون ويبيعون، ويشربون الشاي ويتسامرون، إن الحياة في مدن المنطقة الرابعة لا تكون إلا في الليل حيث تقل الغارات لأن الأميركيين يتجنبون القيام بغاراتهم ليلاً، فيغتتمها الفيتناميون فرصة لمتابعة حياتهم العادية، حتى أن الدوائر الرسمية تفتح ليلاً وتغلق أبوابها نهاراً، بسبب هذا الوضع.

وبعدما قطعنا المدينة سرنا شوطاً بعيداً نضرب غياهب الليل إذ أن المسافة التي علينا أن نقطعها من هانوي إلى المكان الذي نقصده لا تقل عن 195 كم فإذا بقائد القافلة يأمر بالتوقف إلى جانب الطريق التي ضيقها حفر خنادق على أحد جانبيها لاستخدامها ملاجئ من الغارات، ونزلنا من السيارات نستطلع الخبر، فقيل لنا أنه حان وقت العشاء، فانتقلنا إلى خط السكة الحديدية حيث اتخذنا من قواطعها مقاعد ومناضد لنا، وكان الفيتناميون قد جهزوا كل شيء، وبينما نحن على "مائدتنا" الرائعة هذه، تقدم منا أحد الأشخاص الذين لا يختلفون عن غيرهم لباساً وبساطة ومظهراً فتعرفنا إليه فإذا هو به الطبيب الذي كلف بمرافقتنا. لقد شعرنا ونحن جلوس على الأرض نلتهم طعامنا بين خطي سكة الحديد بما يشعر به كل من يعيش بين ظهراي شعبي بطل يقاوم أشدس استعمار في الوقت الحاضر، يشاطره آلامه، وتضحياته، وتفانيه، وتحمله الحرمان في سبيل قضيته الكبرى التي يقابلها أصدقاؤها حتى الآن بأقصى ما يستطيعون من إمكانيات، لقد شعرنا بمسؤولية كل من يتحسس بالأم شعبي الفيتنام الواقف في الجبهة الأولى من المعركة الضارية ضد الاستعمار، وبواجبه الأممي لبذل كل ما يستطيع للتخفيف من هذه الآلام، لأن من شأن ذلك أن يقرب من ساعة النصر النهائي.

وبعدما أنهينا طعامنا تابعنا سيرنا، بين حقول الأرز الخضراء التي تمتد على جانبي الطريق، لم تنقطع لحظة واحدة إلا عندما انتهينا من منطقة "ننه بنه" لدخول المنطقة الرابعة خلال ممر صخري بين التلال المرتفعة، ننتهي بعده إلى مسافة واسعة من "التايغا" أي الأدغال التي تكثر فيها الوحوش البرية كالنمور والأفاعي وغيرها كما أخبرنا، ثم نعود من جديد إلى اختراق حقول الأرز البعيدة عن الأوقيانوس⁸ مسافة لا تتجاوز عشرين كيلومتراً. وقبل أن

7- كان جان جوزيف ماري غابرييل دي لاتر دي تاسيني Jean Joseph Marie Gabriel de Lattre de Tassigny (2 فبراير 1889 - 11 يناير 1952) جندياً عسكرياً فرنسياً خلال الحرب العالمية الثانية وحرب الهند الصينية الأولى. تم ترقيته بعد وفاته إلى مرتبة مارشال فرنسا في عام 1952.

8- المقصود المحيط. أوقيانوس (بالإنجليزية Oceanus أو Okeanos) يُشير إلى المحيط، في الأساطير الإغريقية وهو إله ابن اورانوس وغايا أحياناً كما أنه والد إلهات النسيم. وأوكيانوس Okeanos تعني بالإغريقية المحيط، لأوقيانوس كإله في الميثولوجيا الإغريقية الكثير من الحكايات والقصص المختلفة.

نصل إلى مدينة "تان هوا"9 هدفنا الأخير، قطعنا النهر مرتين: المرة الأولى فوق نهر "ما" ومعناه الحصان بواسطة النقلات النهرية، والأخرى عند جسر "هام رونغ"10 أي فم التنين، لم يكن هذا الجسر الأخير مهدماً بل كان صالحاً للمرور، ولكن إخواننا الفيتناميين حرصاً منهم على سلامة الوفد قرروا نقلنا بواسطة زورق بخاري نهري من الضفة الواحدة إلى الأخرى، وقد حاول الأميركيون تهديم الجسر عدة مرات فلم يستطيعوا، وأسقط الفيتناميون عدداً كبيراً من الطائرات كما سنعلم فيما بعد.

رابية "دوي تونغ"

وصلنا إلى مدينة "تان هوا" في منتصف الليل تقريباً وكانت في ظلام دامس وقد علمنا أنه جرت قبل وصلونا ثلاث غارات في الليلة نفسها، وقد استقبلنا قائد المنطقة والمدير الإداري في فندق المدينة الذي تهدم قسم منه بسبب الغارات الجوية، ومما لفت نظري في قاعة الاستقبال وجود عدد من بقايا "كبسولات" القنابل تستخدم كسلات للمهمات. وذكرنا لنا أن الأميركيين ضربوا منذ عدة ساعات مكاناً يبعد عن المدينة 18 كم ليس فيه أي هدف استراتيجي أو غير استراتيجي، وفسرنا ذلك بأنهم في أول الشهر شاهدوا على ضوء انفجار أحد القنابل سيارة شحن، فظنوا أن المكان مركز مواصلات. وبعدما استرحنا قليلاً وتناولنا الشاي والفواكه، انتقلنا إلى رابية خضراء قرب المدينة يسميها السكان "دوي تونغ" أي غابة الصنوبر حيث أقيمت بعض المنازل لاستقبال الضيوف، وقد علمنا أن الوطنيين الفيتناميين يقدرون هذا المكان تقديراً خاصاً لأن "هوشي منه" الرئيس الفيتنامي جمع سنة 1945 مندوبي الشعب وتبادل معهم المشورة، وألقى إليهم بالنصائح اللازمة للقيام بحركة النضال التحرري التي لا تزال محتدمة منذ ذلك الحين، وقد علمنا أن كثيراً من الوفود أقامت قبلنا في هذا المكان.

والثلة تكثر فيها أشجار الصنوبر، وهي تشبه إلى حد كبير أحد التلال اللبنانية الصنوبرية لولا أن الحر والرطوبة أشد منهما هناك، مما يساعد على وجود البرغش وكثرت، فقد شاهدت في الصباح آثاره على جسمي لأنني من طبعي لا أستطيع النوم تحت الشاشنة الواقية، وبالرغم من أن وسائل الراحة غير متوفرة تماماً في ذلك المكان حيث تنقص المياه الجارية وغيرها فقد قضينا ليلة من ليالي العمر لا تنسى، كيف لا ونحن في قلب المنطقة التي تقصف كل يوم تقريباً، وغير بعيدين عن الفيتنام الجنوبية حيث يخوض الشعب أقسى معركة دامية مع أشرس

9- تانه هوا Thanh Hôa هي عاصمة مقاطعة تانه هوا. تقع المدينة في شرق المقاطعة على نهر ما (Sông Mã)، على بعد حوالي 150 كيلومتراً (93 ميلاً) جنوب هانوي و1560 كيلومتراً (969 ميلاً) شمال مدينة هوشي منه. بعد عام 1945 كانت المدينة معقلاً لفييت منه. في يناير 1946، نقلت فييت منه جميع الخلايا المحلية لـ VNQDD إلى المدينة. خلال حرب فيتنام، دمر القصف الاستراتيجي الأمريكي الكثير من المباني والبنية التحتية. تمت إعادة بناء المدينة بالكامل منذ ذلك الحين. تم بناء حصن المدينة على شكل نجمة في عام 1804 في عهد الإمبراطور جيا لونج لتحسين الدفاع عن المدينة. لقد تأثرت بالفرنسية ودافعت عن السكان بخندق مائي. وهي الآن منطقة سكنية تغطي جناحي سيين بيان وتان سين.

10- Ham Rong Bridge أربع كيلومترات شمال مدينة تانه هوا جسر هام رونغ، الذي يعبر نهر ما. يُترجم "هام رونغ" إلى "فك التنين"، حيث أن الجسر معروف تاريخياً للفيتناميين. تم بناء جسر هام رونغ في عام 1964، ليحل محل جسر سابق شيد في فرنسا في نفس المكان الذي دمره فييت منه خلال حرب الهند الصينية الأولى. لقد كانت جزءاً مهماً من البنية التحتية خلال حرب فيتنام وواحدة من عدد قليل جداً من نقاط الاختناق الصافية على طول طريق الإمداد بين هانوي على بعد 80 كيلومتراً إلى الشمال، ومدينة فينه الساحلية إلى الجنوب، وفي النهاية هو تشي منه تريل في الجزء الغربي من البلاد. على ارتفاع 540 قدماً وعرضه 56 قدماً، تم بناء جسر هام رونغ لدعم حركة مرور السيارات والسكك الحديدية، مما يعني أن الجزء الأكبر من المواد الموجهة للسفر عبر الممر إلى الحرب في الجنوب عبرته. أصبح الجسر أحد أكثر أقسام العقارات إستراتيجية على كلا الجانبين، وفي النهاية أحد أكثر الأجزاء التي تم الدفاع عنها بشدة في شمال فيتنام.

استعمار، وكأننا نسمع هدير جحافل هذا الشعب تدق بقبضاتها الفولاذية أبواب النصر فنفتح لها على مصراعيها. نهضنا باكراً جداً لأن المنهاج كان يتضمن بقاءنا في المنطقة يوماً واحداً، وفي مثل الظروف التي تعيش فيها الفيتنام حاضراً يجب التقيد بالمنهاج بحذافيره، لأن كل هفوة ربما تؤدي إلى ما تُحمد عقباه، وعلينا في يوم واحد أن نقوم بعمل كثير كأن نستمع إلى الناس، ونزور الأماكن التي قصفتها الطائرات ونشاهد عن كثب آثار الدمار في المستشفيات والمدارس ومنازل السكان المدنيين.

وإذا كنت أحمل عن هذه الزيارة كثيراً من الذكريات فذلك لأن المآسي التي يحدثها العدوان الأميركي على الفيتنام الشمالية تظهر على أحسن ما يكون من الوضوح في معالم هذه المنطقة، وتؤلف مشاهد الخراب والضحايا من المدنيين أفصح شهادات ناطقة على عدم صحة مزاعم الأميركيين من أنهم يضربون فقط المنشآت العسكرية -على عدم شرعية عملهم هذا- ولا يتعرضون للسكان الأمنيين، والأهداف المدنية. وبعد تناول الشاي وطعام الصباح عقدنا اجتماعاً مع ممثلي السلطات والهيئات الشعبية في مقاطعة "تان هوا" حضره عدا مرافقينا الأتین معنا من هانوي نائب رئيس اللجنة الإدارية والسكرتير المعاون للجنة الحزبية ونائب الوزير سابقاً في هانوي السيد "فو نغوين ليونغ" والقائد العسكري للمنطقة "نوي" ورئيسة الكوبراتيف 11 لقرية "نام نغام" ونائبة رئيس الفرقة الحزبية فيها الأنسة "هوانغ هوي" وقد قادت إحدى المعارك التي أدت إلى إسقاط بضع طائرات أميركية.

وبعد كلمة ترحيب بنا ألقاها الرفيق "فو نغوين لونغ" والرد عليها من قبل أحد أعضاء الوفد تحدثنا في منهاج الزيارة واتفقنا على القيام بيوم حافل لا يترك لنا فيه مجال للراحة، وكيف يطلب الراحة ويقصدها من كان في جبهة القتال، حتى ولو لم يكن اشتراكه يتجاوز المشاهدة فقط وتسجيل الملاحظات. ثم باشرنا فوراً بتنفيذ المنهاج، فاستمعنا إلى الحاضرين يحدثوننا عن قصص العدوان الاستعماري من جهة، وعن قصص أو بالأحرى عن أساطير البطولة التي قوبل بها هذا العدوان من جهة أخرى. وسأحاول أن أنقل أقصى ما أستطيع من أحاديث ومن مشاهدة، لأن الحديث عن معركة بلسان بطلها لا يعادله حديث، لأن الواقع يتكلم بأفصح لسان وأفضل برهان.

وفي غرفة صغيرة متواضعة اجتمعنا مع ممثلي الأبطال الفيتناميين في مقاطعة "تان هوا" وإنك تشعر وأنت تستمع إليهم يتحدثون بحرارة البطولة والإيمان بالنصر تفاهة مئات بل آلاف الملايين التي تخصصها الولايات المتحدة لأعمالها في الفيتنام، كما تشعر بأن تهديد جونسون بالبقاء في الفيتنام لن يتحقق له النجاح، مادام الشعب بكامله -وأي شعب بطل!- أن يرضى عن ذلك. يمكن أن يمكث "الزائر" غير المرغوب فيه بالقوة بعض الوقت في بيت، أما المعتدي الأميركي فلن يستطيع أن يبقى في الفيتنام، وإذا استطاع أن يصمد بعض الوقت فذلك على حساب تضحيات كثيرة لن يكون أقلها خسارة الأرواح ومليارات الدولارات

11- الكوابراتيف: هو مفهوم اشتراكي يعني تحول اقتصاد الدولة إلى مجموعة وحدات مستقلة قادرة على الاكتفاء الذاتي أو تأمين احتياجاتها دون الرجوع للحكومة المركزية وهو ما عرفه كارل ماركس بالتعاونيات القروية والمقاصف العمالية. وفي الثورات الشعبية كانت لها مهمة إدارة الموارد في المناطق البعيدة عن مركز القيادة، وفي الفيتنام كان لها دور في التعامل مع الألغام والمخلفات الحربية، كما أنها كانت تدرّب الأهالي على طرق التعامل مع الغارات الجوية وأثارها من حرائق وغازات سامة.

والأسلحة. واليوم عندما أقرأ أرقام الميزانية الضخمة التي يخصصها جونسون لأعماله الحربية في الفيتنام، والتصريحات التي يدلي بها عن عزمه على البقاء في الفيتنام إذا لم يقبل شعبها بالمفاوضة على الأسس التي يرغب بها هذا الرئيس، وعندما أراه يحمل بإحدى يديه أشرس الأسلحة وأكثرها فتكاً ويلوح بخجل في اليد اليسرى بغصن زيتون يابس¹²، تعود بي الذاكرة إلى تلك الغرفة المتواضعة على تلة "دوي تونغ" وإلى هؤلاء الناس البسطاء مظهراً ونفساً الذين تتجسد فيهم البطولة والتضحية بأبهي معانيها وأحلى صورها، يحمل كل منهم إلى جانب إباطه وشممه وتصميمه حباً لا حدود له للسلم والتحرر والانعقاد والإنسانية.

وبعد كلمة ترحيب ألقاها السيد "فو نغوين لونغ" بدأ القائد "نوي" يحدثنا عن الوضع بشكل هادئ ورزين يحملك على الإيمان مثله بأن قضية شعبه ستنتصر، وقال: "قبل الدخول في التفاصيل أريد أن أعطيكم فكرة عن استعدادنا منذ أول عمل عدواني أميركي على بلادنا ثم عن روح الكفاح التي تسيطر على شعبنا وجنودنا، ثم أعرض لكم الحوادث التي تعرضت لها منطقتنا من قبل المعتدين". "في الثاني من آب سنة 1964 اخترق الأميركيون مياهنا الإقليمية واقتربوا حتى مسافة 8 أو 10 كم من الشاطئ فردتهم قطع أسطولنا. وابتداء من الثالث والرابع من شهر آب سنة 1964 بدأوا غاراتهم على الفيتنام الشمالية بقصف مدينة "نن بنه" فقابلهم الجيش والمليشيا وجميع السكان بالمقاومة بالرغم من أن الغارة كانت مفاجئة وتوصلنا إلى إسقاط ثلاث طائرات".

"ومنذ ذلك التاريخ بدأنا على شكل واسع بتهيئة السكان لخوض المعركة وشرح مناورات الأميركيين، ودعوتهم إلى التدريب على مقاومتهم وتحسين تدريب الجيش والمليشيا، وبناء الملاجئ والخنادق وأماكن الدفاع، وقد تمكنا من تجنيد الألوف للعمل في بناء الملاجئ والخنادق، وكنا نعمل على تقوية روح اليقظة والتقليد القائم على التضامن والتعاون بين جيشنا النظامي وشعبنا. ومن الأمثلة على ذلك أنه في 4 نيسان 1965 وخلال العدوان الذي قام به الطيران الأميركي على بعد 20 كم من هنا كانت إحدى فرقنا تجتاز النهر بواسطة مركب وقد وصل قسم منها وبقي قسم آخر وعند سماع صوت الطائرات المغيرة وضعت الفرقة جميعها في حالة التأهب، وحالاً جاءت المليشيا للانضمام إلى الفرقة ومساعدتها، والاشترك معها في القتال، ومنها أنه في أثناء ما كانت مدفيعتنا تطلق النار على الطائرات كان سكان المنطقة يشتركون في القتال بالقيام بأعمال التموين، فكان الشيوخ والأولاد يقومون بطبخ الأرز وصنع الشاي وحمل كل ذلك إلى ساحة المعركة وفي كل مكان يحل فيه جنودنا نلاقي من السكان كل مساعدة في التموين وإقامة الإنشاءات والاستحكامات".

"أما عن الأميركيين فمن أعمالهم أنهم جاءوا في صباح أحد الأيام ورموا مناشير تتحدث عن الظروف القاسية التي يعيش فيها شعبنا -طبعاً كانوا يكذبون- وبعد الظهر قصفوا الناس بالقنابل، وفي عيد البدر الكامل -وهو عيد يحتفل فيه الفيتناميون كما يحتفل المصريون مثلاً بعيد فيضان النيل- رموا من الجو بالهدايا والألعاب إلى الأطفال مع منشورات تقول: جننا

12- لاحظ أن حسيب نمر يذمر هذا الوصف عام 1965 أي قبل تسع سنوات من خطاب الرئيس الراحل ياسر عرفات ب امام الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1974 عندما قال: "لقد جنت حاملاً غصن الزيتون في يد وفي الأخرى بندقية الثائر، فلا تسقطوا الغصن الأخضر من يدي!"

لمساعدتكم لأنكم في عوز، وقد وقع قسم منها في البحر، فلما جاء الناس يلتقطونها أطلقوا عليهم النار ورموهم بالقنابل مما حمل الناس على القول: إنها هدايا مجرمة قاتلة. كان ذلك في "تنه غا" على بعد 30 كم من هنا إلى الجنوب". "وفي اليوم 23 من شهر أيار سنة 1965 كانت تقام السوق في "توترو" فجاءت الطائرات الأميركية ورمت على المشتركين في هذه السوق عشرين قنبلة وصاروخاً فقتل 11 شخصاً وجرح 26، ولولا أننا أقمنا حول السوق وسائل الدفاع المدني من خنادق وملاجئ، وتمكنا من الإنذار في الوقت المناسب لكان عدد الضحايا أكثر بكثير".

"وبتاريخ 15 حزيران سنة 1965 عند الساعة الواحدة والنصف ظهرراً قصف الأميركيون "باموي" على بعد 12 كم من مركز المنطقة صوب البحر، حين كان أعضاء الكوبراتيف يدرسون زراعة الفستق فقتل 12 شخصاً وجرح 28". "وفي الخامس من تموز سنة 1965 وعند الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر كان أعضاء كوبراتيف "تيو نغوين" الزراعي يقطفون الفستق والقطن ويضعون الأسمدة، وكان الأولاد يلعبون في باحة المدرسة، فجاءت الطائرات الأميركية وقصفت المكان فقتل 15 شخص بينهم ستة أولاد ومعلمان، وقد قُتل من أسرة قائد الميليشيا ثلاثة أولاد وجرح واحد، وقُتلت شقيقة أمين سر الفرقة في القرية، وولدان له، فغطينا جثث قتلاهما، وطلبنا من الذين علموا بالخبر كتمانهم، ثم استمرا في العمل كأن شيئاً لم يحدث. وقد جرح أيضاً 26 شخصاً، وقد ألقوا على هذا الكوبراتيف أربع قنابل هدمت ثلاثين بناء وجميع إنشائه".

"وبين الجرحى كان ولد لا يتجاوز السادسة من عمره فلما جاءوا للاعتناء به قال لهم: أين أذهب لتلافي القنابل؟ فقيل له: اذهب واختبئ وراء السد. وتحامل ثلاثة أولاد أكبرهم في العاشرة من عمره، أصيبوا بجراح، على أنفسهم، وانتقلوا خارج منطقة الخطر. وجرحت إحدى المعلمات فقالت للناس الذين يعتنون بها: خذوني من هنا أريد أن أعيش". "وفي 8 تموز سنة 1965 بدأوا بقصف مستشفى السل، واستمروا في قصفه حتى تهدم بكامله". "وفي 4 آب سنة 1965 وعند الساعة الثامنة والرابع تماماً قصفوا مزرعة "كيو داي" أي الجسر الكبير، فقتل 22 شخصاً وجرح 25 ويوجد قرب هذه المزرعة جسر صغير هدم". "هذه بعض الأمثلة وليست كلها فمقاطعتنا تعد 21 منطقة أصيبت كلها ولم تسلم منها واحدة، ومع ذلك يتشدق الأميركيون بأنهم يقصفون القواعد العسكرية فقط بينما هم في الواقع يقصفون المدنيين والمدارس والمستشفيات". "ولكن هذا القصف لا يمر بدون أن يلحق الأميركيين خسائر كبيرة، ففي مدينة "تان هوا" وحدها أسقطنا 11 طائرة أميركية وضابطين برتبة

"ليوتنان¹³" و"43 برتبة "قومندان¹⁴" وأربعة برتبة "ليوتنان كولونيل¹⁵". وقد علمتنا التجارب أن الطيارين الأميركيين يدرسون جيداً حتى طرق الاستسلام، وقد تهيئوا لثلاث طرق من الاستسلام، رفع الأيدي، وإذا كانت مكسورة فرفع الأرجل، أو النوم أمام رجال المليشيا. ولقد تمكن الأميركيون فقط من إصابة المعسكرات ثلاث مرات ولم تكن هي المقصودة بالذات لأنهم يعرفون جيداً أننا لا نقيم في المعسكرات".

وقد شاهدنا على وجه القائد أثر جرح فسألنا عنه فقال لنا أنه جرح في وجهه في أثناء حرب المقاومة الأولى ضد الاستعمار الفرنسي. أما السكرتير المعاون للفرقة الحزبية فتحدث إلينا عن تأثير القصف في حياة المنطقة الاقتصادية فذكر لنا أن الغارات أثرت في حياة المنطقة الاقتصادية كما أثرت في اقتصاد البلاد كلها، وقد حصلت خسائر في البيوت والحيوانات والآلات كما أن أشخاصاً عديدين قتلوا أو جرحوا وبعضهم شفي من جراحه، وقد كان التأثير كبيراً في الأيام الأولى من قيام الغارات لأننا لم نكن قد اتخذنا بعد الإجراءات المؤدية إلى الرد عليها، ولكن بعد نيسان سنة 1965 اقتنع الجيش النظامي والمليشيا والسكان بأن قضيتي القتال والإنتاج مرتبطان الواحدة بالأخرى، وهكذا أصبح شعار الجميع: القتال والعمل، عندما يأتي العدو نقاتل وفور ذهابه نعود إلى العمل. وفعلاً عندما قمنا بجولة في المنطقة بعد انتهاء المحادثة، رأينا الفلاحات والفلاحين وبينهم نساء وشيوخ يلجؤون إلى الخنادق عندما يعطى الإنذار بالغارة فما أن ينتهي الإنذار حتى يعودوا إلى العمل وكان شيئاً لم يحدث، لقد كان من أهداف الأميركيين من الغارات تحطيم معنويات الشعب وتهديم أعصابه ولكن الشعب الفيتنامي عرف كيف يرفع معنوياته ويزيد من برودة أعصابه ومقاومتها، بدلاً من أن ينال الأميركيون ما يهدفون إليه أصيبوا هم بانهيار الأعصاب والمعنويات وأصبح حتى سياسيوهم لا يعرفون كيف يتصرفون وكيف يخرجون من الورطة التي أوقعوا أنفسهم فيها.

وتابع السيد "فو" يحدثنا عن التقدم الذي حققته الأعمال حتى أنها تجاوزت معدلات ما قبل البدء بالغارات فذكر أنهم في الموسم الأخير أي موسم الشهر الخامس من سنة 1965 اشتغلوا ليلاً نهاراً وتمكنوا من إنهاء العمل خلال 12 يوماً بدلاً من عشرين. وفي المناطق التي نعتقد أنها معرضة للخطر كمقاطعة "نام نغام" القريبة من جسر "هام رون" أسرنا نجني الموسم في وقت أقل من الماضي. " وفي المراكز القريبة من مركز الأميركيين تأثر الاقتصاد فيها أكثر منه في غيرها ولكننا في المناطق الأخرى نحاول مضاعفة الإنتاج والتعويض عما نخسره في الأمكنة الأخرى. أما الصناعة فقد تأثرت أيضاً ولكن مقاطعتنا زراعية بالدرجة

13- ملازم أول (بالإنجليزية: First-Lieutenant) رتبة عسكرية هي ثاني رتبة للضباط تلي الملازم وهي عبارة عن نجمتين تعلقان على الكتف ومدة بقاء الضابط فيها 4 سنوات وتليها رتبة نقيب. هو ضابط في الجيش الأمريكي، ويقوم بنفس مهام الملازم الثاني في الجيش الأمريكي، ويكون الملازم الأول إما قائد فصيلة مكونة من 15-50 شخصاً أو رئيس أركان لأحد الكتائب.

14- رائد هي رتبة عسكرية تلي رتبة النقيب وتسبق رتبة المقدم. شكل الرتبة في المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية هو عبارة عن تاج يوضع على الكتفين، وفي الجمهورية العربية السورية وجمهورية العراق وجمهورية مصر العربية هو عبارة عن عقاب ذهبي يوضع على الكتفين، وفي جمهورية السودان الديمقراطية رسم شعار جمهورية السودان الديمقراطية (صقر الجديان) وفي الجمهورية اليمنية الطير الجمهوري. رتبة الرائد في الجيش الأمريكي، هو ضابط أركان لعدد من الجنود بشكل أكبر، ويكون مثل الكتيبة مكونة من 800 إلى 5000 جندي، ويعمل ضابط عمليات S-3، كما يتحمل مسؤولية تنفيذ الكتائب والألوية في الجيش الأمريكي.

15- مُقَدَّم هي رتبة عسكرية من رتب الجيش والشرطة، فوق الرائد ودون العقيد، شعار هذه الرتبة هو عقاب ذهبي ونجمة على كلا الكتفين. يتم منح رتبة مقدم للضباط في الجيش الأمريكي، من قبل وزير الدفاع الأمريكي ويعمل المقدم في الجيش كقائد للكتائب المكونة من 800 فرد، والتي يتم تقسيمهم إلى 4-6 كومياني، وفي بعض الأوقات يعمل قائد أركان لبعض الألوية، ويكون المقدم قائد الكتيبة له السلطة الكاملة بداخلها.

الأولى. إننا نعمل وقتاً أطول وبجد أكثر لكي نتغلب على الصعوبات التي يحملها إلينا قصف الطيران الأميركي، ومنذ 5 آب سنة 1964 حتى الآن وخاصة ابتداء من 2 نيسان 1965 حتى اليوم لم تحصل حالة واحدة من التخاذل والخيانة في المناطق المعرضة للقصف يومياً تقريباً حتى يمكن القول أن حجم الإنتاج في جميع الميادين قد ارتفع عنه في الماضي بشكل عام.

"في الأيام الأولى فوجئ الناس ولكنهم بعد ذلك أخذوا يعتادون شيئاً فشيئاً وارتفعوا إلى مستوى القضية وأظهروا من البطولة والشجاعة ما جعلهم يتغلبون على جميع الصعوبات. لقد كان السكان في بادئ الأمر يصابون ببعض الخوف والذعر أما اليوم فإنهم يبدون وكأن الأمر لا يزيدهم إلا جداً وإقداماً، فمثلاً في قرية "غياب" بمقاطعة "هواين" هرب السكان وهم يتألفون بأكثرية من الكاثوليك في بادئ الأمر عندما قصفتها الطائرات وقتلت كثيراً منهم، أما الآن فإن هذه القرية تظهر كثيراً من البطولة والتضحية ويقابل سكانها الطائرات بكثير من المقاومة وبرودة الأعصاب".

وبعد ذلك أخذت الأنسة المناضلة "هوانغ هويان" رئيسة الكوبراتيف تحدثنا عن الفرقة التي تقودها، وعن القرية التي ترأسها، وهي تعطينا نموذجاً رائعاً عن كل قرية في الفيتنام، فقالت أن قريتها "نام نغام" تقع على بعد خمسمائة متر من جسر "هام رونغ" وعلى الضفة اليمنى لنهر "ما" وقرب الطريق الرئيسي رقم واحد الذي يربط الصين بسايغون¹⁶، وتمتد حول القرية حقول الأرز، وتبعد كيلومتراً عن المدينة وإلى جانبها منشآت صناعية وفيها المولد الكهربائي. وفي الأيام الأولى أي في آب سنة 1964 اجتمعت فرقة القرية ودرست خطة الاشتراك في المعركة على ضوء خطة الحكومة والحزب وتعليمات القائد العسكري للمنطقة، وقد أدركنا منذ الوهلة الأولى أهمية قريتنا بسبب موقعها المشار إليه، ووضعنا أمام كل عضو في فرقة الحزب مهمته الخاصة ونظمنا وحدات للقتال ووحدات تعمل في المؤخرة وطلبنا من السكان أن يتخذوا الاحتياطات لملاقاة طائرات العدو، وأنشأنا مراكز دفاع تابعة للمليشيا وصنعنا قبعات من القش للوقاية من "قنابل الأناناس"¹⁷ ونظمنا فرقة مليشيا خاصة من 53 شخصاً (22 فتاة و31 شاباً) قائدها الفتاة "هانغ" وعمرها عشرون سنة، ونحن نتدرب يومياً دون انقطاع، ونقوم بتعليم الشيوخ والأولاد.

ومن الحوادث التي روتها لنا وفيها تتجسد بطولة الشعب الفيتنامي أن الطائرات الأميركية جاءت في 2 نيسان سنة 1965 عند الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر بأعداد كبيرة لضرب جسر "هام رون" ولكن يجب القول أن وحدتنا كانت في مراكزها قبل وصول الطائرات لأننا

16- مدينة هو تشي منه هي أكبر مدن فيتنام. عرفت سابقاً باسم سايجون كانت قديماً ميناء يستعمله الخمير. وعُرفت باسم بري نوكور. قيل أن يضمها الفيتناميون في القرن السابع عشر. شكلت سايجون عاصمة المستعمرة الفرنسية السابقة كوشينشينا، وكذلك عاصمة فيتنام الجنوبية (قبل الاتحاد) بين سنتي 1954 و1975، وفي سنة 1976، بعد سقوطها في أيدي الشيوعيين، اندمجت سايجون مع جيا دينه وأصبح اسمها منذ ذلك الوقت هو تشي منه (رغم أن البعض لا زال يناديها باسمها القديم سايجون). وسط المدينة يقع على ضفاف نهر سايجون تبعد بـ 60 كيلومتر عن بحر الصين الجنوبي و1760 كيلومتر جنوب هانوي عاصمة فيتنام.

17- قنبلة على شكل طلقة وضعها الجيش الأمريكي لحرب فيتنام. القنابل المليئة بحوالي 600 كرة صغيرة من الصلب مدمجة في مطروف من السبائك مع حوالي 600 قنبلة تنفجر في الهواء وترش القنابل المميته انفجار قنبلة الأطفال عن طريق الهبوط وينثر الكرة الفولاذية. انفجار قنبلة أحد الوالدين يضرب عشرات الآلاف من الكرات الفولاذية في نطاق مئات الأمتار، وتأثير قتل الأفراد كبير للغاية. هذا نوع من قنبلة الأناناس لأن شكل قنبلة الطفل يشبه الأناناس. وضعت الولايات المتحدة مخطط القنبلة اليدوية MK2 قبل الحرب العالمية الثانية، الملقبة "pineapple" (الأناناس) بسبب سطحها المخدد. وقد استخدم هذا السلاح على نطاق واسع من قبل القوات الأمريكية،

نتوقع ذلك على اعتبار أن هذا الجسر من أكبر جسور الفيتنام ويقع على الطريق الدولي الرئيسي. كان الأميركيون يأتون على دفعات وعلى علو قليل كأنهم أسراب من الغربان، كان على وحدتنا وهي تقوم بعملها على تناسق تام مع جيشنا وبحريتنا أن تشترك في المعركة، فانقسمت إلى قسمين تمركز أحدهما على بعد 500 متر من الجسر والآخر على طرف القرية، وكانت مهمة القسم الأول إطلاق النار على العدو عندما يندفع هابطاً لضرب الجسر، ومهمة القسم الثاني إطلاق النار عليه عندما يعود إلى التحليق لإجباره على التحليق في مكان يصبح معه ضمن هدف المدافع المضادة للطائرات وكان السكان يشتركون أيضاً في المعركة، وراح عدد من الشيوخ والأولاد يهيئون الطعام والشاي للمقاتلين ولم يتأخر أحد منهم عن القيام بواجبه الوطني، ففي المعبد البوذي "باغود القرية" تقيم امرأة مسنة جداً طلبت الاشتراك في القتال وكذلك التلامذة، والأولاد، واشتركت أيضاً فرق من الإنقاذ والمعاونة الطبية، كما اشترك عدد من السكان بنقل المؤن والامدادات حتى أن الشابة "نغوني توين" توصلت إلى حمل 96 كيلوغراماً من المؤن دفعة واحدة أي كيسي من المؤن بينما أن الانسان عادة لا يحمل إلا كيساً واحداً، وذلك بالرغم من أنها في التاسعة عشرة من عمرها ولا يزيد وزنها عن 46 كيلوغراماً. أما الفتاة "هان تي تنه" فقد استمرت في عملها المكلفة به بالرغم من أن قنابل العدو كانت تقع على بعد ثلاثة أمتار منها.

وساهمت وحدتنا في هذا اليوم بإسقاط 17 طائرة دون حساب الطائرات المصابة والفارة التي ربما تكون قد سقطت في البحر أو تمكنت من الوصول إلى قواعدها. لقد استمرت الغارات من الساعة الواحدة والنصف من 3 نيسان إلى الساعة الثامنة من 4 نيسان سنة 1965 وقد تمكنت مليشيا قريتنا وسكانها من نقل 30 طناً من الامدادات على الطريقة الفيتنامية، أي بواسطة الحمل على الأكتاف على طرفي قطعة من الخشب. وفي المساء كنا نعقد اجتماعاً بإدارة ممثل قائد مليشيا المنطقة لاستعراض النتائج والبحث في إيجاد الطرق لعدم الاسراف في تبذير الرصاص لمسيب الحاجة إليه ولعدم توفره بكثرة، فوصلنا طلب من قائد المنطقة لإرسال 40 شخصاً يقومون بإصلاح ما خربه العدو، فتسابق الشباب إلى التطوع بالرغم من تعبهم بعد معركة شديدة دامت النهار كله.

وفي اليوم التالي منذ الصباح الباكر تناولنا الطعام وأصبح الجميع في مراكزهم، وعند الساعة السابعة والثلاث وصلت طائرات العدو كما جاءت في اليوم السابق، وبما أننا كنا قد اتخذنا العبرة من معركة أمس، فقد كانت النتائج التي حصلنا عليها أحسن، ولا بد لي أن أنوه هنا بالشاب "هوانغ فان فيان" وهو في السابعة عشرة من عمره حاول أن يكذب في سنه للدخول في الجيش فلم يقبل لصغر سنه. في هذا اليوم كان الأميركيون يقصفون الجانب الأيسر من النهر حيث يوجد مخفر الشرطة، وعندما طلبنا متطوعين لمساعدة أفراد الشرطة في نقل الوثائق كان هذا الشاب أول المتطوعين واخترق النهر بالرغم من القنابل المتساقطة، لقد عملنا حتى الساعة الرابعة بالرغم من القصف، وعندما عدنا مساءً إلى القرية بعد انتهاء المعركة كانت ثيابه ممزقة ووجهه مغطاة باللون الأسود وقد تمكنا في هذا اليوم من إسقاط 20 طائرة ولم يتمكن الأميركيون من تهديم الجسر. وقد منحنا الشاب ميدالية من الدرجة الأولى وحصل خمسة أشخاص على أوسمة من الدرجة الأولى وحصل عدد كبير أيضاً على

أوسمة من الدرجة الثانية. بعد 3 نيسان عملنا كي يشترك السكان بعدد أكثر وبمجهود أكبر في الإنتاج. عندما نقوم بعملنا، تعمل الميليشيا والبندقية والرشاش في الأيدي، وهكذا نحن مستعدون لإطلاق النار في كل وقت حتى أثناء العمل.

وفي 26 أيار سنة 1965، وفي أثناء الموسم جاء العدو يقصف للمرة الثالثة، وكان الناس مشغولين في أعمال الحصاد، بعضهم في الحقول وبعضهم في القرية، ولكننا دائماً على استعداد، وصلت الطائرات عند الساعة الثامنة والنصف صباحاً وكانت تقصد بناية مخصصة للبحرية بعيدة عنا فلم تستطع الميليشيا أن تطلق النار، ولكن عند الساعة العاشرة تكرر العدوان وكانت مراكبنا تصعد النهر وتقترب من القرية فطلب رجال الأسطول متطوعين منا لنقل المؤن والذخائر والجرحى فلبت وحدثنا الطلب، وفي أثناء المعركة أصيبت "هان" قائدة القسم الثاني بشظايا صاروخ فجرحت، وهكذا اضطررنا من جهة أن ننقل الجريحة "هان" ومن جهة أخرى أرسلنا متطوعين لنقل الجرحى من البحارة وقد تطلب هذا العمل إشغال جميع العاملين في الإنقاذ، وبما أن ماء النهر لم يكن عميقاً ذلك الوقت كانت المراكب في خطر الاصطدام بقعر النهر، مما جعلنا نسعى إلى إيجاد زوارق من القرية. وكان عملنا شاقاً جداً لأننا كنا مضطرين أن ننقل الجرحى على الأيدي لعدم تمكن الزوارق من الاقتراب من الضفة، وطلبت منا البحرية أيضاً متطوعين للحلول مكان الجرحى فقدمنا ثمانية أشخاص وهكذا لم يكن عملنا مقتصراً على المساعدة بل كنا أيضاً نهيئ العناصر للحلول مكان الجرحى الذين لا يستطيعون مواصلة القتال وأن كثيراً من الأسر في قريتنا اشتركت في القتال بجميع أفرادها، كأسرة "نغوتو".

وكانت الساعة قد قاربت الظهر تقريباً عندما انتهت البطلة الفيتنامية من حديثها، تسمعها وهي تحدثك بمظهرها البسيط البعيد عن أي زينة وبهجة ومساحيق، وتراها بلباسها المؤلف من قميص وبنطلون وصندل كما هو شأن جميع النساء الفيتناميات فتشعر وكأن جميع مليارات الرأسماليين الأميركيين وامكانيات جميع الاستعماريين في العالم لا يمكن أن تنال من مثل هذا الشعب الذي تقل نساؤه بطولة واندفاعاً عن رجاله. خرجنا لنرى أمام القاعة التي كنا فيها منضدة واسعة عرضت عليها جميع الأشياء التي توجد مع الطيار الأميركي وقد استطعت أن أعد منها 60 قطعة، وقد استلقت أنظارنا منها لائحة مكتوبة بأربع عشرة لغة تتضمن نداء من الطيار إلى الجمهور يطلب المساعدة والإيواء وتقديم الطعام مع وعد مكافأة من حكومة الولايات المتحدة. وكتيب يتحدث النباتات الصالحة للأكل، وعلبة تحتوي على وسائل صيد السمك، وآلة لتقطير الماء المالح وعلبة للإسعافات الأولية، ودهن لقلي المأكول وبوصلة، وخنجر ومسدس وعملات مختلفة إضافة إلى الدولارات إلخ... ولكن بالرغم من هذا التجهيز الكامل تستطيع "هوانغ" القروية البسيطة ومثيلاتها وأمثالها من إسقاط الطائرة الأميركية وأسر طيارها إذا بقي على قيد الحياة، فالآلة لا تستطيع الانتصار إذا لم يكن لها الإنسان الكفاء البطل المؤمن بقضيته، ولا بد لأميركا تجاه مثل هذا الشعب من أن تضطر يوماً إلى الرحيل عن الفيتنام وترك شعبها يقرر مصيره بنفسه، وأن نبوءة جونسون في البقاء هناك لن تصدق أمام الواقع البطولي والإقدامي لشعب الفيتنام البطل.

بعدها دققنا في الأشياء التي تجهز بها الولايات المتحدة الأميركية طياريتها، وعددها يزيد عن الستين علّق أحد رفاقنا الفيتناميين: "أما المناضل منا فليس مجهز بأكثر من بندقية وعدد من الرصاصات، وأسلحة بدائية وجفنة من الأرز.. الجندي الأميركي يحتاج إلى عشرة أشخاص يقومون بخدمته، يقدمون له الشاي، ويهيئون له الطعام، وينقلون له المواد والعتاد بسبب تخريب الطرقات، ويصلحون فراشه، بينما الواحد منا يفتersh الأرض مهما كانت ممطرة، وبهذا سنغلبهم وننتزع استقلالنا الكامل وحریتنا التامة. انظروا إلى كل هذه الأشياء، إنها ليست في نظرنا سوى خرق بالية، أو قطعاً معدنية لا فائدة منها، لقد أرادوا إذلانا فإذا بها مرمية أمامكم، مبعثرة كشاهد جديد يثبت أن بطولة الانسان لا تستطيع القضاء عليها آلات الدمار والخراب". فعلاً لقد رفع الفيتناميون مكانة الانسان إلى أعلى مكان، وأصبحوا في نظر الشعوب كنجمة القطب بالنسبة إلى الضاربين في عرض البحار والبوداي.

... وطلب منا أن ندخل لتناول الغداء، وقد حاول الفيتناميون بالرغم من ظروفهم أن يهيئوا لنا طعاماً جيداً تقبله أذواقنا المختلفة فنجحوا بذلك في كل مكان، وطبعاً على المائدة دارت بعض الأحاديث والأنخاب البعيدة عن التتميق والتصنع لقد كنا نتحدث مع أبناء الشعب الذين لا يعرفون إلا الطريق المستقيم، ويكرهون أكثر ما يكرهون المنحرفات والالتواءات والتعاريج. وبعد الغداء أتاحت لنا الفرصة لكي نأخذ قسطاً من الراحة وخاصة وأننا لم ننم في الليلة السابقة سوى ثلاثة أو أربع ساعات بعد سفر طويل شاق في منطقة تعيش بجو الحرب، وأنه لن يتاح لنا النوم في الليلة المقبلة، قبل أن نصل إلى هانوي عند الساعة الرابعة أو الخامسة صباحاً مع إشراقة الشمس.

حاولت النوم ولكنه جفاني بسبب الحر، فلم أجد إلا مقابلته بالمثل وجفائه أيضاً، فتركت الغرفة وخرجت إلى البستان المحيط بالمنزل، واخترت شجرة ظليلة تتلاعب في أوراقها الخضراء بعض النسائم الناعمة فلا يسمع من حفيفها سوى الهمسات الخفيفة، أخف من همسات حبيبين اجتماعاً وهما يخافان حتى أذني الرقيب المرهقتين. بسطت الشاشة الخضراء التي أعطيت لنا لنضعها على رأسنا للتخفي على الأعشاب الخضراء وجلست فوقها أجيل الطرف فيما حولي من أشجار شهدت ظلالها منذ عشرين سنة ممثلي الشعب الفيتنامي يحيطون بالرجل النحيف الشعري المظهر الفولاذي العزم "هوشي منه" ويعلنون أنهم وأبناء شعبهم لن يلقوا السلاح ويتركوا المعركة قبل أن تصبح الفيتنام دولة حرة ديموقراطية مستقلة، وأخذت أستعيد وأنا على أرض الفيتنام ما أعرفه من بطولات شعبها الأسطورية.

وأنا في ذلك انضم إليّ صديقي عضو الوفد المدعي العام بياماكو عاصمة مالي، فهو مثلي جفاه نوم الظهيرة فجاء يستظل الشجرة، وأخذنا نتحدث طبعاً عن الفيتنام وشعبها فاتفق رأينا على أن أصدقاءهما وحاصة التقدميين والاشتراكيين في جميع أنحاء العالم، لا يقدمون لهما ما يمكنهم أن يقدموا من مساعدات تتناسب وامكانياتهم من جهة، والمركز الهام الذي يحتله نضالهما في معركة الشعوب والتحرر وللسلم من جهة أخرى، ما من كفاح يجب أن يحصل على البذل والمساعدة ككفاح الشعب الفيتنامي الذي جابهه ويحابه أشرس ما عرف التاريخ من استعمار. وعندما وصل بنا الحديث وكان قد مضى عليه وقت، إلى الغارات التي تقوم بها

الطائرات الأميركية، وكيف تجابه من قبل أفراد الشعب الذي يكاد يكون أعزل من السلاح قلت له أمازحه: لو حدثت عارة ونحن هنا فإنك لن تحتاج إلى التخفي بسبب لوناك. وضحكنا كثيراً. وإذا بأحد مرافقينا الفيتناميين يطلب منا أن نسرع إلى الخنادق المحيطة بالمكان بسبب توقع حصول غارة، قال لي ونحن في طريقنا إلى أحد الملاجئ: ربما عرفوا بنا فجاءوا إلينا.

ولكن الطائرات مرت بعيدة عالية فلم نسمع سوى صوتها ولم نر منها إلا بقعاً سوداء تعكر صفاء سماء الفيتنام الشرقية وشفاء عيش الناس الطيبين، وبعد انتهاء الغارة استظنا الجلوس على حافة الملجأ، ففعلنا وأكملنا حديثنا متفقين على أن الولايات المتحدة لن تريح هذه الحرب، لا لأن الفيتناميين يستطيعون القضاء على قوتها العسكرية ودحرها، فهم بما يملكون من إمكانات وطبيعة الحرب التي يخوضونها غير قادرين على تحطيمها نهائياً، فهي تستطيع وستستطيع دائماً أن ترسل طائراتها وأسطولها وجنودها إلى الفيتنام، وحتى ولو لم يكن لها مركز قدم لن تكسب الحرب مهما فعلت لأنها لا تخوضها ضد جيش منظم فإذا قضت عليه ودحرته عسكرياً انتهت، بل أنها تفعل ضد شعب بكامله، كلما وضعت فرداً منه خارج القتال اندفع العشرات إن لم نقل المئات ليحلوا محله. وعدم كسب الحرب يعتبر هزيمة للولايات المتحدة لما تحركه إطالتها من قوى داخلية فيها، وخاصة عندما تزداد خسائرها في الأرواح، وتكف عن أن تحارب بسلاحها وجنود الآخرين، وقد رأينا طلائع نقمة شعبية تزداد يوماً عن يوم وتكسب إلى صفوفها أنصاراً¹⁸ كل يوم، ولما تؤثره في حلفائها وفي مشاريعها في شتى أنحاء العالم وخاصة وقد بدأت ميزانيتها الضخمة تنوء بأعبائها. إن الأميركيين يخوضون في الفيتنام حرباً بدون نهاية، إنهم كالسائر في طريق مسدود بشكل ينهك الاستعمار ويستنزف قواه، أما الفيتناميون فيكفيهم انتصاراً أنهم يستطيعون لا الصمود فقط أمام الآلة الحربية الضخمة، بل أنهم يوجهون إلى هذه الآلة ضربات بالصميم وجميع الدلائل تدل على أنهم لن يخضعوا لهذه الآلة. وإذا بإشارة الاستعداد للرحيل تعلن وتدعونا للعودة إلى هانوي مروراً ببعض المناطق المعرضة للقصف. ولم نلبث أن سعدنا إلى السيارات بعدما شكرنا وودعنا القيمين على منزل الضيافة، وكتبنا في السجل الذهبي لهذا المنزل بعض ما جادت به المخيلة حينئذ وقد لاحظت أن في السجل كتابات مختلفة اللغات لوفود من شعوب مختلفة، جمعها في هذا المكان تقديرها لبطولة الشعب الفيتنامي. إلا أنني كنت أول من يخط عبارات باللغة العربية، ربما لأنني كنت أول عربي يزور هذه المنطقة من الفيتنام.

كان الوقت بين الثالثة والرابعة بعد الظهر، وهو الوقت المفضل عند الأميركيين للقيام بغاراتهم الجوية، ولذلك حذرنا المشرف على قافلتنا وكان التحذير في محله، فما أن اجتزنا بعض المسافة بين الحقول حيث شاهدنا الفلاحين نساء ورجالاً يعملون وقسم منهم يحمل البنادق أو يضعها إلى جانبه وانحرفنا إلى طريق فرعي يؤدي إلى مستشفى تان هوا للسلس، حتى توقفت

18- ظهر مصطلح الكريلا Guerrillas لأول مرة في القرن التاسع عشر في اسبانيا كمصطلح عسكري تكتيكي عملياتي في القاموس العسكري، إلا أن تاريخ حرب الكريلا قديم قدم التاريخ الإنساني. لكن مصطلح Guerrillas دخل الإنكليزية بصيغة Guerrilla warfare ويترجم إلى العربية بصيغة حرب العصابات لغرض الإساءة لحركات التحرر الوطني والترجمة العربية مترجمة حسب شرح المصطلح في الإنكليزي. أنا مثلاً عندما أترجم Guerrilla warfare إلى العربية لا أترجم حسب ما يكتبه البعض بحرب العصابات بل أترجم مصطلح Guerrilla warfare إلى حرب الأنصار. وضمن المصطلحات الثورية هي حرب العصابات والحرب المضادة وحرب المستضعفين. أطلقت الفيت كونغ والمعروفة أيضاً باسم الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام، وهي جبهة مشتركة مكونة من الشيوعيين الفيتناميين الجنوبيين وقوات من شمال فيتنام، حرب عصابات ضد القوات المناهضة للشيوعية في المنطقة، أما جيش فيتنام الشعبي والمعروف أيضاً باسم الجيش الفيتنامي الشمالي (NVA)، كان يفضل حوض الحروب التقليدية، وقد أطلق العديد من الصراعات المسلحة من عام 1959 فصاعداً.

السيارات وأعلنت إشارة الخطر فنزلنا منها وأسرعنا إلى الملاجئ القريبة. وتقع حول هذه الملاجئ بعض أكواخ الفلاحين، وكان الأولاد الصغار يلعبون أمام هذه الأكواخ فما أن عرفوا بإشارة الإنذار حتى اتجهوا بكل هدوء إلى هذه الملاجئ، دون أن يبدو عليهم أي أثر للخوف أو الذعر، فلما شاهدونا راحوا يحدقون فينا مستطلعين فوجدنا كغرباء بينهم قد أثار فيهم الاهتمام أكثر من اهتمامهم بغارات الطائرات الأميركية، يظهر أنهم اعتادوا هذه الغارات بسبب تكرارها، حتى أصبحت في نظرهم مجرد ألعاب كالألعاب التي يتلهون بها أثناء الأعياد.

وكذلك رأينا بعض الفلاحات العاملات في الحقول القريبة من البيوت يجلسن على الأرض بعدما كن واقفات القرفصاء وبهدوء كلي، ودون أن يلتفتن إلى فوق تابعن عملهن في جمع الأعشاب، وكأن الأمر لا يعنيهن، وهن على يقين تام بأن القنبلة لن تصيبهن إلا إذا وقعت بقربهن مباشرة. نظراً لطبيعة أرضهن الوحلية، وعندئذ لا يمكن الالتقاء منها أي شيء، حتى بواسطة الملجأ. وهذه المرة كانت الطائرات أكثر قرباً منا عما كانت عليه في المرة السابقة فقد شاهدناها تحوم على علو كبير خوفاً من نيران الفيتناميين، وكانت تطير بأسراب متباعدة لا يزيد السرب منها عن طائرتين، وقد قال لنا أحد مرافقينا أن لجوء الأميركيين إلى هذه الطريقة حصل بعدما أصيبوا بخسائر كبيرة عندما كانوا يرسلون طائراتهم بأسراب كبيرة، وإذا استمرت أسرابهم في هذا التقلص فإننا نأمل أن نجعلهم يعدون للعشرة قبل أن يفكروا بضربنا.

رأينا كومتين من الدخان تتصاعدان على بعد عنا، ثم سمعنا انفجارين لقنبلتين، فقال المرافق وهو مناضل قديم من الجنوب لم يلق سلاحه منذ سنة 1945 صرح لنا مراراً بأنه سيظل حاملاً هذا السلاح حتى يطهر أرض الفيتنام من كل مستعمر أو دخيل أو معتد: "إن الانفجار حصل على بعد عشرة كيلومترات من هنا، ولمعرفة المسافة يكفي أن نبدأ بالعد عندما نشاهد الانفجار ونتوقف عند سماع صوته، فالرقم الذي نكون قد وصلنا إليه يدل على المسافة، وقد توصلنا إلى هذه الطريقة لمعرفة المسافات بفعل الممارسة والتجربة العملية".

لم نعد إلى السيارات إلا بعد ابتعاد الخطر نهائياً، فتابعنا سيرنا إلى المستشفى الذي كنا نقصده، ولم نلبث أن وصلنا إلى مكان تكثر فيه كما تكثر من حوله الخرائب، فقبل لنا: في هذا المكان كان يقوم مستشفى للسبل يدعى مستشفى ك 71 فنزلنا من السيارات، أمام المدخل الذي لا يزال قائماً وعليه إشارة الصليب الأحمر على الجانبين بلون أحمر لا يزال براقاً رغم القصف الشديد. وهناك استقبلنا مدير المستشفى السيد "لي فان كي" وبعد التحية أعطانا لمحة سريعة عن قصف المستشفى أراها كذلك للإسراع في الزيارة خوفاً من عودة الأميركيين للقصف، فقال أن العمل ببناء المستشفى بدأ منذ وقت ولكننا انتهينا حديثاً من إنشاء التجهيزات والأبنية الكافية لاستقبال المرضى من ثماني مقاطعات عدا مقاطعتنا.

ولم نكن نكتفي بمعالجة المرضى بل كنا نقوم بالدروس والأبحاث المخبرية والعلمية، وقد أفتتح المستشفى سنة 1960، وهو يضم 550 سريراً ويخرج سنوياً منه بعد الشفاء 1300 مريض، وقد توصلنا إلى هذه النتيجة في ظل النظام الاشتراكي فقط. وإلى جانب عملنا في

مداواة السل نقوم بالعمل للوقاية من هذا المرض، حتى أننا تمكنا من سنة 1960 حتى اليوم من إنشاء 90 مستوصفاً في مختلف الأنحاء التابعة للمستشفى للوقاية منه، وقد توصلنا بسبب هذه الإجراءات إلى تخفيض نسبة المرضى، فبعدما كان من 2.8% إلى 3.6% من السكان مصابين بالسل، هبطت هذه النسبة إلى 1%. ومنذ سنة 1960 حتى اليوم عالجتنا في المستشفى وشفينا 8000 مريض وهذا العدد يشمل فقط الذين يدخلون المستشفى ويعالجون فيه، وقد كانت هذه النتيجة مشجعة لنا وللناس، فقد أقمنا مكان الملاجئ التي كانت تستعمل كقاعات للمرضى أبنية حديثة أصبح عددها قبل القصف 50 بناية مؤلفة من حجر وقرميد بالإضافة إلى بعض الأكواخ الصغيرة، ولم يكن برنامج البناء انتهى بعد. وكنا مزعمين على إنشاء بناء للتصوير على الأشعة ولكن المستعمرين الأميركيين لم يمنعونا من ذلك فحسب بل دكوا ما كنا شيدناه، وقلبوه رأساً على عقب كما ترون.

في 8 تموز سنة 1965 جاءت الطائرات الأميركية وقصفت المستشفى أكثر من ساعة، وبما أننا كنا على ثقة بأن الأميركيين لا يتورعون عن ارتكاب أي عمل، فقد صورنا على السطوح علامة الصليب الأحمر التي لا تزال ظاهرة على الأنقاض كما تشاهدون، وهذه المرة خربوا خمسة أبنية تخريباً كاملاً. وفي 16 تموز من سنة 1965 قصف المستشفى مرة ثانية فخربت بنايتان وفي 21 تموز قصف للمرة الثالثة ظهراً عند الساعة الحادية عشرة والنصف؛ فخربت عدة أبنية تخريباً كاملاً، أما الخسائر البشرية فكانت خمسة قتلى من العاملين في نطاق المستشفى، كما قُتل عشرون شخصاً في المنطقة المجاورة للمستشفى. وبين القتلى كان الرفيق "كنه" وهو ممرض من الجنوب، فقد أصيب بجراح لكنه رغم ذلك استمر في مساعدة المرضى حتى قُتل، ولكن ذلك لم يفت من عزمنا، فنقلنا مرضانا إلى أمكنة أخرى ووزعنا عليها ما تبقى من تجهيزات ونستمر في عملنا الإنساني بحماسة أكبر بسبب ما غرسه فينا المستعمرون من حقد.

وكان يرافقنا أيضاً الدكتور "نغوين لانغ" من الجنوب، وكان يقوم بعمله في المستشفى في أثناء القصف فتنى على كلام زميله. ثم دخلنا المستشفى فإذا به عبارة عن أنقاض وقد حفرت القنابل الكبيرة من زنة خمسة أطنان حفراً كبيرة امتلأت بماء المطر وشكلت مستنقعات عديدة متفرقة في مختلف أنحاء الجنية (الحديقة) الواسعة للمستشفى، وقد شاهدنا الأبنية المختلفة وقد تهدمت بكاملها أو القسم الأكبر منها، وشاهدنا سيارة الإسعاف التابعة للمستشفى وقد احترقت وقلبت على ظهرها، وإلى جانبها قبلة لم تنفجر وقد عطلت، كما شاهدنا آثار المعاطف البيضاء ممزقة وملطخة بالوحل ومرمية على الأرض وبقايا أنابيب الأدوية، وأوعية المختبر المكسرة. وقد تناثرت بعض الأوراق التي كتبت عليها تطورات الصحية لبعض المرضى، كما شاهدنا على بقايا السقوف التي لا تزال قائمة بقايا علامة الصليب الأحمر، حتى الملعب المجاور للمستشفى لم يسلم من القصف وقد تهدم ما فيه من إنشاءات، كما شاهدنا حول المستشفى وفي الحقول المجاورة الحفر التي صنعتها القنابل الضخمة، لقد قيل لنا: أن الطائرات كانت تلاحق المرضى الهاربين إلى خارج أسوار المستشفى فتأقني عليهم قنابلها.

لقد كانت جميع الأبنية فعلاً معطلة، ولم تسلم منها أية واحدة، وفي إحدى جوانب الحديقة حيث كان يُلاقى المرضى الهواء الطيب والمنظر الأخضر الجميل استوقفتنا حفرة عميقة امتلأت بالماء لا يقل قطرها عن خمسة أمتار وقد تناثرت حولها وفيها بقايا الأخشاب والقرميد والمعادن المختلفة، وأكوام من الوحل والأعشاب ذات الرائحة الكريهة، فقيل لنا أنها من فعل قنبلة كبيرة تزن خمسمائة كيلوغرام، وقد أسقط على المستشفى وضواحيه عدد كبير منها. وحول المستشفى قامت منازل يسكنها العاملون فيه من أطباء ومرضى ومستخدمين فتهدمت أيضاً، حتى لم يبق في ذلك المكان سوى الخراب والدمار ومشاهد تدل على وحشية المستعمر واستهتاره بكل عُرف وقانون، ولولا امرأة شاهدناها في حديقة المستشفى المهدم تجمع بعض الأعشاب النابتة طعاماً للحيوانات لكان كل أثر للحياة زال من ذلك المكان حيث كان إلى زمن قريب مكاناً يلجأ إليه المرضى وقد يسوا من الحياة، فتعود إليهم العافية والأمل الكبير بها. أية وحشية هذه تهدم المستشفيات على مرضاهم، وتقتل من نذروا أنفسهم لإنقاذ الإنسان من أمراضه وإعادة الأمل والعافية إليه، وتلطح بعارها نقاوة المعاطف البيضاء، ومع ذلك يتجاسر المستعمرون على القول: إننا لا نقصف سوى الجسور والمنشآت العسكرية.

في قرية "دونغ في"

بعد انتهاء زيارتنا لمستشفى السل ك 71 أو على الأصح ما كان يسمى مستشفى، واطلاعنا على ما خلفه الاستعمار الأميركي من دمار وخراب، وأعمال مخالفة للإنسانية والشرائع الدولية، تركنا المكان وكلنا حقد على ما يرتكبه من فقدوا كل روح إنسانية، ونظن أن جميع الناس الطبيين مهما كان لونهم وكانت ميولهم يشاطروننا هذا الحقد، ويجدون أن الغيرة المتأخرة، لبعض الذين عرفوا في كل تصرفاتهم بتأييد الاستعمار، ومقاومة الحركات الوطنية لا تدل إلا على أن هذا الحقد الشعبي العام أخذ يغرق بتياره المستعمرين الأميركيين فهبوا مع أصدقائهم وعملائهم في محاولة يائسة لإنقاذ ولو كان ماء الوجه فقط، لقد أصبحوا يكتفون به في الوقت الحاضر.

وعرض الخلاف على مجلس الأمن ليس إلا محاولة أيضاً من جملة المحاولات لتدويل قضية الفيتنام، واللجوء إلى هيئة دولية تلعب فيها الولايات المتحدة دوراً أساسياً وتملك أنصاراً كثيرين، على هذه الهيئة تتمكن من إنقاذ سمعة الاستعمار الأميركي الملتخة بالوحل أو على الأصح الغارقة في مستنقعات الفيتنام وُحوله، وقد أفقدته الضربات المكيلة من الشعب الفيتنامي صوابه، فراح يخبط خبط عشواء¹⁹ في ليل مدلهم. عدا عن أن الاتفاقيات التي هي في أساس الوضع الحقوقي الحاضر في الهند الصينية الفرنسية القديمة، ومنها الفيتنام، من نتائج مؤتمر جنيف، وهيئة المؤتمر المذكور لا تزال قائمة، فلماذا ترفض الولايات المتحدة اللجوء إليها، بل بالعكس عملت منذ سنة 1954 ولا تزال تعمل على شلها، وعدم تمكينها من تنفيذ مقرراتها.

19. هذا التركيب الإضافي بحكم المجاز يقال: كناية عن التصرف في الأمور على غير بصيرة أو تدبّر، وهذا المعنى مأخوذ من العشواء وهي الناقة الضعيفة البصر التي تخبط رجلاها الأرض بطريقة عشوائية؛ لأنها لا تبصر أي لا ترى ما تحتها وجرى هذا التعبير الاصطلاحي مجرى المثل وشاع استعماله عند الناس بهذا المعنى لما فيه من البلاغة، قال زهير بن أبي سلمى: رأيت المنايا خبط عشواء من نصيب/ ثمته ومن تُخطئ يُعمر فيهم. ولعل قولهم: عشوائي نسبة إلى الناقة العشواء في تخبطها

ولم توفر الولايات المتحدة أحداً في العالم تستطيع أن تمارس معه الضغط أو التدخل لمساعدتها للخروج من الورطة، فقد طلبت من الجمهورية العربية المتحدة²⁰ أن تقوم بمهمة الوساطة²¹، فقبلت ثم رفضت تجاه إصرار الفيتناميين على الدفاع عن حقهم كاملاً حتى النهاية، ثم أصدر البابا بياناً يدعو فيه إلى السلام بالفيتنام بعدما لم تقم البابوية بأية بادرة أو تدل بأية كلمة منذ أكثر من عشرين سنة حتى اليوم، وكان يبدو وكأن القضية لا تهمها من قريب أو بعيد، فإذا بها تنقلب فجأة إلى داعية للسلام²² على أرض الفيتنام. لا بد للإنسان أن يفكر بجميع هذه الأمور وبغيرها عندما يعيش مرة أخرى، ولو بالذاكرة والخيال، على أرض زارها فانطبعت بطولته شعبها في مخيلته إلى الأبد، وجعل منها مثلاً رائعاً يقدم له شموع القلم وبخور العرفان، وضحايا التضامن والإعجاب وكلها عاطفة وتقدير، ويرى أن كل شيء يهون في سبيلها، ويتمنى مخلصاً أن يكون انسان طيب في هذا الموقف منها.

وبعد مغادرة المستشفى انتقلنا إلى زيارة القرية المجاورة "دونغ في" فشهدنا أن قسماً قد تهدم بسبب قصفه من قبل الطائرات الأميركية، وقد قصفت بتاريخ 4 آب سنة 1965 فقتل 25 شخصاً بينهم أفراد أسرة بكاملها، ثم تتابع القصف بعد ذلك خمس مرات حتى بلغ عدد القتلى 61 والجرحى 48، وطول هذه القرية 3 كم وقد رمت عليها الطائرات في ليلة واحدة مائتي قنبلة دوم أن يكون فيها أي هدف عسكري أو شبه عسكري، وقد أخبرنا السكان أن إحدى الأسر فقدت الأب والأم وبقي منها خمسة أطفال يتامى لا معيل لهم ولا سند وتهدم فيها 129 منزلاً تهديماً كاملاً وتهدم جزئياً 212 منزلاً. وفي القرية معبد بوذي قديم أثري بني منذ قرون عديدة وقد حولته السلطات إلى متحف نظراً لقيمتها الأثرية، إلا أن الطائرات الأميركية لم تحترم هذه القيمة كما لم تحترم القيم الأخرى فقامت بقصفه دون رحمة ولا شفقة، وقد زرنا هذا المعبد وشاهدنا آثار التخريب فيه، فالتماثيل محطمة ومبعثرة على الأرض، وأماكن العبادة فيه مملوءة بالأنقاض والحجارة والتراب. وإلى جوار المعبد شاهدنا عدداً من البيوت المتهدمة، ومن بينها المنزل الذي قتل فيه الوالدان عن خمسة أطفال صغار، ورأينا هنا وهناك حفراً صغيرة، مما يدل على أن القنابل التي تعرضت لها هذه القرية صغيرة الحجم لا تستعمل في قصف الإنشاءات العسكرية والتحصينات، وأن الغاية من استخدامها قتل الناس، وتهديم المنازل المبنية على طراز المنازل الفيتنامية.

وأمام المعبد اجتمعنا بامرأة مسنة تبلغ السبعين من العمر وقد جاءت تخبرنا بمأساتها: لقد كانت في بيتها القريب من المعبد عندما جاءت الطائرات وبدأت تقصف قنابلها، فإذا بها تغيب عن الوجود، وعندما أفاق تبينت أن ذراعها فقدت، وأصيبت بجراح متعددة في كل أنحاء جسمها قالت: "لا أستطيع الحرب، ولا القيام بأي عمل، فلماذا قطعت الطائرات ذراعي؟ وما

20 جمهورية مصر العربية حالياً.

21- وكشفت باحثة وأستاذة في العلوم السياسية هدى عبد الناصر عن أن ناصر وكيندي تبادلوا 38 رسالة مكتوبة وشفوية، والتي تعتبر أول حوار مباشر بين رئيس مصري ونظيره الأمريكي.. وأشارت إلى أن أكثر رسالة أدهشتها من بين هذه المراسلات، هو طلب جون كيندي من جمال عبد الناصر، أن يتوسط من أجل وقف حرب فيتنام، ولكنها وساطة لم تنجح في مساعيها. ويضيف الباحث منير عامر: في أول اغسطس 1965 عن محاولة جونسون رئيس الولايات المتحدة أن يطلب وساطة مصر بين أمريكا وفيتنام؛ وذلك كي يتم التخفيف على الجنود الأمريكيين المتواجدين في حرب فيتنام. ولما كانت مصر لا ترفض طلب وساطة فقد اشترطت وجود مزايا تقدمها الولايات المتحدة لهوشى منه زعيم فيتنام. وعندما لم تقدم أمريكا أي مزايا انسحبت مصر من الوساطة.

22- لم تبدأ مبادرة السلام البابوية إلا بعد تزايد عدد القتلى الفيتناميين الكاثوليك ودعوة الكنائس الكاثوليكية الفيتنامية بالصلاة من أجل السلام وتوفير الحماية للمدنيين وقد بدأت حملات الصلاة في الفاتيكان من أجل السلام في الفيتنام في منتصف 1963. https://carnegiecouncil-media.storage.googleapis.com/files/v15_i007_a007.pdf

الفائدة من ذلك؟ لماذا تأتي الطائرات وتضربنا ونحن نعيش آمنين في قريتنا لا نُؤذي أحداً، ونقضي أوقاتنا في العمل للحصول على معيشتنا. انقلوا إلى العالم ما شاهدتموه وقولوا أن المعتدين لم يوفروا حتى العجائز من النساء.

وفعلاً كانت ذراعها مقطوعة من فوق المرفق، ولا تزال ظاهرة على قسمها الباقي الذي يتحرك فيه بقايا الأعصاب المقطوعة، وأثار الدماء الأحمر، تتحدث جميعها بأبلغ بيان واضح حجة على الجرائم التي لا يتورع المستعمرون عن ارتكابها ضد الشعب الفيتنامي كما يرتكبونها ضد كل شعب آخر يرغب في التحرر والانعتاق. وإني لأتخيل بقية اليد قطعت، تحمل قبضتها وتدور في الدنيا وكأنها تمد إبهامها بإشارة الاتهام ضد المستعمرين، وتحث في الوقت نفسه جميع أحرارها وتقدميها للمبادرة إلى المساهمة في لجم الاستعمار ومنعه من التمادي في ارتكاب جرائمه، وكم من يد مثل يد هذه المرأة، وكم من أعضاء أخرى مبتورة، وجثث مشوهة، خلفها المستعمرون في البلدان التي نكبت أو التي لا تزال منكوبة بهم، تطوف ولا يقر لها قرار قبل أن تأخذ الشعوب بثأرها ممن امتهنوها حقبات طويلة من الزمن.

في قرية "نام نغام"

وانتقلنا إلى زيارة قرية "نام نغام" قرية رئيسة "الكوبراتيف"²³ وقد ورد الحديث عنها، وهي من القرى الفيتنامية التي نالت التنويهات ببطولة أبنائها عدة مرات، فوصلناها والشمس قد مالَت إلى الغروب وراء الجبال البعيدة المحيطة بالمنطقة، وإلى الشرق بعيداً يمزج المحيط الهادي، وقد أخذت تعكر هدوءه قطع المستعمرين الأميركيين، ولا تكتفي بذلك بل تنطلق منها لتعكير أجواء أخرى آمنة، وعلى شاطئ هذا المحيط²⁴ تقوم مدينة "ها فونغ"²⁵ مركز الكتلة²⁶ في الفيتنام، وإحدى أكبر مدنها، ومع ذلك فإن الأميركيين "الغيورين على الدين والأخلاق والحرية والمدافعين عنها" ضد الإلحاد والعبودية لم يتورعوا عن قصفها بالقنابل بشكل كثيف منذ مدة قريبة. كان سكان هذه القرية وأكثرهم من الفلاحين قد عادوا إلى منازلهم من حقول الأرز، فما إن رأونا ندخل إلى قريتهم، وعرفوا قصدنا من رئيسة الكوبراتيف التي سبقتنا إليهم، حتى أخذوا يتجمعون على أبواب منازلهم ويصفقون لنا وخاصة الصغار منهم، وما أكثر الصغار هناك لأن المزارعين من طبيعتهم وخاصة في الفيتنام يحبون وفرة الإنتاج حتى بالنسبة إلى إنتاج الأولاد.

23 على الأرجح هي القرية التعاونية أو التعاونيات

24- لا تطل الفيتنام على أي محيط وهي أقرب للمحيط الهندي من المحيط الهادي. فهي جمهورية تقع في جنوب شرقي آسيا على خليج تونكين وبحر الصين عاصمتها هانوي. تقع في

أقصى شرق شبه جزيرة الهند الصينية، وتحدها من الشمال الصين ومن الشرق خليج تونكين، ويحدها من الغرب لاوس، وتايلاند وكمبوديا.

25- هي ثالث أكبر مدن فيتنام من حيث عدد السكان. تقع شمال شرق فيتنام على فرع كبير من دلتا النهر الأحمر (20 كيلومتر) في خليج تونكين. المدينة مرتبطة بالبحر بواسطة قناة ضيقة. هناك ميناء رئيسي لفيتنام فيها وهو واحد من أكبر الموانئ في جنوب شرق آسيا. نمت هايفونغ في عام 1874 بواسطة الفرنسيين، وأصبح القاعدة البحرية الرئيسية للهند الصينية الفرنسية. فيها مصانع للسفن، والاسمنت، والزجاج، والخزف، والأعمال المنسوجة، أسسها الفرنسيين. في بداية الحرب الهندو الصينية الفرنسية (نوفمبر/تشرين الثاني عام 1946)، قصفت سفن بحرية فرنسية المدينة، وقتل حوالي 6000 فيتنامي منها. بعد أن غادر الفرنسيون وتأسست دولة فيتنام الشمالية عام 1954، تمت إعادة بناء الميناء بواسطة المساعدة الصينية والسوفيتية، وأصلحت أحواض السفن. أثناء حرب فيتنام، قصفت هايفونغ بكثرة بواسطة الولايات المتحدة؛ فدمرت المسافن والأقسام الصناعية للمدينة، وتعطلت السكك الحديدية مع هانوي، وحطمت آلاف البيوت. كما تم تلغيم الميناء بواسطة طائرات البحرية الأمريكية في مايو عام 1972، وتم إغلاقها حتى أزيلت الألغام بواسطة القوات الأمريكية بعد اتفاقية وقف إطلاق النار في 1973. ثم تم إعادة بناء هايفونغ، وبنيت مصانع للفولاذ هناك في منتصف التسعينات.

26- تم الإعلان عن إنشاء الأبرشية بشكلها الحالية في 24 نوفمبر 1960. ظهرت الأشكال الأولى للمؤسسات الرومانية الكاثوليكية في تلك المنطقة منذ عام 1655، مع المبشرين

الفرنسيين والإسبان حتى منتصف القرن العشرين.

ولاحظنا أن الأهليين في تلك المنطقة بالرغم من شدة الغارات يعتنون على قدر الإمكان بقراهم، فقد رأينا بعضهم يعملون في رصف الشارع الرئيسي بالحجارة تمهيداً لرشه بالزفت (الأسفلت)، كما لاحظنا أن أكثر الشوارع تتألف من أزقة ريفية ضيقة ترابية غير معبدة، وغير مخططة تخطيطاً هندسياً، إنها تشبه أزقة أكثر القرى الريفية الموجودة في سهول آسيا ولا تختلف كثيراً عن شبيبتها في الريف السوري مثلاً، وبيوت هذه القرية مثل جميع القرى الفيتنامية متناثرة على فسحة الأرض، تحيط بها حقول الأرز المغطاة بالمياه، وكذلك فإن المياه تتسرب إلى القرية وتشكل فيها بحيرات ومستنقعات يستخدمها الفيتناميون لمختلف أشغالهم ولتربية الطيور المائية فيها، وأكثرية المنازل الساحقة مبنية من الطين والخشب وهي بسيطة جداً، لا تحتوي من الأثاث إلا الشيء الضروري للنميمة والجلوس، وقد قيل لنا أن مثل هذه البيوت تبنى بسهولة كلية، ولا تتجاوز المدة لإتمام بنائها يومين أو ثلاثة، ولذلك فإن الأضرار التي تلحقها الطائرات الأميركية بمثل هذه البيوت -على فدايتها نسبياً- لا تشكل أمراً صعباً جداً، كما لو كان الأمر يتعلق بمدينة أوروبية أو قرية لبنانية مثلاً.

وكانت القرية تعج بالسكان مما يستدل من ذلك ومن مشاهداتنا لقرى أخرى أن نسبة كثافة السكان مرتفعة في الفيتنام بالرغم مما لاقتته من أهوال الحروب، ومن ويلات الاستعمار، ولكن نسبة مستوى المعيشة متدنية فالسكان يملكون الأرز والمأكولات التي تنتجها البلاد بكميات وافرة ولكنهم يفتقرون إلى الوسائل الأخرى، فلباسهم عبارة عن بنطلون وقميص يلبسها النساء والرجال على السواء إلا أن بنطلون النساء أكثر اتساعاً ومصنوع من قماش أكثر نعومة، والأولاد بشكل عام يمشون حفاة وكذلك أكثر الكبار، بسبب طبيعة بلادهم، ولأن الأحذية تعرقل سيرهم وعملهم في حقول الأرز المغطاة بالوحول والمياه، ومن أراد أن ينتعل شيئاً، انتعل ما نسميه "صندل" وهو كذلك يتناسب مع طبيعة تلك البلاد.

ولكن هؤلاء السكان الذين يمشون في أكثر الأوقات حفاة ولا يملكون من وسائل المدنية الحديثة أشياء كثيرة، يملكون الأسلحة بكمية وافرة وإن لم تكن كافية، كما يملكون وعياً وطنياً وسياسياً يفتقر إليه الملايين من سكان أميركا وأوروبا وآسيا وأفريقيا، إن نسبة الوعي الوطني والسياسي مرتفعة جداً عندهم وشاملة، مما يثبت أن هذا الوعي لا يزدهر فقط عند أكثر الشعوب بحبوبة عيش بل ربما كانت البجوحة التي لا ترافقها التوعية الكافية، والتنقيف الأيديولوجي المنتاسب معها، سبباً من أسباب تأخر الوعي، وسيطرة الروح الانتهازية والأنانية القومية والشخصية، إذ أن التفكير عندئذ يتجه إلى المحافظة على الحياة الهانئة السهلة والبجوحة، وإيجاد الوسائل لتحسين هذه الحياة وزيادة البجوحة ووسائل الراحة. والمستعبد الذي لا تفقده الثورة سوى القيود التي تكبله، غيره عندما تصبح مالكاً بعد تحطيم هذه القيود، وسائل تمكنه من حياة الرفاهية.

واتجهنا إلى مركز "الكوبراتيف" وهو في الوقت نفسه مركز المليشيا، وهو عبارة عن غرفة متسعة بنيت بالحجارة والتراب تمتد أمامها ساحة واسعة معبدة، تتسع على ما يظهر لجميع سكان القرية إذا ما اجتمعوا، وهناك نزلنا من السيارات فرأينا في استقبالنا رئيسة الكوبراتيف

الآنسة "هوانغ هوا" وقد سبق أن عرفناها فيما سبق، وفريقاً من أفراد الميليشيا شبابت وشباً، وقسماً من أعضاء إدارة الكوبراتيف وأهل القرية، ومن بينهم شيخ من أسرة "نغو تولان" وهو رب أسرة يشترك جميع أفرادها في المعركة ضد المستعمرين وهم عبارة عن ابنتين وخمسة شباب، وقد قتلت واحدة من الفتاتين في إحدى المعارك، فكان اسمها "نغو تي توين" في لائحة الأبطال الشهداء، وقد جاء هذا الشيخ على كبر سنه، بلحيته البيضاء المتناثرة الشعرات كلحي أكثر الرجال الفيتناميين، يرحب بنا ويؤكد لنا عزمه الوطيد وترحيبه بأن يشترك جميع أولاده وهو شخصياً على قدر إمكانه في معركة مصيرية لا بالنسبة إلى بلاده فقط، بل بالنسبة إلى جميع الشعوب المكافحة ضد الاستعمار أيضاً.

ودعينا للدخول إلى قاعة الاجتماعات، حيث وضعت على منضدة مستطيلة محاطة بالمقاعد: الفواكه والشاي، وعلى الجدران علقت البنادق والأسلحة الخفيفة وبينها لوحة عليها عدد كبير من الأوسمة، بعضها من الدرجة الأولى والبعض الآخر من الدرجة الثانية البعض منها ممنوح لميليشيا القرية والبعض لأفراد من هذه الميليشيا، إنها الأوسمة التي منحت تقديراً لبطولة ميليشيا هذه القرية وأفرادها ضد الطائرات الأميركية، والجميع فخورون بها، ومصممون على زيادة عددها، وقد شاركناهم هذا الشعور ولا نزال حتى الآن، وربما إلى وقت طويل نتمنى أن تمتلئ لوحات كثيرة لا في قرية "نام نغام" فحسب، بل في كل قرية فيتنامية، وغيرها من أنحاء العالم المكافح ضد المستعمرين بمثل هذه الأوسمة التي ترفع من قد الانسان، وتجعله يؤمن بشخصيته وقيمه.



معرض الطائرات الحربية الاميركية المحطمة

جسر "هام رون"

وبعد استراحة قصيرة وتناول قليل من الشاي انتقلنا سيراً على الأقدام إلى أحد مراكز الدفاع المقامة حول جسر "هام رون"، وقد تمكنا أن نسير في أزقة القرية حيث كنا نستقبل بالتصفيق في كل مكان، بسهولة تامة لأن الطقس لم يكن قد أمطر منذ وقت طويل، وكانت أرض الأزقة جافة لا وحول فيها، ووصلنا إلى ضفة النهر المرتفعة عنه مترين أو ثلاثة. وهناك على طول هذه الضفة شاهدنا الحفر التي تنتسح لجسم الانسان بحيث يخفي فيها فلا يظهر منها سوى رأسه، منتشرة في كل مكان وأمام البيوت القليلة القائمة هناك. وعلى بعد قليل منا انتصب جسر "هام رون" كأنه كاسمه "فم التنين" يتحدى الاستعمار وجميع غاراته وطائراته، لقد تعرض لعشرات الغارات، وسقطت أمامه حتى ذلك الوقت، 5 تشرين الأول سنة 1965 تسع وتسعون طائرة دون أن يصاب بأذى، أو أصيب بأضرار طفيفة لم تلبث أن أصلحت، ومن أخبار البطولة أنه في أحيان كثيرة كان العمال يشتغلون في إصلاح الجسر، عندما يتعرض للقصف، فلا يتخلون عن عملهم، يل يستمرون فيه، وهكذا كان التاريخ يشهد أحد مظاهر التحدي بين الاستعمار المصر على التخريب والتهديم، وبين الشعب المصمم على الإصلاح والتعمير، ودائماً كانت نتيجة هذا التحدي في جانب الشعب.

ورافقتنا في هذه الجولة بعض الذين كانوا في استقبالنا وفريق الميليشيا بأسلحته، ورئيسة الكوبراتيف، وأثناء حديثنا أخذ كل منهم يدلنا على حفرتة ويخبرنا عن تصرفاته عندما جاءت الطائرات الأميركية لضرب الجسر، وينتهي حديثه مفترساً: "ومع ذلك بقي الجسر لم يصب بأذى كما تشاهدونه قريباً منكم." والحق أقول أننا انسجمنا مع هذا الجو البطولي وتمنينا من قلوبنا أن تأتي الطائرات الأميركية لضرب الجسر بوجودنا إذ ربما نشهد على الأقل الطائرة المائة تسقط على أقدام البطولة والتضحية اللتين لا يعرفان حدوداً عند الشعب الفيتنامي، وإذا بالإشارة تعطي باقتراب الغارة، فلجاناً إلى أقرب الملاجئ مع حرصنا على أن نبقى في مكان نشهد منه أوسع مجال حولنا، وأخذنا ننتظر بفارغ الصبر وصول الطائرات، أما أفراد الميليشيا فقد نزل كل واحد وواحدة منهم إلى حفرتة في وضع التأهب لإطلاق النار، وهكذا كنا نرى فتاة لم تبلغ العشرين من عمرها بعد، تقف متحدية الأسلحة المخيفة للاستعمار دون خوف أو وجل، وهي ربما خافت من حركة فارة أو جرد في الليل، وقد علمنا أن جميع المراكز المحيطة بالجسر قد اتخذت وضع التأهب بانتظار الطائرات.

ولكن مع الأسف لم تظهر الطائرات الأميركية، ففوتت علينا لا على الفيتناميين مشهداً كما نتمنى أن تحمل ذكراه معنا إلى الأبد، وانتهت الغارة ورجعنا إلى مركز الميليشيا حيث كان عدد المجتمعين هناك قد زاد عن ذي قبل، فوقفنا معهم، لنودعهم ولكن وقت الوداع طال، فقد أخذ كل منا يعبر عن عواطفه بكلمات لم تستطع أن نختصرها بالرغم من محاولتنا، وعبر بعض من الحاضرين عن شعوره أيضاً، وأشد ما أثار عواطفنا أن تقدمت منا إحدى الفتيات ووضعت في إصبع كل منا خاتماً أبيض وهي تقول: "إننا نحملكم هذا الخاتم ذكرى زيارتكم لنا، إننا صنعناه بيدنا من معدن الطائرات التي أسقطناها وأنا نحمل مثله نحن الفتيات".

حقاً أن المرأة لا تهمل زينتها حتى في أخرج الأوقات، فالفتاة الفيتنامية في تلك القرية اعتاضت عن الجواهر واللآلئ والأحمر، ووسائل الزينة الأخرى بخواتم صنعتها من الطائرات التي أسقطتها. وشتان بين زينة وزينة، ثم قدم لنا بعض الحاضرين عدداً من جوز الهند الذي ينبت في أرضهم، وما أوشكنا أن نتركهم حتى رأينا أنفسنا نندفع لمعانقتهم فرداً فرداً صغاراً كباراً، رجلاً وفتيات، وقد رأينا إمارات الاستغراب على وجوههم، لأن ليس من طباعهم المتحفظة أن يعانقوا النساء في مكان عام حتى لو كانت المناسبة كالتى كنا فيها. إنني لا أزال أحتفظ بذلك الخاتم كأحدى أغلى ذكريات حياتي، كما لا تزال المشاهد التي رأيناها في "نام نغام" ماثلة في مخيلتي، ومنظر هؤلاء الفتيات، ومعهم الفتى البطل الذي لا يتجاوز السابعة عشرة من عمره، إذ أن البطولة لا تتعلق بالسن، بأقدامهن العارية وسراويلهن السوداء الواسعة، وقمصانهن الداكنة، ولونهن النحاسي المحمر، وبابتسامة البراعة المرتسمة على شفاههن وبريق العزم والتضحية والشباب يلمع في عيونهن، لا يزال منظرهن وهن يحملن البنادق مستعدات دائماً لمجابهة عدوهن، محفوراً في مخيلتي كأبهى ما يكون.

والآن عندما أقرأ أن جونسون قد استمر في قصف الفيتنام الشمالية ويعقد الاجتماعات ويتجشم السفر لإقناع عملائه بإرسال الجيوش إلى الحرب تعود بي الذكري إلى بطلات "نام نغام" وأبطالها وسكانها وإلى جميع الفيتناميين حيث يقف الشعب هناك ببطولة ننحني أمامها، في الجبهة الأمامية للشعوب المكافحة ضد الاستعمار، وكلية ثقة بأن لا قصف الطائرات ولا إرسال الجيوش، ولا استخدام جميع الأسلحة ما عدا الأسلحة النووية حتى الآن بقادرة على إنقاذ الاستعمار من الوحول التي يتردى فيها، والسير نحو حتفه بخطى حثيثة، وستحتقر الشعوب كل من يساعد هذا الاستعمار على استعادة أنفاسه، والوقوف ولو دقيقة واحدة ليأخذ قسطاً من الراحة أو يتنفس بملء رئتيه بعدما أصبح قريباً من الاختناق والحشرجة.



المؤلف وقد اشير إليه بـ (X) يتفقد ممرض الطائرات
الحربية الاميركية المحطمة

في مدينة "تان هوا"

كانت الشمس قد غربت منظراً ولكنها لم تغرب أثراً عندما ودعنا أهالي قرية "نام نغام" على تلويح الأيدي حيناً وبيعض الهتاف حيناً آخر، ولم تلبث السيارات طويلاً أن دخلت الطريق العام المحجوب عن مركز الكوبراتيف، فتخفي عنا أشخاص المودعين دون أن تخفي ذكراهم، وذكرى وقت قضيناه بينهم، في عقر بيتهم، وقد انطبع في ذاكرة كل منا أكثر مما انطبع فيها شيء آخر في هذه الحياة. وكان قصدنا هذا المساء مدينة "تان هوا" نفسها التي سبق أن مررنا بها مروراً كافياً لتناول قدح من الشاي وبعض المرطبات، أما هذه المرة فالمنهاج كان ينص على تناول العشاء في فندقها حتى ينسدل الظلام، ويخيم سكون الليل فيتاح لنا أمر العودة إلى هانوي بعد يوم شاق طويل، ابتدأناه فجرًا ولن ننتهي منه ربما قبل الفجر القادم. لقد كان في ظن مرافقينا الفيتناميين أن التعب قد نال منا بعد يوم غير قصير وجهد كثير ولكن الجو الذي كنا فيه، والذي رافقنا منذ أن وطئنا أرض الفيتنام البطلة، يجعل الإنسان ينسى تعبته وكل شيء في معمعان المعركة الكبرى ضد المستعمرين، ويجد نفسه مسوقاً مع الجماهير إلى الهدف الكبير النبيل، ولذلك كنا نشعر بنشاط غير عادي بالرغم من حر الفيتنام وجوها الرطب، أو أن نتاح لنا الفرصة للبقاء مدة أطول.

وقد رافقنا إلى المدينة من قرية "نام نغام" عدا قائد المنطقة، وأمين السر المعاون للجنة الحزبية، ثلاث بطلات من مليشيا القرية هن رئيسة الكوبراتيف، والفتاة التي حملت 96 كيلوغراماً دفعة واحدة، من أسرة "نغوتو"، وفتاة أخرى من اللواتي أظهرن بطولة كبرى في إسقاط الطائرات الأميركية بالرغم من أنها يتيمة الأبوين منذ وقت طويل وتعيش في كنف زوج شقيقتها. لقد رافقتنا الفتاتان إلى حضور المأدبة بلباسهما العادي وبمظهرهما العادي أيضاً كانتا حافيتين بالرغم من أنهما في سن تفكر فيه الفتاة أول ما تفكر بزيتها وتبرجها وظهورها بالمظهر الحسن، ولكنهما كانتا بالرغم من زينتهما البسيطة أجمل وأوقع في النفس من الفتيات اللواتي يستعملن من الصباغ والروائح والثياب أحدث ما تخرجه مؤسسات باريس، ومعامل نيويورك، ومحلات جنيف ودور الخياطة في بيروت. ولما وصلنا إلى الفندق كان الظلام قد أرخى سدوله بالرغم من أن القمر الباهت في السماء يلقي على الأرض ظلاله لتظهر أشباحاً تتحرك، وخيالات تموج بين بيوت "تان هوا" وأشجارها، إذ أن نظام "التعتيم" متبع بشدة في هذه المدينة، وفي جميع المنطقة الجنوبية المعرضة باستمرار لقصف الطائرات.

وانتقلنا إلى قاعة الطعام وهي قاعة كبيرة مضاءة بالكهرباء يمنع ظهور أضوائها إلى الخارج ستائر كثيفة على النوافذ، وقد وضعت على المائدة أصناف عديدة من منتوجات الفيتنام كالفاكهة والخضار والمشروبات، كما أن الطعام كان معداً أيضاً بشكل تقبل به الأذواق المختلفة. وبعد كلمة ترحيب ألقاها مدير الناحية، والجواب عليها لم يلبث الجو أن انقلب إلى جو أخوي وعاطفي، فانطلقت العواطف على سجيتها، حتى لم نشعر جميعاً إلا وكأننا بين أهلينا ومواطنينا، لا بل بين رفاق لنا في كفاح مشترك ومعركة واحدة، وأنا لسنا في مأدبة شبه رسمية تقيمها إدارة المدينة لوفد حقوقي يحمل إليها التأييد والتضامن، ويستمد مما راه فيها حجاً جديدة لفضح وحشية الاستعمار وتكالبه.

وإذا برفيقنا السوفياتي الرئيس عبدالله ابراهيموف -رئيس المحكمة العليا في أذربيجان- تأخذه الحماسة، ويؤثر فيه جو المكان، فينهض ليقدم للحاضرين بعض الهدايا من الرسوم والكتب التذكارية، ويعلن موجهاً كلامه إلى الفتاة التي حملت 96 كيلوغراماً، فيطري بطولتها وقوتها، ثم يعلن: "إنني أتبنى هذه الفتاة وأجعلها أحد أولادي، ومع ما يفرضه قانون التبني من واجبات وحقوق". فاستقبل إعلانه هذا بالتصفيق، ونهضت الفتاة تعانق أباهما الجديد، وتعلن أنها فخورة بهذه الأبوة التي تدل على أن الناس يتفاهمون بالرغم من تمايز لونهم وجنسهم، وشرب الجميع نخب هذه القرابة الجديدة بين رئيس المحكمة العليا في إحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي، وبين فتاة فيتنامية قروية نشأت وتربت في حقول الأرز، ولم يتح لها بسبب سنها وطبيعتها عملها أن تشاهد أبعد من حدود منطقتها.

وبعد ذلك بقليل نهضت رئيسة الكوبراتيف الأنسة "هوي" وتساءلت: "لماذا لا يتبنى الأستاذ نوردمان الفتاة الأخرى، فهي بطلّة ومدفعة؟"، فنهض الأستاذ نوردمان -أمين السر العام لرابطة الحقوقيين والمحامي في باريس- يقول: "إنني على استعداد لتبني هذه الأنسة، ستكون شقيقة لأولادي الذكور، إذ لا إناث عندي، ولن أخشى أن يغضبوا إذا تبنيتم لهم أختاً من البطلات الفيتناميات". فصفقنا لهذه الروح النبيلة وخاصة إذا تذكرنا ما قام به المستعمرون الفرنسيون من إرهاب ومجازر ضد الشعب الفيتنامي، ولا بد أن كل واحد يتساءل: أليس من الأفضل أن تحل روح المحبة والصدقة، مكان الكراهية والحقد والتناحر والنقائل؟ وكم تظهر بشعة كراهية حمقاء صورة السلاح الاستعماري يصوب إلى صدور الشعب من رجال ونساء وأولاد، أمام صورة هذا الحقوقي الفرنسي تحضنه ابنته الفيتنامية بالتبني، وتطبع على جبينه قبة البراءة والطهارة والعرفان بالجميل، وهي تتخيل أنها واجدة يوماً -في قلب باريس عاصمة البلاد التي ذاقت منها بلادها الأمرين- ملجأ دافئاً ولو بالتبني، ألا سحقاً للاستعمار وما يحمله من موت ودمار وكراهية وحقد.

أخذت هذه الأفكار وغيرها تجول في خاطري، حتى أنستني نفسي برهة، فإذا برئيسة الكوبراتيف وقد صودف مجلسها بجواري ترفع كأسها مقترحة نخب هذه الصداقة والروح الأبوية. فأيقظتني من أفكاري، وبعدها فعلنا وجدت نفسي أقول: "لقد تبني رفيقنا السوفياتي والفرنسي بطلتين من بطلات الفيتنام، أما أنا فإني أعتبر نفسي شقيقاً وأخاً في النضال للأنسة "هوي" رئيسة الكوبراتيف، لقد برهنت قيادتها لقريّة "نام نغام" أنها كفؤة وجديرة بالقيادة، وإني أعدها بأن أكون فرداً من أفراد فريقها، وأن أطيع أوامرها أينما كنت، إذ ربما أديت قسطاً في هذه المعركة التي يخوضها الشعب الفيتنامي ضد الاستعمار، إنني من لبنان ولكن الأخوة لا تعرف حدود". فاستقبلت أيضاً هذه الكلمة بالتصفيق كما استقبلت غيرها، ونهضت رئيسة الكوبراتيف تعانقني أيضاً عناق الأخوة وصداقة النضال، فإذا برفيقنا الإفريقي المالي -النائب العام بكاي- يعلن أيضاً انضمامه إلى أسرتنا هذه، ومعتبراً أنه هو أيضاً شقيق لرئيسة الكوبراتيف وأخو نضال، أما التشيلي فقد أعلن أنه يعتبر نفسه عضواً في أسرة الشعب الفيتنامي الواسعة التي تضم جميع هذه الأسر.

وطالت بنا السهرة إلى منتصف الليل، وقد مر الوقت سريعاً أو هكذا شعرنا به، ولم يبق لنا إلا أن نفترق على غير رغبة فشكرنا مضيفينا، وودعناهم وداعاً حاراً وصعدنا السيارات وأبى قسم منهم إلا أن يرافقنا إلى حدود المنطقة، وكان من نصيبنا أيضاً رئيسة الكوبراتيف، فاختارت الجلوس بين شقيقها اللبناني والمالي، وسرنا على الطريق المؤدي إلى هانوي ولكننا في هذه المرة لم نخترق النهر بزورق بخاري، بل قطعناه فوق جسر "هام رون" هذا الجسر الذي ظل هائلاً بجبروت الطائرات الأميركية، قائماً كما هو بالرغم من الغارات التي تعرض لها، ثم تابعنا السير بعد ذلك. وطول الطريق كانت يدا رئيسة الكوبراتيف ممسكتين بيدي ويد شقيقها الأفريقي، وكانت تضع رأسها على كتفي فأشعر بأنفاسها وكأنها أنفاس الفيتنام وتنهيدات تلح وجهي، فتثير في مشاعر البطولة والإقدام، وعواطف الأخوة والصدقة وكأنني شعرت بدمعة تترقرق في عينيها، هذه التي تشعر بخوف أمام أحدث آلات الحرب والدمار، لقد ضغطت على يدها الممسكة بيدي وكأنني أحيي بواسطتها بطولة شعب بكامله، وربما آلمتها لشدة ما ضغطت في بعض الأحيان ولكنني شعرت بما تبتسم في أعماقها وترتاح، فهي قد فهمت معنى ما أفعل، بالرغم من أنها لا تتكلم لغتي ولا أتكلم لغتها، ولكن لغة الكفاح والصدقة على صمتها يفهمها الجميع.

ولم نلبث أن وصلنا إلى النهر، حيث كان علينا أن نقطعه على الجسر النقال، فودعنا من رافقتنا من أهالي "تان هوا" وداعاً حاراً وتواعدنا على اللقاء مرة أخرى، بالرغم مما في طريق تنفيذ هذا الوعد من صعوبات وعراقيل، وربما أنا الآن فيما أكتب أنقذ شيئاً من هذا الوعد، إذ ربما كان التلاقي بالرغم من المسافات البعيدة. ورجعنا على الطريق نفسه الذي جئنا منه، وبالرغم من انقضاء أكثر الليل، لم استطع النوم إذ أنني لا أستطيعه إذا كنت في سيارة على سفر، فأخذت أراجع وقائع يومي، وسيطر علي تساؤل لم استطع دفعه: لماذا لا يتلقى الفيتناميين المساعدات اللازمة الكافية من أكبر دولتين اشتراكيتين في العالم الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية؟ لقد حاولت أن أجد فيما بعد جواباً على هذا التساؤل، فقيل لي أن الصين الشعبية لا تملك الأسلحة اللازمة لمساعدة الفيتنام وهي تقدم ما تستطيع، ولكنها في الوقت نفسه تمنع وصول الأسلحة من بلدان اشتراكية أخرى وخاصة الاتحاد السوفياتي، إلا أن تتسلمها هي على حدودها وتنقلها إلى الفيتنام لتضغط عليها بهذه الوساطة، وقيل أنها تريد إرغام الاتحاد السوفياتي على نقل الأسلحة بالبحر إلى الفيتنام مما يعرضه للاصطدام مع الأسطول الأميركي، وإيجاد خطر حرب بينهما، وقيل أيضاً أن الصين لا تسمح بالأسلحة تسلمها للفيتناميين إلا لقاء ثمن، وأن الاتحاد السوفياتي لا يزود الفيتنام بالأسلحة لأنها لا تسير في خطه، بل تقف بجانب الصين الشعبية، وقيل أيضاً أن الاتحاد السوفياتي يضغط على الفيتنام للقبول بالتفاوض مع أميركا لأنه لا يؤمن بإمكانية إنهاء الحرب في ميدان القتال، ويخشى من أن تتحول إلى حرب عالمية وهو ما ترغب به الصين الشعبية التي تتخذ من الوضع الحاضر في الفيتنام وسيلة للدعاية، وحجة لمهاجمة الاتحاد السوفياتي.

هذه الأقوال سمعتها ويسمعا غيري، ولكنها لا تشكل بنظري مبررات للتقصير في مد الشعب الفيتنامي البطل بأقصى ما نستطيع من مساعدات مادية ومعنوية، أما لماذا لا يسلم الراغبون مساعدتهم إلى الشعب الفيتنامي رأساً مباشرة، كأن يتسلم الفيتناميون المساعدات السوفياتية

على الحدود السوفياتية، فهذا التساؤل لم أجد له جواباً حتى الآن، ولكن الشيء الذي أوّمن به كما يؤمن به غيري من الاشتراكيين المخلصين، هو أن كل التضحيات تهون أمام بطولة الشعب الفيتنامي، وأن الخلافات العقائدية بين الدول الاشتراكية يجب أن تختفي أمام ما يريده الفيتناميون، لأن إرادتهم وتصميمهم أنبل وأجل من أن يكونا موضوع مناقشة أو خلاف.



نقود واشياء وجدت مع الطيارين
الاميركيين الاسرى

مغادرة "تان هوا"

وقطعنا النهر على الجسر المتنقل إلى الضفة الأخرى، وربما يتساءل البعض وما هو هذا الجسر الذي حل مكان بعض الجسور التي هدمت؟ وكيف يستخدمه الفيتناميون؟ وأنا نفسي قد وضعت هذا التساؤل، فأخذت أراقب طريقة العمل بهذا الجسر الذي يُخبأ نهاراً بإغراقه، ولا يُرفع إلا عند زوال الخطر، وينقل كم مكان إلى مكان كي لا يعرف العدو مكانه، وطبيعة

الفيتنام تساعد على ذلك. إنه عبارة عن عوامة واسعة تتسع لعدد من السيارات والشاحنات والأحمال الأخرى، والناس بكمية تستطيع مياه النهر أن تتحمل ثقلها، وقد ربط بحبل معدني آخر يثبت كل من طرفيه في أحد ضفتي النهر بشكل منحني بحيث أن قوة التيار ومقاومة الحبل المعدني تجعل العوامة أي الجسر تنتقل من ضفة إلى أخرى بتؤدة وهدوء، دون أن يستعمل لذلك أي محرك آلي، حقاً لقد استطاع الشعب الفيتنامي أن ينسق حياته الجديدة مع ظروف الحرب وحاجاتها.

وينقل هذا الجسر من مكان إلى آخر بين الأماكن التي يسهل استخدامه فيها وأكثرها يقوم قريباً من الجسور القديمة، لأن الطرق المعبدة تؤدي إليها، ولذلك كنا نلاحظ أن الطرق الرئيسية تنتهي عند ضفتي النهر بطرق فرعية متعددة يسهل شقها نظراً لطبيعة الأرض في الفيتنام. وبعدها بدأنا نسير على طريق العودة إلى هانوي، فقطعنا حقول الأرز تموج باخضرارها تحت أشعة القمر الباهتة، وكانت وشواشاتها تروي ألف قصة وقصة عن البطولة والفداء، ثم دخلنا في الادغال حيث لا منازل ولا سكان، وحيث تعيش الحيوانات المفترسة، كما أخبرنا مرافقونا، ولكنها بالرغم من ذلك كانت في كثير من الأوقات مأوى لأنصار يشاطرون وحوشها مراقدهم فهي عليهم أخف وطأة من المستعمرين، وألين جانباً، ثم دخلنا في الممر الضيق الجبلي الذي تنتهي عنده حدود مقاطعة "تان هوا" التي حملنا من إقامتنا فيها ذكريات عديدة، على الرغم من قصر المدة، وكانت الادغال المحيطة بالمكان هادئة صامتة لا حركة فيها في ظلمة الليل سوى ما تحدثه أصوات السيارات وتمتمة أشعة الشمس وهي تحاول النفاذ إلى أعماقها، فهي على وحشتها أكثر أمناً من المناطق الأهلة المعرضة باستمرار لغارات "وحوش" الاستعمار الضارية التي تستطيط التخريب والنقتيل بين بيوت السكان والمؤسسات الصحية والتعليمية وتنفر من الأمكنة الخالية.

ثم أخذنا ننحدر إلى أن عدنا من جديد نخترق حقول الأرز الخضراء، وبين هذه الحقول كما في غيرها في جميع أنحاء الفيتنام لا ينقطع سير المزارعين ومواشيهم ذاهبين أو راجعين من أعمالهم وهم لا يتورعون عن العمل ليلاً للطفافة الجو من جهة، وتلافياً لغارات الأميركيين من جهة أخرى. لقد كان سيلهم لا ينقطع ليلاً نهاراً، وكنا نشاهدهم غادين أو مبكرين، دون أن تظهر على محياتهم مسحة التذمر أو التآفف فكأنهم جميعاً مدركون أنهم يخوضون معركة يتوقف عليها مصيرهم ومصير الشعوب الصغيرة أو الضعيفة، تهون فيها التضحيات، ولا يبخل أحد بالبذل، وقد وددت لو أمكنني أن أشد على اليد الخشنة لكل منهم، دليل التضامن والصدقة وعرقان الجميل. كانت السيارة التي تضمنني مع الأستاذ نوردمان -أمين السر العام لرابطة الحقوقيين الديموقراطيين العالمية- والأستاذ بكاي -المدعي العام في بامكو عاصمة مالي- والسيد "دوونغ فان" -رئيس غرفة التجارة في الفيتنام- مرافقنا بصفتنا نستطيع جميعاً التفاهم باللغة الفرنسية التي يتقنها، تسيير مقدمة سيارات الوفد وراء سيارة قائد القافلة مباشرة.

وكنا منذ زمن قد غرقنا في صمت وسكون بعد يوم عاصف متعب وقد استسلم بعضنا لإغفاءة عميقة، أما أنا فكانت في هذا الجو الهادئ، والسماء الصافية يجد القمر فيها متسعاً من مجال، لا تسمع هنا وهناك سوى أصوات الضفادع وحيوانات الليل، غارقاً في تأملاتي لا أنا بالنائم

الغافي ولا المستيقظ، تحملني المخيلة إلى مشاهدته في يومي، وإلى أنه بعد كيلومترات إلى الجنوب يخوض الشعب الفيتنامي في قسم بلاده الجنوبي معركة ضارية من أشد المعارك التي شهدتها التاريخ بين الشعوب الطامحة لاستقلالها وبين الاستعمار المتكالب للسيطرة عليها، ومنعها من أن تتوحد وتؤلف دولة واحدة لشعب واحد، لقد خيل لي أنني أسمع أصوات بنادق الأنصار أفراد جيش جبهة التحرر الوطني، وهتافات الجماهير هناك تشق الأفق وترمي الذعر في صفوف المساقين إلى القتال، طعماً للموت وقرابين رخيصة لزيادة ثروات أصحاب الرأسماليين الضخمة.

كل ما في قسمي الفيتنام الشمالي والجنوبي يدعو إلى التوحيد؛ فاللغة واحدة، والأرض واحدة، والشعب واحد، والثقافة واحدة، والتاريخ واحد، والأهداف واحدة، والخصائص الأثنية واحدة، والرغبة في الوحدة شديدة وهي واحدة عند الطرفين، ولكن المصالح الاستعمارية تمنعهما من التوصل إلى الوحدة، بالرغم من أن الأسس الحقوقية والسياسية قد وضعت في اتفاقيات جنيف سنة 1954، وقد كان الاستعمار دائماً عدو كل وحدة بين الشعوب التي سعى جاهداً لتمزيقها ولا يزال ساعياً للإبقاء عليها ممزقة، لأن في وحدتها خطراً عليه وعلى مصالحه. والشيء الجديد في العالم اليوم، أن المستعمرين أصبحوا من الضعف، وأن الشعوب أصبحت من القوة بحيث أنها أصبحت تستطيع أن تفرض إرادتها. وبينما أنا غارق في تأملاتي توقفت السيارة فجأة مما أيقظني منها، ولما سألت عن السبب علمت أن السيارات التي وراءنا تأخرت قليلاً وعلينا انتظارها، ولا سيما أن مندوب مقاطعة "ننه بنه" ينتظرنا حيث توقفنا منذ أكثر من ساعتين، فنزلنا من السيارة وصافحناه بحرارة وشكرناه على هذا الترحيب المتعب له، وبينما نحن نتبادل الحديث وإذا بسيارة أخرى تتوقف، فيطل على من فيها مرافقنا رئيس غرفة التجارة ويعود باسم الوجه، ويدعوننا لكي يعرفنا بكاهنين كاثوليكيين كانا يقصدان هانوي وسيأتي الحديث عنهما عند الحديث عن لقائنا مع رجال الدين.

مقبرة الطائرات

ولما اكتملت القافلة بوصول السيارات المتأخرة، تابعنا السير وكلنا شوق إلى رؤية مقبرة الطائرات في مكان قريب من "ننه بنه" ولم نلبث أن وصلنا بعد مدة وقد جاوز الليل منتصفه وهي عبارة عن تلال صخرية متفرقة، كانت فيما مضى من التاريخ مركزاً لبعض ملوك الفيتنام لصعوبة الوصول إليها، ولصعوبة اختراقها إذا وصلت إليها، وكثير من هذه التلال مجوفة من الداخل بحيث تشكل مغاور واسعة جداً. وكان في استقبالنا ممثلون عن الإدارة المحلية للمنطقة والحزب وبعض القضاة والقاضيات، وبعدما غسلنا وجوهنا وأيدينا على ضوء القناديل لعدم إمكانية استعمال الكهرباء في ذلك المكان؛ بسبب ظروف الحرب، انتقلنا إلى زيارة "المقبرة"، وكان الدليل يحمل القنديل أمامنا، فبدأنا الزيارة في داخل إحدى التلال وهو معد للعبادة، ثم خرجنا منه لنستعرض هياكل الطائرات وهي عبارة عن عشرين هيكلًا أمكن جمعها من مختلف نواحي الفيتنام الشمالية، وقد روعي فيها أن تجمع بقايا الطائرات المسقطه تلك الممكن جمعها.

وقد قال لنا المشرف على المقبرة أن هذا المخزن معد لهياكل الطائرات الأميركية تحت إشراف الجيش، والغاية منه إظهار العدوان ورفع المعنويات النضالية عند الشعب، وأن الفيتناميين لم يبدأوا بإسقاط الطائرات الأميركية في سنة 1964 بل ابتداء من سنة 1961، ففي هذه السنة أسقطوا طائرة نقل من طراز س 47، كانت تحمل الجواسيس لإنزالهم في شمال الفيتنام، وقد قتل منهم ثلاثة وأحيل الباقون إلى المحكمة العسكرية، وفعلاً رأينا حطام هذه الطائرة باعتبارها أول طائرة أميركية أسقطت فوق أرض الفيتنام. وقال محدثنا أن إسقاط هذا العدد الكبير من الطائرات يدل على فشل الخطة الأميركية، وعدوانهم على بلادنا، ونحن لا نعرض في المخزن سوى بقايا عشرين طائرة، وهو عدد قليل بالنسبة إلى الطائرات التي أسقطناها، إذ أننا بعد جمعنا هذا العدد عدلنا عن خطتنا؛ لأنها تكلف جهداً كبيراً، إن كان من ناحية نقلها الذي يحتاج إلى شاحنات كبيرة نظراً لثقلها، ونحن اليوم أشد ما نكون حاجة إلى بذل هذا الجهد في ميادين أخرى.

افتتحنا المخزن في آب سنة 1965، وكنا قد جمعنا فيه بقايا من الطائرات التي سقطت حتى أيار سنة 1965، أما تلك التي أسقطت بعد ذلك التاريخ فلم نجعلها لأن هدفنا إسقاط الطائرات لا جمع بقاياها، وكنا في الأساس قد جعلنا مكانها في السهل الواسع الواقع أمام الهضبات التي نحن بينها الآن، ولكن الطائرات الأميركية جاءت تقصف المكان وهي ترمي عليه 30 قنبلة، مما اضطرنا إلى نقلها للداخل، أما الخسائر فقد كانت قليلة إذ ما يمكن أن تصنعه القنابل بالحطام؟ وعندما انتهينا من جولتنا عدنا إلى مائدة وضع عليها الشاي والحلوى والفواكه، فجلسنا نتبادل الأحاديث والخطب لبعض الوقت، ومما قلته في الكلمة التي ألقيتها مخاطباً المشرف على المخزن: إن القيام بوظيفة مشرف على "مقبرة" ليس بالشيء الذي يسر الإنسان؛ إذ يبقى وجوده في هذا المركز مرتبطاً بالموت، أما أن يكون الإنسان مشرفاً على "مقبرة الطائرات الأميركية" فهذا شرف كبير يتمناه الكثيرون، وإن ما شاهدناه اليوم من حطام طائرات على ضوء القناديل ليدل على أن الفيتنام لن تكون مقبرة للطائرات الأميركية فحسب، بل مقبرة للاستعمار الأميركي كله.

وقد أهدي كل عضو من أعضاء الوفد قطعة من الطائرات الأميركية موضوعة في علبة صغيرة، كما أن "تان هوا" كانت أهدتنا قطعاً من الطائرات عدا الخواتم التي صنعتها فتياتها من حديدها، كما أهدينا خمراً أخضر اللون يستعمل للتخفي من الطائرات، وقد عبقت على هدائه قائلاً: سأحتفظ به إذ ربما احتجت إليه كما يحتاج إليه الفيتناميون في الوقت الحاضر، لأن الاستعمار لا يفرق بين الشعوب فكلها عنده سواء، ولكننا على يقين أن "قبر" جبروته في بلادكم سيمنعه من القيام بعدوان آخر على أي شعب ضعيف بالمستقبل.

وفي ذلك الاجتماع علمنا أن أكثر من عشر طائرات أميركية قد أسقطت في هذا اليوم فعلقنا على ذلك قائلين: إن المقبرة "تتسع" وعدد قبورها يرتفع، وأول مرة بفرح الناس لزيادة عدد القبور ما دامت لأسلحة المستعمرين التي يستعملونها في اضطهاد الشعوب والسيطرة على بلدانها. وعند ساعة متأخرة ودعنا مستقبلنا لنتجه إلى مدينة "ننه بنه" ذاتها حيث مررنا أمام بعض المدارس التي هدمتها الطائرات، ومنها انتقلنا إلى الجسر المتنقل الآخر حيث قطعنا

عليه النهر في المكان الذي اجتزاه للمرة الأولى، ولكننا هذه المرة كنا أكثر اطمئناناً كيف لا ونحن نعود من المنطقة الجنوبية القريبة من الجبهة، لا بل تكاد تكون واقعة في قلب الجبهة بسبب توسيع الأميركيين للحرب نحو الشمال.

وبعد مسيرتنا مسافة بين حقول الأرز وصلنا إلى هانوي عند الساعة الخامسة والنصف صباحاً وأنوار الفجر الضاحكة تنير المدينة، فتخرج الميليشيا إلى تمريناتها الصباحية، ويبدأ العمال بالذهاب إلى عملهم، والفلاحون إلى حقولهم، والطلاب إلى مدارسهم، الحياة في هانوي تبدأ منذ الفجر الباكر نظراً لظروف الحرب. ولما وصلنا إلى الفندق استقبلنا المستيقظون من المستخدمين وغيرهم بترحاب وسرور لاحظناها على وجوههم، وهنأونا بسلامة الرجوع وتجاوز الخطر. استلقيت على السرير، ولكنني لم أنم إلا بعد وقت غير قليل لا بسبب الحر هذه المرة، بل بسبب ما تراكم من ذكريات قريبة: البطولة.. التضحية.. أساطير كفاح شعب بكامله ضد الاستعمار.. المستشفيات والمدارس المهدامة.. الأيدي المقطوعة.. مقبرة الطائرات الأميركية.. الخاتم الذكرى في إصبعي.. حقول الأرز والادغال.. فتيات الميليشيا الحافيات.. الجسور المتحركة.. جسر "هام رونغ".."تان هوا" "ننه بنه" شقيقتنا الجديدة المناضلة رئيسة الكوبراتيف.. خريز مياه الأنهر.. الطريق الطويل تنيره أشعة القمر في السماء الصافية.. إشراقة الفجر على مدينة هانوي مبشرة بإشراقة فجر جديد على العالم لا تعكره غيوم الاستعمار وضبابه.. وعلى هذا الأمل أغلقت عيني في إغفاءة.

الكولونيل لو يتحدث عن مراحل الحرب الفيتنامية العادلة وعن فشل الخط الأميركي

يعد الانتصار الساحق الذي أحرزته القوى الوطنية في الفيتنام على المستعمرين الفرنسيين في معركة ديان بيان فو 27، انعقد مؤتمر جنيف لحل قضية الهند الصينية المستعمرة الفرنسية السابقة، وقد انتهى المؤتمر المذكور بعقد الاتفاقيات، التي ظن الناس معها أن قضية تلك البلاد ومنها الفيتنام قد لقيت لها حل، إذ منحت الاستقلال لكمبوديا ولاوس والفيتنام ولكن قضية توحيد الفيتنام بقيت معلقة، والشيء الجديد في هذه الاتفاقيات أن عنصراً جديداً دخل فيها، كان له الأثر الكبير بعد ذلك في عرقلة تنفيذها، عنيت به تدخل الولايات المتحدة التي أصبحت طرفاً بحضورها مؤتمر جنيف، ولكن ممثلها بيدل سميث²⁸ لم يوقعها كما وقعها سائر المندوبين في 21 تموز سنة 1954 بل أصدر تصريحاً باسم حكومته تعهد فيه باحترامها والسعي لتنفيذها.

27- في نوفمبر 1953، كانت حرب الهند الصينية الأولى تسير باتجاه سيء لفرنسا، التي بدأت في بناء قاعدة للجيش حول قرية ديان بيان فو التي تُسمى أيضاً ديان بيان، فيما يعرف الآن بشمال غربي فيتنام، وكان الغرض من هذه القاعدة هو تعطيل حركة الجيش الفيتنامي. وفي 13 مارس عام 1954م، شنّ حوالي 50,000 جندي فيتنامي هجوماً على قوات فرنسية يزيد قوامها على 10,000 جندي القاعدة، ودمروا سريفاً مطار القاعدة تاركين الفرنسيين بدون مؤن كافية. وقاوم الفرنسيون، على الرغم من قلة عددهم، الهجوم الفيتنامي لمدة 56 يوماً، ولكنهم أُجبروا على الاستسلام في 7 مايو 1954، وانتهى القتال في أوائل اليوم التالي.

28- كان الجنرال والتر بيدل "بيدل" سميث ضابطاً كبيراً في جيش الولايات المتحدة الذي شغل منصب رئيس أركان الجنرال دوايت أيزنهاور في مقر قيادة قوات التحالف (AFHQ) أثناء حملة تونس والحلفاء غزو إيطاليا في عام 1943 خلال الحرب العالمية الثانية. في عام 1950، أصبح سميث مدير الاستخبارات المركزية، ورئيس وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) وغيرها من وكالات الاستخبارات في الولايات المتحدة. أعاد سميث تنظيم الاستخبارات المركزية الأمريكية، وأعاد تعريف هيكلها ومهمتها، وأعطاه إحصائياً جديداً بالهدف. لقد جعل من وكالة المخابرات المركزية ذراع الحكومة المسؤول الأول عن العمليات السرية. غادر وكالة المخابرات المركزية في عام 1953 ليصبح وكيل وزارة الخارجية. بعد تقاعده من وزارة الخارجية في عام 1954، استمر سميث في خدمة إدارة أيزنهاور في مناصب مختلفة لعدة سنوات، حتى تقاعده ووفاته في عام 1961.

وتنص اتفاقيات جنيف على إجراء انتخابات في شطري الفيتنام وتوحيدها خلال سنتين من التوقيع على الاتفاقيات واعتبار خط العرض 17 خطأً مؤقتاً للهدنة لا خط حدود، وعلى عدم إدخال جنود وعسكريين ومودا حربية إلى الفيتنام بكاملها (المادة 4) وعدم إقامة أية قاعدة عسكرية في شطري البلاد (المادتان 5 و19) وعلى احترام سيادة كل من كمبوديا ولاوس والفيتنام واستقلالها ووحدتها وحدودها وتجنب التدخل في شؤونها الداخلية، وعلى عدم إدخال أي نوع من أنواع الأسلحة الحربية ووحدات من الأسطول الحربي والمدافع والصواريخ والطائرات والأسلحة الصاروخية المدرعة إلى الفيتنام (المادة 17). ولكن بدلاً من أن تنهي تلك الاتفاقيات الحرب في الفيتنام وتحمل إلى تلك المنطقة الأمن والسلام والطمأنينة، أخذ الوضع في التآزم فوراً وخاصة عند قيام ديميم²⁹ بانقلابه العسكري بمساعدة الولايات المتحدة وتسلمه الحكم في سايجون.

وبمجرد لمحة قصيرة على تلك الاتفاقيات تعطينا فكرة واضحة عن الأسباب الحقيقية التي تجعل الحرب في الفيتنام وربما في لاوس تستمر منذ عشرين سنة، إذ يبدو أن الولايات المتحدة فهمت من تلك الاتفاقيات حلها محل الاستعمار الفرنسي في السيطرة على الشعب الفيتنامي ومواصلة افنائها. فبدأت والحبر لم يكن قد جف بعد على مسودات الاتفاق في تناسي تعهدها، والمباشرة في حرب عدوانية مسلحة لا تزال ماضية في تسعيرها حتى اليوم. هذه الأشياء يعرفها الجميع، ولكن اجتماعنا مع الكولونيل "هافان لو" مندوب جيش التحرر الوطني في الفيتنام بمؤتمر جنيف المذكور والرئيس الحالي للجانب الفيتنامي الذي يقوم بمهمة الارتباط مع اللجنة المشرفة على تنفيذ اتفاقيات جنيف قد أوضح لنا كثيراً من الأمور.

والكولونيل هافان لو يبدو شاباً أصغر من عمره الحقيقي، كما هي الحال بالنسبة إلى كثير من أبناء الفيتنام وهو شخصية عسكرية معروفة في الفيتنام وعضو في القيادة العليا للجيش الشعبي في الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية، وإلى جانب معارفه العسكرية يتمتع بمعلومات واسعة عن خفايا السياسة الدولية، وخاصة السياسة الأميركية، مما جعله يلعب دوراً كبيراً في إخراج مؤتمر جنيف من المأزق الذي كان وصل إليه والذي كان تهدده بالفشل، لا تشعر وهو يحدثك أن الوقت يمضي، ولذلك كانت اللمحة التي أعطاها عن تطور قضية الفيتنام من الناحية العسكرية والسياسية شاملة بالرغم من إيجازها، وافية مفهومه بالرغم من رجلاً عسكرياً يدلي بها.

لقد مرت قضية الفيتنام منذ اتفاقيات جنيف في مراحل عديدة حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن، فبين سنة 1954 وسنة 1959 كانت حكومة الجمهورية الديمقراطية في الفيتنام تعمل جهدها في سبيل تطبيق اتفاقيات جنيف لإعادة توحيد البلاد. وكذلك في الجنوب كان الديموقراطيون يطالبون باحترام الحقوق الديمقراطية وتوحيد البلاد توحيداً سليماً وإجراء

29- نغو دينه ديم، وعينه رئيس الدولة باو داي في منصب رئيس وزراء دولة فيتنام عام 1954. وقام بتحية باو داي عن الحكم بعد فوزه باستفتاء مزور في شهر أكتوبر من عام 1955، وأعلن عن قيام جمهورية فيتنام الأولى. كان زعيم العنصر الكاثوليكي وعارضه البوذيون. جرى اغتيال ديم مع أخيه نغو دينه نيو في شهر نوفمبر عام 1963، خلال انقلاب مدعوم من طرف وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، وذلك بعد اندلاع مظاهرات بوذية مستمرة وترافقت مع مقاومة لا عنيفة. يعد ديم من الشخصيات المثيرة للجدل في مجال تاريخ ودراسة حرب فيتنام. حيث يرى بعض المؤرخون أن صانعي السياسة الأمريكيين استخدموه كداة، بينما يعتبره البعض تجسيدا للتقليد الفيتنامي.

الانتخابات. ولكن المستعمرين الأميركيين وعملاءهم لجأوا إلى استخدام وسائل الاستعمار الجديد وقاعدة انطلاق لتهيئة الحرب. وفي سبيل هذه السياسة أنشأوا جيشاً وإدارة عميلتين غربيين عن الشعب كأداة تنفيذ لها.

لقد كان على الفرنسيين أن ينسحبوا من جنوب الفيتنام عام 1965 فجاء الأميركيون وحلوا مكانهم، حيث حولوا البلاد إلى مستعمرة أميركية بحجة المساعدة والاستشارة اقتصادياً وعسكرياً. ويرفض المستعمرون وعملاؤهم تطبيق اتفاقيات جنيف بنصوصها العسكرية والسياسية، وجميع المقترحات حول الدستور والانتخابات وإقامة علاقات طيبة بين الجزئين المقدمة من الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية منذ سنة 1957 حتى الآن قد رفضت. وليس خط العرض 17 حسب اتفاقية جنيف سوى خط عسكري مؤقت ولكن الأميركيين وعملاءهم يعتبرونه كخط حدود نهائي.

وخلال هذه المرحلة قوي التدخل الأميركي في جنوب الفيتنام عن طريق الاضطهاد الفاشي والحرب العدوانية وقسمة البلاد التي تعيش في حالة حرب فعلية. وفي أواخر سنة 1958 استعملوا الغازات لقتل المعتقلين فقتل ألف منهم بهذه الطريقة. أما حكومة سايجون فقد كانت ولا تزال حكومة عميلة للأميركيين تضطهد الوطنيين، وتمكن الاستعمار من احتلال البلاد، وهي لا تعيش إلا بأساليب الظلم والاستبداد والاضطهاد (مثلاً القانون رقم 10 الصادر سنة 1959 فهو قانون فاشي جائر) وتجاه ذلك يقوم شعب الفيتنام بنضال سياسي لتحقيق أمانيه في الحقوق الوطنية وتطبيق اتفاقيات جنيف تطبيقاً صحيحاً تلك التي تحترمها حكومة الجمهورية الديمقراطية في الشمال باستمرار.

أما المرحلة الثانية الممتدة بعد سنة 1959 فتتميز بتقوية الاضطهاد وزيادة السجون والمعتقلات تجاه ازدياد نضال الشعب في سبيل حقه بالحياة. لقد كان على الشعب أن يختار بين طريقتين: إما الخضوع للديكتاتورية الفاشية التي كانت تمارسها حكومة سايجون بمساعدة الأميركيين والقبول بالاستعباد، وإما مواصلة الكفاح بجميع الوسائل للحصول على حقوقه الشرعية، ولم يتوان الشعب الفيتنامي من اختيار الطريق الثاني، كما يفعل كل شعب أبي مثله. ويخوض الشعب الفيتنامي كفاحاً عسكرياً وسياسياً في وقت واحد، أخذ يتطور باستمرار ويتخذ أشكالاً جديدة لاتفاقه مع أمانى الشعب وامكانياته، وتشكلت فرق الأنصار مما أثر في نظام دييم تأثيراً كبيراً وأضعفه بشدة، حتى أن الصحف الغربية كتبت في ذلك الوقت أن حكومة دييم لا تصمد أكثر من أسبوع لولا المساعدة الأميركية.

وفي سنة 1961 تجاه اشتداد نضال الشعب، وعجز نظام دييم اضطر الأميركيون إلى نزع أفتعتهم والكشف عن أنفسهم كمستعمرين حلوا مكان المستعمرين الفرنسيين، وأخذوا يضاعفون عدد المستشارين وجمودهم، ووضعوا خطة كانت تستهدف في ظنهم إخضاع الفيتنام خلال 18 شهراً عن طريق ما سموه "بالحرب الخاصة" ولكن هذه الحرب لم تكن في الواقع سوى حرب أهلية، إلا أن هذه الخطوة فشلت واستمرت هذه الحرب إلى سنة 1963

حين جاء وزير الدفاع الأميركي ماكنمارا³⁰ إلى الفيتنام لوضع خطة جديدة تؤدي إلى إخضاع البلاد بل إلى إخضاع منطقة سايجون، لأنهم لم يكونوا يملكون قوى لإخضاع كل البلاد. ولكن الخطة الجديدة فشلت أيضاً في سنة 1964. وقد كان اعتماد الأميركيين على ثلاث نواح: -
1- الإدارة والجيش الجنوبيين التابعين لهم.
2- نظام "المزارع الاستراتيجية".
3- المدن حيث يستطيعون حشد إمكانات كبيرة.

وخلال هذه المرحلة حصل انقلاب أطاح بدييم ثم حصلت انقلابات متتابعة بلغ عددها 12 انقلاباً ويمكن القول أن الأميركيين عاجزين عن الاتيان بحكومة قوية نسبياً مثل حكومة ديم، إن الشعب الفيتنامي لا يثق بجميع الحكومات التي جاء بها الأميركيون ولذلك فقد فشل اعتمادهم على الإدارة، أما الجيش فإن مهمته كأداة بوليسية لتعذيب الناس واضطهادهم قد جعلت منه جيشاً عاجزاً يزداد ضعفاً وتفككاً يوماً عن يوم.

وقد قام الأميركيون بدعاية واسعة حول "القرى الاستراتيجية" لأنهم كانوا يعتبرونها أساساً لنظامهم السياسي وقاموا بجهود واسعة لتنفيذ هذا النظام بواسطة نصف مليون جندي والمستشارين الأميركيين، وقد وضعوا التصميم لإقامة 17 ألف قرية نموذجية تضم 10 ملايين شخص من أصل 15 مليوناً عدد سكان الجنوب، ولكن الشعب أدرك فوراً مرامي هذا المشروع وصمم على إسقاطه وكانت المعركة قاسية جداً على مختلف الجبهات، وأخيراً استطاع الشعب أن ينتصر ولم يستطع المستعمرون أن ينشئوا أكثر من 8 آلاف قرية ضمت 5 ملايين شخص، ولكن هذا العدد نقص إلى ألف في آخر سنة 1964 بينما أن المناطق المحررة تزداد اتساعاً حتى بلغت في هذه المدة ثلاثة أرباع مساحة البلاد وتلثي عدد السكان. وهكذا فشلت المزارع الاستراتيجية التي قامت في الأساس على تجميع السكان رجالاً ونساءً وأولاداً في مناطق معينة تحت المراقبة.

وقد حمل فقدان القرى والأرياف الأميركيين على الاعتماد على المدن، ولكن الوضع فيها أيضاً يتطور إلى غير مصلحتهم، ففي تشرين الثاني سنة 1963 قام البوذيون بحركتهم وفي سنة 1964 تطورت هذه المعركة حتى استطاع الشعب في المدن أن يسقط حكومة "خان" في آب سنة 1964 وهكذا فإن سكان المدن لعبوا ولا يزالون يلعبون دوراً فعالاً في النضال العام مما جعل الأسس التي يعتمد عليها الأميركيون تنهار الواحدة تلو الأخرى.

أما الوضع العسكري بين سنة 1960 و1964 فقد اجتاز مراحل عديدة: لقد بدأ معتمداً على الانتفاضات الشعبية في الريف، حيث تشكلت إدارات التسيير الذاتي كأساس للسلطة الشعبية تحت قيادة جبهة التحرر الوطني، مما ساعد على توسع حركة الأنصار، وفي بدء سنة 1963 سجلت معركة اب-باك مرحلة جديدة دلت على الإمكانيات الواسعة التي بيد الأنصار، فقد

30- روبرت سترانج مكنمارا أو ماكنامارا ومسؤول تنفيذي أمريكي ووزير الدفاع الثامن، خدم في المنصب من عام 1961 إلى 1968 في عهد الرئيس جون كينيدي وليندون جونسون. لعب دوراً رئيسياً في تصعيد تدخل الولايات المتحدة في حرب فيتنام.

احتل 200 من الأنصار قرية واستطاعوا القضاء على ألفين من جنود حكومة سايجون، بالرغم من الفرق في العدد والسلاح بين الفريقين.

بعد هذه المعركة توصل الأميركيون إلى الاستنتاج أن خطة "الحرب الخاصة" لا تستطيع الانتصار على الأنصار "الكاريلا - عصابات ثورية المسلحة" وفي تشرين الثاني سنة 1964 ازدادت قوة جيش التحرر الوطني بشكل ظهر وأخذ يخوض معارك تدوم وقتاً أطول ويستخدم فيها قوات أكثر، وأصبح يتخذ موقف الهجوم بعدما كان يكتفي بموقف الدفاع. لقد انتقلت المبادرة إلى جيش التحرير الوطني واستطاع في نهاية سنة 1964 أن يفكك جيش حكومة سايجون، مما حمل الأميركيين على الكشف عن وجوههم أكثر فأكثر، وعلى خرق اتفاقيات جنيف بشكل مفضوح حيث أخذوا يرسلون الجنود الأميركيين للاشتراك في القتال. وعندما عجز المستعمرون الأميركيون عن إخضاع شعب فيتنام الجنوبية بدأوا في 5 آب سنة 1964 غاراتهم على الشمال، وهذه الغارات تشكل جزءاً من الحرب الخاصة التي يقومون بها في الجنوب، ولكن هذه الغارات أدت إلى توحيد الرأي العام وزيادة لحمته بين شطري البلاد من جهة، وبين سكان كل شطر من جهة أخرى.

لقد كان المعتدون يريدون من توسيع عدوانهم إلى الشمال الضغط على حكومة الجمهورية الديمقراطية وحملها على القبول بشروطهم، ومن ثم حمل مجلس الأمن على اتهام الشماليين بأنهم المعتدون ووضع قضية الفيتنام أمام هيئة الأمم المتحدة واستخدام هذه الهيئة لشرعية تدخلهم هناك، وإضفاء الصفة الدولية على عدوانهم، ولكن الحكومة الديمقراطية في شمال الفيتنام عارضت بشدة هذه المحاولات الأميركية. إن الحرب الخاصة التي اعتمدها الأميركيون حتى سنة 1964 قد فشلت فشلاً تاماً، وقد صرح الرئيس الأميركي كينيدي أن الوضع يشبه نفقاً لا نهاية له، وللتخلص من هذا النفق لا يزالون يحاولون اللجوء إلى هيئة الأمم المتحدة تارة وإلى وسائل أخرى تارة أخرى ولكن جميع تلك المحاولات فشلت.

تجاه هذا الوضع واصل الأميركيون منذ سنة 1965 تدخلهم السافر، وقد وضعوا خطة تستند إلى ثلاثة تدابير رئيسية:

- 1- إدخال المزيد من الجيوش الأميركية للاشتراك في الحرب بجنوب الفيتنام وزيادة اشتراك الأميركيين في المعارك. وعدم الاعتماد على عساكر حكومة سايجون.
- 2- القيام بحرب عدوانية تخريبية غير معلنة بواسطة الغارات الجوية على شمال الفيتنام.
- 3- القيام بحملة سلم وعملية سلمية للتغطية.

عند بدء سنة 1965 أدخلوا 25 ألفاً من الأميركيين إلى جنوب الفيتنام كان أكثرهم، كما يقولون مستشارين، ولكنهم في الواقع كانوا يقومون بدور القادة وكانت مهمتهم الرئيسية مساعدة الفيتناميين الجنوبيين من أنصار حكومة سايجون، إلا أنه تجاه نضال الشعب كان الجيش العميل يضعف ولم يبق أمامه من وسيلة للصمود سوى جلب قوة عسكرية من الخارج، فحمل الأميركيون بعض حلفائهم على أن يشتركوا في إرسال جنودهم، فأرسلت كوريا الجنوبية 20 ألفاً وأستراليا ألفين وتايلند ألف جندي. وقد كان هدف الأميركيين من إرسال

مثل هذه القوى القليلة مناورة لتدويل القضية الفيتنامية، ولكنهم فشلوا أيضاً في هذه المناورة، ولم يلب رغبتهم حتى حلفاؤهم، مما اضطرهم إلى الاعتماد على قواهم بشكل رئيسي فأنزلوا من شباط إلى تموز سنة 1965 خمسين ألفاً، ومن آب حتى تشرين الأول أصبح عددهم 150 ألفاً مع من يسمونهم المستشارين. وقد زاد عددهم في الوقت الحاضر حتى يكاد يبلغ 200 ألف (لقد زاد عددهم الآن عن 325 ألف والحبل على الجرار).

وهذا العمل بإرسال الجنود الأميركيين بهذه الكمية الكبيرة وإشراكهم في القتال يدل على هزيمة سياسية كبيرة، لأنه أصبح من الواضح الآن أنها قوى عدوانية ولم يبق لها صفة الاستعمار الجديد، مما أثار احتجاج الرأي العام العالمي والرأي العام الأميركي حيث قامت مظاهرات متعددة للاحتجاج على هذا العمل الذي زاد أيضاً في حقد الشعب في جنوب الفيتنام وتصميمه على القتال، ووضعه وجهاً لوجه أمام المعتدين الأميركيين. ويمكن القول من الناحية الاستراتيجية أن إدخال الجنود الأميركيين أدى إلى قلب خططهم رأساً على عقب، لقد كانوا يستهدفون القيام بالحرب بأسلحة أميركية وجنود محليين، ولكن تجاه الفشل الذي أصابهم اضطروا إلى أن يقوموا بالحرب بأسلحة أميركية وجنود أميركيين، لقد أصبح عليهم أيضاً أن يقوموا "بالاحتلال" بدلاً من "الحركة" وهذا ما يلحق بهم الهزيمة أيضاً، لأنهم لا يملكون قوى لاحتلال جميع مناطق الجنوب، حتى ولو بلغ عددهم مئات الألوف كما يخططون السنة القادمة. وأن لنا أمثلة الجزائريين الذين قاتلوا 600 ألف جندي بينهم 450 ألفاً من الفرنسيين والباقي من المرتزقة، وتمكنوا من الانتصار عليهم.

إن الأميركيين اليوم أحسن تسليحاً من الفرنسيين ولكن الانتصار عليهم أسهل كما دلتنا التجارب في الفيتنام الجنوبية، وذلك لأن أسلحتهم ضخمة وهي تعيقهم في تنقلاتهم في تنقلاتهم ولا تتناسب وطبيعة المعارك والأرض في جنوب الفيتنام، كما لا تؤثر كثيراً في حرب الأنصار (حرب العصابات - الكاريلا)، ويلاحظ ذلك بوضوح في الأشهر الأخيرة، حتى أن العسكريين الأميركيين اضطروا للتسليم بذاك، واضطر ماكنمارا وتايور إلى الاعتراف بأن الوضع في جنوب الفيتنام ليس رائعاً. إن الأميركيين لا يستطيعون القيام بالحرب إلا إذا كانوا مسلحين جيداً ومتمتعين بجميع التسهيلات ووسائل الراحة، ولمن الحرب في الجنوب ليست حرب مواقع، أو حرباً منظمة بل هي عبارة عن حرب أنصار، وكثيراً ما يضطرون إلى الخروج من معاقلمهم واستحكاماتهم ليخوضوا المعارك وجهاً لوجه، مما يعطي أفضلية كبيرة للأنصار، لأن الأميركي يشكّل خارج الموقع هدفاً سهلاً لهم.

صحيح أن القنابل والغارات أسلحة وحشية إلا أن الطيران والآليات لا تستطيع إنهاء حرب كالتجربة تجري في جنوب الفيتنام، حيث يحتاج الأمر إلى المشاة ويتعرض المشاة الأميركيون لكثير من الثغرات مثلاً: جميع وسائل النقل قد ضربت في الجنوب من قبل الشعب وعلى الأميركيين استخدام طائراتهم للتنقل، مما اضطرهم إلى إنشاء 52 مركزاً يجب أيضاً تموينها بواسطة الطيران، وتستخدم طائرات الجيش لنقل الأرز من سايغون إلى بعض المراكز وعندما يتمكنون من شق طريق، فإنهم لا يستطيعون استخدامه إلا خلال يومين فقط لأن الأنصار لا يتأخرون عن تخريبه وتعطيل السير عليه وهذا الوضع قد ألحق ضرراً كبيراً

بالأميركيين لأنهم لا يستطيعون استخدام آلياتهم بسهولة، وعليهم أيضاً أن يوزعوا قواتهم لإعادة إصلاح الطرق المعطلة وهي كثيرة وفي الفيتنام الجنوبية عشرات الألوف من الطرق وسكك الحديد المخربة.

وجنوب الفيتنام بلاد زراعية وأكثر الأراضي تحت سيطرة جبهة التحرر الوطني وقد كانت مصدرة للأرز، ولكن الأميركيين يضطرون في الوقت الحاضر إلى تموين المناطق والمدن التي يحتلونها باستيراد الأرز من الخارج بمعدل يصل إلى 200 ألف طن. وهذا الوضع الاقتصادي يزيد الوضع السياسي تعقيداً. لقد زعموا أنهم جاءوا لمساعدة جنوب الفيتنام ولكنهم يسلبون السكان أرزهم عند الحصاد مما يزيد النقمة عليهم ويقضي على كل حججهم. من الطبيعي أن زيادة الجيش تحسن الوضع، ولكنهم بالرغم من وجود 200 ألف جندي لا يستطيعون المحافظة حتى على وضعهم لأن الأنصار لن يتركوهم فهم يزيدون من هجماتهم وتزداد الحرب حدة، وتزداد الخسائر بين الناس، إلا أن ذلك لا يحسن وضع الأميركيين داخلياً وعالمياً، فالولايات المتحدة تصبح أكثر عزلة في علاقتها مع الدول الأخرى والمقاومة عند الشعب الأميركي ضد سياسة حكومته تزداد، حتى أن الولايات المتحدة لم تعرف في تاريخها مثل هذه المقاومة. وفي الوقت نفسه يزداد وضع العملاء سوءاً على سوء والأميركيون يحسبون أن هذا الوضع أول شيء يتطلب الحل.

الجيش العميل يزداد تفككاً منذ بدء الحرب وقد تمكن الأنصار حتى الآن من وضع 7 فرق من الجيش الجنوبي خارج المعركة، ويقدر الخبراء أن الأميركيين يحتاجون إلى 720 ألف جندي للصدود، ولكن منذ بدء هذه السنة لا يستطيع الجنود الجدد تعويض الخسائر، بل يسدون فقط جزءاً من عشرة من الحاجة وعدد الجيش الجنوبي الآن 520 ألف جندي، والسكان الذين هم تحت سلطة حكومة سايجون 5 ملايين، إن نسبة المجندين تبلغ العُشر، وليس من بلد في العالم تبلغ نسبة الجنود فيه هذه النسبة، عدا عن أن عدد هؤلاء السكان يتناقص باستمرار، وأن قسماً كبيراً من هؤلاء الجنود يغتتمون أول فرصة للانضمام إلى جبهة التحرر الوطني، ومن هنا إنهم لا يستطيعون تخطي هذه النسبة مع أن الحاجة تتطلب 720 ألفاً فما العمل؟

تجاه ذلك يلجأ الأميركيون إلى أبعد الطرق عن الإنسانية لتحقيق أغراضهم، فهم يعملون على تقوية الأسلحة النارية كالمدافع والطائرات ضد الشعب ويستخدمون القاذفات الضخمة من طراز ب 52. ومن 18 حزيران حتى تشرين استخدموا هذا النوع 18 مرة، ويضعون الخطة لضرب 200 منطقة بالقنابل، في البدء كانوا يضربون المناطق الجبلية أما الآن فهم يضربون السهول أيضاً. واستخدام ب 52 يشكل جريمة بربرية لما تحدقه من إصابات وأضرار بين المدنيين وأرزاقهم.

كما يستخدمون أيضاً طائرات الأسطول السابع ومدفيعيته لضرب المناطق الواقعة على الشاطئ، وأحياناً يخربون قرى بكاملها، ومؤخراً أخذوا يستخدمون قطع الأسطول التي تسير بواسطة الذرة. إنهم يستخدمون الغارات السامة وقد وضعوا خطة كاملة لاستعمالها وهم

يسلحون جنودهم بها كجزء أساسي من أسلحتهم، في البدء زعموا أنهم يدخلون للمحافظة على قواعدهم ثم للدفاع عن أنفسهم، أما الآن فقد أصبح من الواضح أنهم يقومون بعدوان سافر.

لقد اشترك الأميركيون مباشرة بسبع وأربعين عملية حربية ضد الشعب بين نيسان وأيلول من هذه السنة. ومنذ شباط سنة 1965 استمرت حرب التخريب العدوانية ضد الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية في الشمال بواسطة الغارات الجوية وغاية الأميركيين منها تغطية هزيمتهم في الجنوب ورفع معنوية أصدقائهم وحلفائهم، وحمل حكومة الشمال على البدء بالمفاوضات بواسطة الضغط عليها. لكن هذه الحرب العدوانية لم تستطع أن تبلغ أهدافها، ففي الجنوب ينتقل الشعب وجيش التحرير من نصر إلى نصر، وفي الشمال فضحت الحكومة مناورات الأميركيين الذين تلحقهم الهزيمة تلو الهزيمة حتى تجاوز عدد الطائرات المسقطة في الشمال 700 طائرة، ولا بد من ملاحظة أن الخسارة الكبيرة في فقدان الطيارين، إذ أن الأميركيين يستطيعون صنع الطائرات بسهولة لكنهم لا يستطيعون تحضير الطيارين بسهولة، وفقدان مثل هذا العدد من الطيارين يشكل خسارة كبيرة لهم، أما من الوجهة السياسية فإن العدوان يوجه ضد بلد يتمتع بجميع شروط السيادة والاستقلال، يزعمون أنهم لا يضربون إلا المراكز العسكرية التي لاحق لهم بضررها، ولكنهم في الواقع يقصفون المعاهد العلمية وتجمعات السكن والمستشفيات، صحيح أن الحرب في الشمال تختلف عنها في الجنوب ولكن العدو واحد، والشعب في القسمين واحد وحقه في الدفاع عن نفسه مقدس وتأييده جميع الشعوب، يقولون أن الشمال يعتدي ولكنهم لا يعتدون عندما يأتون من عشرات الألوف من الكيلومترات لتقتيل شعب يناضل من أجل استقلاله؟

أما بشأن حملة السلام التي يبشرها جونسون ويدها تقطران دماً بسبب ما يسقط من ضحايا فقد أصبحت مقاصدها وأهدافها معروفة، وكل مقترحاته للسلام والمفاوضات يستنكرها الرأي العام العالمي، وقد كتب أحد الكتاب الفرنسيين يقول: إن الأميركيين يرمون على رؤوس الفيتناميين قنابل تزن 1000 و1500 كيلوغرام لحملهم على التفاوض. وعن ذلك يريد جونسون أن يؤمن الناس بنيته الصادقة وحديثه عن اتفاقيات جنيف، ولكن هدف الأميركيين من ذلك أن نترك لهم الحرية في جنوب الفيتنام وأن ينسحب جيش التحرر الوطني وجبهة التحرر الوطني، وأن يبقى في أيديهم 15 مليوناً من السكان يتصرفون بهم كما يريدون، إن الأميركيين في سايجون يقولون بصراحة أن تطبيق اتفاقيات جنيف لا يعني تنفيذ جميع مواد هذا الاتفاق، يعني في نظرهم أن على الشيوعيين أن لا يتدخلوا فيما وراء الخط 17.

إن العودة إلى اتفاقيات جنيف يعني العودة إلى الشروط الأساسية لاتفاقيات جنيف، أي استقلال الفيتنام ووحدتها وسيادتها وانسحاب الأميركيين من الجنوب، وترك الشعب يقرر أموره بنفسه، وأن لا يخرقوا حرمة شمال الفيتنام وسيادتها، إن الأميركيين يريدون في الوقت الحاضر استخدام هيئة الأمم المتحدة والكونغرس للضغط علينا، وقد جاءت بعثة "ولسن" بغرض حملنا على مفاوضة الأميركيين ولكن جبهة التحرر الوطني في الجنوب أصدرت بياناً بموقفها: الأميركيون اعتدوا على جنوب الفيتنام وعلى الشعب أن يرد هذا العدوان، ويستعيد السلم والاستقلال والسيادة، وطالما أن الأميركيين لم يخرجوا فهو سيواصل كفاحه

الدامي، وفي شمال الفيتنام أعلنت حكومتنا موقفها في مختلف المناسبات، منذ 8 نيسان صدر عدد من التصريحات توضح الموقف، وفي 2 أيلول صدر بيان بمناسبة العيد الوطني ينص على أن الشرط الوحيد لحل القضية يقوم على أساس العودة إلى اتفاقيات جنيف، واحترام الحقوق الأساسية للشعب الفيتنامي في الاستقلال والسلام، لا يمكن أن نفصل الاستقلال عن السلام، وهذا الموقف يستند أيضاً إلى الحقائق التي ظهرت في السنوات الأخيرة: الأميركيون هم المعتدون والشعب الفيتنامي معتدى عليه، وكل حل عادل للقضية الفيتنامية يجب أن يأخذ هذا الواقع بعين الاعتبار، وكل آخر لا يقبله شعبنا لأنه سيكون في مصلحة الاستعمار الأميركي، إننا نطالب حكومات العالم وشعوبه والمنظمات الديموقراطية والمنظمات في مختلف أنحاء العالم وجميع محبي السلام والعدالة أن يساندوا ويساندوا بيان جبهة التحرر الوطني.

فقط عندما يقبل الأميركيون بهذا الأساس يمكن التفكير بحل سلمي وإلا فلا حل سوى مواصلة النضال ونحن لسنا وحدنا فمعنا المعسكر الاشتراكي وقوى السلم، أما المستعمرون فيزدادون عزلة، والشعب الفيتنامي مستعد لخوض هذه الحرب عشر سنوات وخمس عشرة سنة وأكثر وعنده جميع الإمكانيات للوصول إلى النصر. حتى إذا هاجم الأميركيون الشمال فنحن مستعدون لمقاومتهم، ولكن ليس من السهل مد الحرب إلى الشمال، وتصميمنا هذا هو تصميم 31 مليون فيتنامي في الشمال والجنوب تساعد جميع قوى التقدم العالمية، من الطبيعي أننا سنتحمل خسائر وتضحيات ولكن كل الشعوب التي ناضلت وتنازلت في سبيل استقلالها وسيادتها تتحمل التضحيات، وإننا نتمتع بميزة لا بد من ذكرها وهي أن بلادنا زراعية في الأساس، فنحن نستطيع أن نترك المدن وننتقل إلى الجبال والغابات لمواصلة الحرب، إن حربنا حرب شعب في الشمال والجنوب، وكذلك فإن مقاومة الغارات الجوية تتطلب حرباً شعبية، فإلى جانب المدافع المضادة للطائرات يناضل الشعب بأجمعه ضد الغارات وكثيراً من الأحيان يُسقط الأنصار الطائرات بالبنديقية، وفي كثير من الأحيان أيضاً يقوم العمال والفلاحون بالدفاع ضد الطائرات وهم مهيوون للحلول مكان الجرحى من المدافعين.

لقد قام الأميركيون بالغارات على مختلف درجات العلو، وقد هُزموا على العلو المتوسط وعلى العلو المرتفع، وهم يحاولون الآن القصف من علو بسيط ولكن هذا أكثر خطراً عليهم، وعدا ذلك فهم يلاقون كثيراً من الصعوبات فحاملة الطائرات مثلاً في المحيط الهادي كان عليها أن تقوم بضرب الشمال مدة طويلة ولكن تدخلها لم يدم أكثر من 45 يوماً، واليوم لا تستطيع أن تداوم أكثر من 25 يوماً بسبب النقص في عدد الطائرات وخاصة عدد الطيارين. لقد كانوا يظنون أنهم سينتهون من الشمال خلال أشهر وحملنا على التفاوض، ولكن الوضع مستمر منذ أكثر من سنة، مما يشكل بالنسبة للأميركيين هزيمة، ونحن ننتهي للقيام بعمل أكثر مركزية، وقوانا تزداد مما يحملنا على الثقة بأننا سننتصر. لقد كانت مساعدة الدول الأخرى لنا سياسية ومعنوية، وأما المساعدة المادية فإننا نتلقاها من البلدان الاشتراكية وخاصة من الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية، ونحن مستعدون لقبول كل ما يمكن لإخواننا أن يقدموه حتى الأسلحة.

هذا ما علق في ذهن من حديث الكولونيل هافان لو الذي كان يتدفق فيه بشكل تظهر عليه الحماسة ويثيره الاندفاع، لقد لاحظنا هذه الروح العالية المتوثبة التي لا تلين عند جميع الفيتناميين، والكولونيل هافان لو مثله مثل سائر القادة خرج من صفوف الشعب ووصل إلى مركز القيادة بفضل نضاله وتضحياته وتفانيه، إنه أحد أفراد الشعب الذي أخرج أبطال ديان بيان فو، وغيرها من المعارك البطولية التي تشبه الأساطير. هذا الشعب الذي لا يزال منذ عشرين عاماً في نضال مستمر ضد المستعمرين اليابانيين فالفرنسيين ثم الأميركيين، قد عرف كيف ينتصر في جميع المعارك التي خاضها، ويقف اليوم في الجبهة الأولى من النضال الدامي الذي تقوم به الشعوب ضد الاستعمار العالمي، ولذلك فإن جميع الشعوب تحيي بطولته وهي مستعدة لمساندته بأقصى ما تستطيع من قوة.

لقاء مع ممثلي أبناء الجنوب

وعدا اجتماعنا مع الكولونيل هافان لو أُتيح لنا الاجتماع بعدد كبير من ممثلي أبناء الجنوب، فقد دُعينا إلى لقاء معهم وكان عددهم يزيد عن مائتين بين رجال ونساء وشباب وشابات، ولا بد من الملاحظة هنا أن نصف أعضاء الحكومة في شمال الفيتنام من أصل جنوبي، وكذلك نائب رئيس الجمهورية، وأن عدداً كبيراً من ممثلي الفيتنام الدبلوماسيين من أصل جنوبي، بالمقابل فإن رئيس حكومة سايجون كاوكي³¹ من أصل شمالي، مما يدل على أولاً على أن الغزو -إذا كان هناك غزو- يتجه من الجنوب إلى الشمال لأن أكثر الذين وجدوا في الشمال من الجنوبيين فضلوا البقاء بانتظار العودة إلى الجنوب بسبب ما يجري هناك من أحداث واضطراب الحالة، كما أن قسماً كبيراً من الجنوبيين يفر إلى الشمال هرباً من القتل والاضطهاد، ويدل ثانياً على أن الفيتنام بلد واحد لا فرق بين شماله وجنوبه.

وقد استمعنا إلى أقوالهم يحدثوننا عن الوضع في كل منطقة من الجنوب لأنهم ينتسبون إلى جميع مناطقه ويعرفون ما يجري حق المعرفة، ويطول بنا الحديث لو جننا لنعدد كل ما نقلوه إلينا من حوادث، ولكننا نكتفي بالبعض منه. بعد انتصار ديان بيان فو ضد الفرنسيين وتوقيع اتفاقيات جنيف وتحقيق السلام وبناء لطلب حكومة الشمال جاءوا إلى الشمال وهم يعتبرون أن حكومة هوشي منه هي الحكومة الشرعية التي تمثل جميع الشعب، وخاصة أن نصف أعضائها من الجنوب كما أسلفنا، وهم يشددون على الروابط التي تربط بين أبناء شطري البلاد. بعد وضع الأميركيون ديم على رأس الحكومة في سايجون وأنهم لم يحترموا اتفاقيات جنيف، وأخذوا يضطهدوا الشعب في الجنوب ويقتلون الناس بالجملة، مثلاً في سجن مولون³² سنة 1958 قتلوا جميع السجناء تقريباً، وكل منهم قريب قتل أو جرح أو اعتقل أو عذب، مما جعل شعب الجنوب يحمل السلاح دفاعاً عن حقه وحياته.

31- جنرال نغوين كاوكي كان ضابطاً عسكرياً وسياسياً فيتنامياً شغل منصب رئيس القوات الجوية لجمهورية فيتنام الجنوبية في الستينيات، قيل أن يقود الأمة بصفته رئيس وزراء جنوب فيتنام في المجلس العسكري من عام 1965 إلى عام 1967.

32- سجن مولون Mulan Prison أسس من أجل اعتقال الشيوعيين وإعادة تثقيفهم وغسل أدمغتهم بالفكر الرأسمالي. في جنوب فيتنام، واجهت حكومة ديم الثوار "الأنصار" المدعومين من حكومة الفيتنام الشمالية (بما في ذلك اغتيال أكثر من 450 من المسؤولين الفيتناميين الجنوبيين في عام 1956) باحتجاز عشرات الآلاف من الشيوعيين المشتبه بهم في "مراكز إعادة التثقيف السياسي". كان هذا برنامجاً قاسماً احتجز العديد من غير الشيوعيين، على الرغم من أنه كان ناجحاً أيضاً في تقليص النشاط الشيوعي في البلاد، ولو لبعض الوقت. وافتر مصادر الحكومة الفيتنامية الشمالية أن أكثر من 65000 شخص قد سُجنوا وأن 2148 شخصاً قُتلوا في هذه العملية بحلول نوفمبر 1957

وفي الشمال أكثر من عشرة آلاف شاب من الجنوب وكثير منهم أصبحوا أبطالاً في العمل والإنتاج، وهم يعتبرون أنفسهم مجندين تحت لواء جبهة التحرير ولكن جيش التحرير في الجنوب بغير حاجة إليهم لأن الشعب كله هناك يمثل الجيش، وهذا مما يُكذب الزعم بأن الأنصار في الجنوب هم من الجيش النظامي الشمالي. وذكر أحد مواطني سايجون أنه في أحد المصانع حملوا العاملات على البقاء 12 ساعة أمام الآلات مما اضطر ألفين عاملة على النضال والإضراب بالرغم من الضغط الوحشي. وقد عقد العمال في سايجون عدداً كبيراً من الاجتماعات وهب مئات العمال والطلاب للاحتجاج، إنهم يحاولون تحويل الأولاد إلى لصوص وأولاد أزقة (شوارع) وجر الفتيات الصغيرات إلى الدعارة، وإجبار الشباب على الانخراط في الجيش العميل، وهم في سبيل ذلك لا يتورعون حتى عن بقر بطون الناس. ولكن بالرغم من ذلك استطاع الشعب أن يصمد وأخذت الحكومات تنهار واحدة تلو الأخرى حتى أن السلطات قتلت البوذيين فهب الطلاب ضد هذه البربرية فهاجمتهم الشرطة وقتلت عدداً منهم.

وذكر أحد مواطني "تان" أنه حيث يركز الأميركيون قواهم يكون اضطهادهم أكثر بربرية وأنهم يأملون العودة إلى بلادهم بعد اتفاقيات جنيف وتجمعوا في الشمال بانتظار ذلك ولكم الأميركيين يمنعهم، ومنذ عشر سنوات وتزيد يعيشون محرومين من لأي خبر يأتيهم من أولادهم ونسائهم وأهلهم، إن شعب الفيتنام يحب السلام والحرية ولكن الأميركيين لا يتركونه يفعل، في منطقتهم كما في غيرها يعتقلون الفلاحين ويقطعون رؤوسهم، ويرمون الأولاد في النار، ويحرقون البيوت. وفي إحدى المناطق كان الفلاحون يحرقون الأرض فهاجمتهم الطائرات وقتلت منهم أربعين فلاحاً لا ذنب لهم سوى أنهم يكفون ليعيشوا.

واليوم يرسل الأميركيون قوات جديدة إلى الفيتنام ولكنهم لن يتوصلوا -مهما فعلوا- إلى إخضاع الشعب الفيتنامي، ومع أنهم يستعملون أسلحة أحدث من الأسلحة التي كان يستعملها الجيش الفرنسي، فإن أكثر من ديان بيان فو تنتظرهم. لقد انتصروا على الفرنسيين وسينتصرون على الأميركيين لأن المواطنين الفيتناميين اكتسبوا خبرة جديدة في أثناء حربهم مع الجيش الفرنسي. وسيواصلون الكفاح حتى النصر النهائي.

ولكن الذي أثار الحزن الممزوج بالحقد والفوران والثورة ما قالته الفتاة "هوتي سو" وهي طالبة طب في جامعة هانوي جاءت إلى الشمال عندما كانت في السادسة عشرة من عمرها، أي سنة 1954 وكان والدها قد قتل وهي لا تستطيع أن ترى والدتها منذ ذلك التاريخ، وقالت: أرسلت الرسائل إلى أمي فلم تسلم إليها، أرسلت بطاقة إلى شقيقي الصغير فاعتقل وعذب، كما اعتقل زوج أختي من قبل السلطات العميلة وقتل تاركاً أرملة وطفلين صغيرين، إنهم يستعملون الغازات ويقتلون الألوف من أبناء قومي، بينهم دون شك عدد من أقربائي، أرجوكم أن تنقلوا ذلك إلى جميع أنحاء العالم، إذ يكفي ما أرى من دماء بريئة حتى الآن على أرض الفيتنام".

لقد بكت وهي تحدثنا عن مأساتها ومأساة بلادها، لم تكن وحدها التي سكبت دموعها.. ربما كان في نيويورك أو واشنطن أو غيرها من الولايات المتحدة فتاة مثلها أيضاً تسكب دموعها بسبب حرب الفيتنام.. إن هذه الدموع ستشكل في النهاية نهراً بل تياراً جارفاً يلف على أعناق تجار الحروب، والمستعمرين فيقتلهم: خنقاً أو غصة.. وإذا كانت طالبة الطب الفيتنامية تمثل في حد نفسها مأساة، فإن هذه المأساة على ما تحمل من ألم ستكون معولاً يعمل في جسم الاستعمار المتهالك ليقضي عليه. فتحية إليك أيتها الفتاة وتحية إلى الشعب الذي كله بطل.



الوفد بين رجالي الدين بعد اللقاء مع جبهة الشعب الوطنية

مع رجال الدين

في أثناء زيارتنا للفيتنام أتيح لنا أن نلتقي برجال الدين المسيحيين والبوذيين ثلاث مرات. المرة الأولى عندما قمنا بزيارة جبهة الشعب الوطنية في الثالث من شهر تشرين الأول سنة 1965، وهذه الجبهة تجمع إلى جانب الأحزاب السياسية، ممثلين عن الطوائف الدينية من بوذيين ومسيحيين، وهناك التقينا بأمين السر العام للبوذية وعضو الجبهة الكاهن "يان تو" وبراعي إحدى المناطق الكاهن الكاثوليكي "تران غوانغ نغيم". لقد اغتنمنا هذه الفرصة،

لنتحدث إليهما، وقد ذكر لنا الكاهن المسيحي أنه راعي رعية "كونغ بنه" عاصمة "دونغ هو" الواقعة على خط العرض السابع عشر الفاصل بين جزئي الفيتنام. وقال أن كاتدرائية هذه المدينة، حيث يقوم بالخدمة الكنيسية، ضُربت عدة مرات من قبل الطائرات الأميركية والأسطول السابع، وأن كثيراً من الكنائس قد لاقت المصير نفسه.

ومنذ وقت طويل أي منذ ابتداء السنة لا يستطيعون القيام بالصلوات حتى أيام الأحاد، لأن الطائرات تبدأ بالقصف منذ الصباح الباكر وتستمر طول النهار في أغلب الأحيان. والمستشفى الواقع في مركز المقاطعة قد قُصف وكذلك المدارس والمصحات وخمسة مستشفيات غيره، ولكن مواطني بلدته الذين يبلغ عددهم 35 ألف كاثوليكي مصممون على مقاومة المستعمرين الأميركيين؛ وقال: نحن سعداء أن ننقل إليكم النتائج التي حصلنا عليها بالرغم من القصف الوحشي الذي نتعرض له. لقد استطعنا الحصول على انتاج زراعي لم نبلغه منذ سنة 1954 وأن كثيراً من الميداليات قد منحت للكاثوليك بسبب النشاط الذي أبدوه في الكفاح ضد الأميركيين أو في ميدان الإنتاج.

إننا نحن الكاثوليك نحب السلام الذي نادى به السيد المسيح ولكن الطريقة الوحيدة للحصول على السلام، أصبحت في الفيتنام، حمل السلاح ضد الأميركيين، إن الفيتناميين وخاصة الكاثوليك منهم قد اتخذوا شعاراً لهم: "حب الوطن والسلام والإيمان بالله". نحن نرجوكم أن ترفعوا أصواتكم أكثر فأكثر دفاعاً عن السلام فنحن قد تحملنا الآلام منذ أكثر من عشرين سنة، وأنتي من منطقة أُصيبت أكثر من غيرها بالقصف لوقوعها على الخط الفاصل، وهي تتعرض لقصف الطائرات والأسطول معاً، ولا يمنع الأميركيين من قصفها كوننا مسيحيين لأن الاستعمار لا يعرف ديناً إلا عندما يريد استغلاله. وقد تمكنا من إسقاط 30 طائرة حتى الآن والحبلى على الجرار.

أما الكاهن البوذي فقد قال لنا: إننا بوذيون ولكننا قبل كل شيء وطنيون، ونحن نعتبر أن الاستقلال وحده يتيح لنا القيام بشعائرننا الدينية ولهذا نحن مصممون على الدفاع عن قضية شعبنا. يقول بوذا لنا: "أن نكون إنسانيين"، ولكننا أمام جرائم المستعمرين لا يسعنا إلا الكفاح، والكفاح المسلح. منذ أكثر من شهرين قصفت الطائرات الأميركية "فان دينغ" وألحقت أضراراً كبيرة بالسكان المدنيين، المستعمرون الأميركيون بدون دين ولا إنسانية، ففي الجنوب دمروا الكنائس والمعابد وقد سجنوا الكهنة من جميع الأديان. واليوم في الشمال وفي الظروف الحالية للحرب، نحن مضطرون أن نقوم بشعائرننا الدينية في أثناء الليل خوفاً من القصف، نحن الكهنة البوذيين مع رعايانا مصممون على التضامن مع سائر أفراد شعبنا للقيام بالنضال ضد المستعمرين الأميركيين، وأنا نتناقش يومياً عن أفضل الطرق لإتمام هذا النضال على أكمله، ولقد عقدنا اجتماعات واتخذنا مقررات أرسلناها إلى لجنة المراقبة ولكن هذه اللجنة تبقى في أكثر الأحيان دون أن تقوم بأي عمل. لدي كثير من الأشياء لأقولها ولكن الوقت قصير فاسمحوا لي أن أطلب منكم أن ترفعوا أصواتكم وتساعدوا بما تستطيعون من وسائل شعبنا الذي يناضل ضد الاستعمار، نحن بحاجة إلى هذه المساعدة كما أننا بحاجة إلى مساعدة جميع المنظمات الأخرى والدول والشعوب.

أما المرة الثانية فقد كانت على طريق "تان هوا" - هانوي حين كنا عائدين من زيارة المنطقة الجنوبية لشمال فيتنام المعرضة أكثر من غيرها لقصف الطائرات. كان الوقت ليلاً والسكون ومخيماً على الحقول الممتدة إلى مسافة بعيدة تلمع تحت أشعة القمر الباهتة، ويزيد من لمعانها أنها مكسورة بالمياه التي تغمر سنابل الأرز الخضراء، كنا نسير في سيارات الميدان المطفأة الأنوار خشية أن تتعرض لقصف الطائرات التي كثيراً ما توجه قذائفها ورصاصها لكل نور يتحرك على الأرض. لولا هذا الجو العابق برائحة القذائف وبالخوف الدائم من وقوع الغارات، لكان الإنسان ينسجم بحبور مع طبيعة الفيتنام الجميلة الخضراء حيث تتناثر منازل الفلاحين البسيطة، يحاولون منذ سنوات طويلة أن يرقدوا فيها آمنين بعد كدهم اليومي ولكن وحشية المستعمرين الآتين من آلاف الأميال تمنعهم من ذلك، وتعكر عليهم صفو الليالي الهادئة، وتجعلهم في قلق مستمر لا لذنب إلا أنهم يريدون أن يعيشوا أحراراً مستقلين، يريدون أن تكون نتاج عرقهم وكدهم لأولادهم لا لأولاد الآخرين.

توقفت بنا السيارة التي كما نمتطيها لنتنظر قافلة السيارات المرافقة لنا، وإذا بسيارة تقف وراءنا، ولا تختلف عن سيارتنا، من التي تستعمل في الميدان، مطفأة الأنوار، مغطاة بأغصان الشجر المتخفية، مدهونة بلون الأرض، فالسيارات الفخمة الجميلة لا تصلح للفيتنام في الوقت الحاضر، تقدم منها رئيس الغرفة التجارية في الفيتنام وكان مرافقنا في هذه الرحلة، وسلط عليها ضوءه الكهربائي فإذا به يسلم على من فيها، ثم يدعونا للتعرف، فرأينا على نور الضوء الكهربائي نفسه كاهنين كاثوليكيين ذاهبين إلى هانوي، وبعدما سألنا كبيرهما: أين كنتم؟ قلنا: أننا راجعون من "تان هوا" بعدما قمنا بزيارة لها وشاهدنا ما فعلته الطائرات الأميركية هناك. سأل: وهل رأيتم بقايا مستشفى السل هناك؟ قلنا: نعم، ولم يبق منه بناء قائم من خمسين بناء. قال: لقد تأثرت كثيراً لتهديم هذا المستشفى -طبعاً لقد تأثرت لغيره- لما كان يقدم من خدمات للمرضى، وهذا رفيقي -أشار إلى الكاهن الذي يرافقه- قد قضى فيه سنتين خرج منه بعدها معافى صحيحاً يحمل أجمل الذكريات عنه. وانقلوا لمن تستطيعون الاتصال بهم أخبار هذه الجريمة وغيرها من الجرائم. وبعد حيث قصير افترقنا على أمل أن نلتقي في هانوي، وكانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة ليلاً، وأكثر السفر يجري ليلاً خوفاً من القصف، حتى لو كان الأمر متعلقاً بكهنة كاثوليكيين.

والمرة الثالثة كانت بمناسبة عقد اجتماع في هانوي لرجال الدين الكاثوليك للبحث في شؤون تهم طائفهم، وقد اغتنمنا هذه الفرصة لنزورهم في كنيسة "سان دومينغ" بهانوي، وكان ذلك في العاشر من شهر تشرين الأول سنة 1965. وقد اشترك في هذا اللقاء ثمانية كهنة بينهم أربعة من كهنة جنوب فيتنام، أذكر منهم: "هوتان بيان" نائب رئيس لجنة الكاثوليك وعضو المجلس الوطني، وراعي كنيسة "سان دومينغ" "بان باي" والكاهن "جوزف تران تيان كان" راعي "فوك لانغ" بمقاطعة "تان هوا" والكاهن "برتلميمي تران كوانغ" راعي "دونغ هوي" والكاهن "بيار فو تان هترن" راعي "هونغاي" والكاهن "لويس نغوين هيو" والكاهن "بول نغوين تايبا"، كما حضر اللقاء أيضاً السيد "جوزف دونغ" عضو لجنة الاتصال الكاثوليكية وممثل عن هيئة تحرير الجريدة الكاثوليكية "شينه نغيا" أي "القضية العادلة".

استقبلنا الكهنة بترحاب، وقد رحب بنا باسم الجميع الكاهن "هوتان بيان" ومما قاله: أن الحرب التي يفرضها علينا الأميركيون حرب بربرية، ولكن الشعب الفيتنامي وضمناه الكاثوليك، مصمم اليوم كما فعل في السابق ضد الاستعمار الفرنسي على الكفاح ضد الاستعمار الأميركي. إن شعبنا يحب لأن يعمل بسلام ويعيش في سلام لكننا نرفض أن نكون لعبة في أيدي الأميركيين، نستسلم لعدوانهم، إن كل الكاثوليك كجميع أفراد الشعب متحدون في النضال ضد الأميركيين ولن يتراجع أمام أية تضحية، بالرغم من الصعوبات التي واجهتنا وتواجهنا.

حتى إلى وقت قصير كان الكهنة الفرنسيون وحدهم يحتلون المراكز العليا في كنيستنا فالممثل البابوي والبطاركة والمطارنة كانوا جميعهم من الفرنسيين، ولهذا كنا نلاقي صعوبات في نضالنا ضد الاستعمار الفرنسي، وقيامنا بواجبنا الوطني، كنا نقوم بواجبنا نحو الله ولكننا في الوقت نفسه كنا نقوم بواجبنا نحو الوطن. وبالرغم من منعنا من قبل السلطة الكنيسية العليا كان الكهنة الكاثوليك كرعائهم يعتبرون أن الواجب نحو الوطن واجب مقدس، ولذلك كنا نناضل ضد الاستعمار، إنني أكرر أننا روحياً رعايا الله أما زمنياً فنحن رعايا الوطن. وحتى اليوم حافظنا على إيماننا بالله ولكن إلى جانب ذلك نحاول أن نقوم بواجبنا نحو الوطن. لأننا بإنقاذنا الوطن ننفذ الكنيسة، لأنه بدون الاستقلال والحرية لا نستطيع القيام بحرية العبادة والصلاة، في زمن الاستعمار الفرنسي كان المستعمرون يزعمون أنهم هنا لحماية حرية العبادة الدينية، ولكنهم لم يتأخروا عن استخدام الكنائس كسجون واعتقال الكهنة وقتل السكان ومن بينهم رعايا الكاثوليك. أما المستعمرون الأميركيون فلا يقلون بربرية فهم منذ 11 سنة لا يتأخرون عن أي عمل مهما كان وحشياً وخاصة في الجنوب. لا شك أنكم رأيتم كيف ضربوا المستشفيات ودور الحضانه والكنائس والمعابد والسكان المدنيين والسدود المائية، ومنذ عدوانهم على بلادنا يستهدفون كل مكان، غير مفرقين بين الكنيسة والمدرسة والمستشفى، إنني من الجنوب ونحن نفهم جيداً قضية بلادنا، إننا ككهنة نقول لكم أنهم يقتلون الأولاد والعجائز ويهدمون المدارس والكنائس والمستشفيات وربما يثير عجبكم إذ عرفتهم أنهم يبقرون بطون الناس ويأكلون أكبادهم، فهل هناك جريمة أكبر من هذه؟

لا أستطيع أن أقص عليكم كل شيء، ولهذا السبب ليس أمامنا إلا أن نقاتل أو نموت، إن شعبنا على مختلف طوائفه لن يخضع للقنابل الأميركية وهو مصمم على مقاومة الاستعمار الأميركي. لقد عقد منذ أيام مؤتمر الكهنة الكاثوليك وقد اتخذنا فيه القرار الآتي: نموت ولا نخضع للاستعمار الأميركي. ولهذا السبب فإننا نعتبر ما يتغنى به الأميركيون عن المفاوضات دون شرط أغنية كاذبة. ونحن نرى أن يوم الحرية والاستقلال لن يكون إلا عندما يذهب آخر جندي من بلادنا. لقد أكبرنا في هذا الكاهن الشيخ ذي اللحية البيضاء، هذه الروح المتوثبة الفتيحة.

أما "جوزف دونغ" فقد أعطانا بعض التفاصيل عن قصف الكنائس فذكر لنا أن كنيسة "تان هي" في مقاطعة "كوانغ فوك" قد قُصفت بالطائرات في 2 آذار سنة 1965، وكنيسة "فينه لوك" في مقاطعة "ها تنه" هُدمت بتاريخ 3 نيسان وبتاريخ 20 آب سنة 1965 جاءت أربع

طائرات فرمت القنابل وقتلت وجرحت عشرة أشخاص في أثناء إقامة الصلاة، وفي مقاطعة "نها أن" قُصفت 22 كنيسة حتى الآن، وفي 15 آذار سنة 1965 قُصفت كنيسة "كوان تان" فقتل وجرح 11 كاثوليكاً، وفي 11 أيار قُصفت كنيسة "كونيه فه" فتهدم نصفها نتيجة لذلك، وفي "دنه بنه" هُدمت عدة كنائس. لقد وجهنا باسم الكنيسة نداءات إلى رفاقنا في الجنوب لمقاتلة العدو بواسطة الإذاعة والنشرات والصحف، وفي الشمال ننظم اجتماعات لشرح القضية الوطنية وفي زمن الفرنسيين كان جميع رؤساء الكنيسة من الفرنسيين كان يصعب على الكهنة الاشتراك في النضال حتى أن بعضهم كانوا مع المستعمرين على أبناء قومهم، أما اليوم فإن أكثرية الكهنة من الشعب، لا يزال هناك أقلية لا تريد الاشتراك في النضال، أما الكهنة الوطنيون فيقولون: إن الواجب يقضي بالدفاع عن الوطن للدفاع عن الإيمان، أما الآخرون فلهم أفكارهم ويقولون على الكهنة أن يعملوا فقط في العبادة. وقال أن عدد الكنائس المصابة في الشمال حتى ذلك التاريخ بلغت ثلاثين وأن راعي كنيسة "فو رينغ" كان ضحية القصف سنة 1965 حيث قُتل مع بعض المصلين.

أما راعي "تان هوا" فقد قال: إن قيام الأميركيين بقصف بلادنا وخاصة كنائسنا يحملنا على الحقد والثورة، وأن الأميركيين يحملون إلينا القنابل بدل المساعدات ويقتلون الناس ومن بينهم الأطباء والمرضات والكهنة. إن شعبنا وخاصة الكاثوليك مصممون على مقاومة الأميركيين حتى النهاية ولو لزم الأمر خمسين سنة. إن الشعب بكامله مستعد للتضحية في هذا النضال وأن رعايانا الكاثوليك يشتركون عملياً في القتال. وعندما وجه إليه أحد أعضاء الوفد من التشيلي الأستاذ رودريكس السؤال التالي: وكيف توفقون بين قولكم هذا وتعاليم المسيح؟ انتفض الكاهن وقال: إن المسيح اضطر إلى حمل السوط وطرد اللصوص من الهيكل، إن المستعمرين يدينسون أرضنا وبلادنا، ونحن مضطرون لحمل السلاح لطردهم.

وبعد انتهاء المقابلة زرنا الكنيسة فإذا بلوحات عديدة قد نزعت عن جدرانها ونقلت إلى أمكنة أمينة خوفاً من حدوث غارات في المستقبل، كما أن الملاجئ قد حفرت في الساحات المحيطة بالكنيسة للسبب نفسه. وعندما ودعنا الكهنة الأجلاء كان الليل قد بدأ ينسدل، فخرجنا من الكنيسة، ورنين سياط الشعوب، تضرب في أافية المستعمرين يخرج مدوياً من أرض الفيتنام ليتردد صدها في أقاصي الأرض حاملاً لجميع الشعوب أروع قصة في النضال، وأجمل أسطورة في البطولة.

ما وراء اقتراحات السلم الأميركية

واليوم عندما أطلع على ما تنشره الصحف، وتذيعه محطات الإذاعة والتلفزيون في شتى أنحاء العالم عن المساعي التي تقوم بها الولايات المتحدة لإنقاذ ماء وجهها في الفيتنام، وعندما تتردد تصريحات الرئيس جونسون عن استعدادها الذهاب لأي مكان سعياً وراء "المفاوضات السلمية دون قيد وشرط" لابد لي أن يقودني التفكير إلى أن المذنب يكثر من المبررات والبيانات والدموع بينما يكتفي المحق بالقليل منها. وكذلك لابد لي أن أذكر ما كان يردده أمام مسامعنا الفيتناميون على مختلف طبقاتهم وأعمارهم ومهنتهم من أن الاستعمار الأميركي قد غاص في مستنقعات الفيتنام، وهو لا يستطيع منها الخروج، فكلما حاول الإفلات غاص إلى

أعمق، لقد تحولت سماء شمال الفيتنام وأرضها إلى مقبرة للطائرات الأميركية وتحول جنوب الفيتنام مقبرة للطائرات الأميركية والجنود الأميركيين.

إن الاستعمار الأميركي أشرس استعمار في الوقت الحاضر، يختنق في مستنقعات الفيتنام تحت ضربات شعبها، لجريمة بحق هذا الشعب وجميع الشعوب أن تمتد يده لمساعدته، لأن في هذه المساندة ضرراً بليغاً بقضية السلم والتحرر والتقدم في العالم أجمع وفي الولايات المتحدة نفسها. جميع أفراد الشعب الفيتنامي يرون -منذ وقت طويل- في عروض جونسون للسلم مناورة وقناعاً يخفي وراءهما مبررات للاستمرار في العدوان وتسعير الحرب، وهم يعلنون عن تصميمهم للقضاء على هذه المناورة وعدم التخلي عن السلاح قبل أن تقتلع أسنان المستعمر وتدمر قوتهم. وقد برهنوا حتى الآن أنهم قادرون على ذلك، فكل فتيت في عضدهم، والتقليل من حماسهم وتصميمهم، وعدم مد يد العون لهم على أوسع مدى، عمل يخدم المستعمرين خدمة خالصة.

يقول الأميركيون: لقد عرضنا -ولا نزال نعرض- المفاوضات بدون قيد ولا شرط ولكن الجانب الآخر يرفض ذلك، وهنا لابد لنا نحن الذين زرنا الشعب الفيتنامي واحتكنا بأفراده وهيئاته ومسؤوليه، أن نتوقف قليلاً عن هذه الحجة الأميركية التي تبدو للوهلة الأولى بريئة ولكنها عند الدرس تبدو كحجة الذئب الذي يتهم الحمل بتعكير الماء، هل أن الأميركيين حقاً لا يقدمون شروطاً مسبقة كما يقولون؟ هذا ما نحاول الرد عليه استناداً إلى ما اطلعنا عليه بأعيننا وسمعناه بأذاننا. بدأ الأميركيون بإرسال الأسلحة إلى الحكومة التي أقاموها بالاتفاق مع الفرنسيين في سايجون سنة 1954 وعندما رأوا أن الأسلحة لا تفيد وأن جيش سايجون يتفكك أمام ضربات جيش التحرر الوطني أرسلوا المستشارين وأقاموا قواعد عسكرية لهم، ثم اضطروا مؤخراً إلى إرسال جيش تجاوز عدده عن 325 ألف جندي، يشتركون في القتال بشكل مباشر، لقد بدأت أميركا تحارب بجنود فيتناميين وأسلحة أميركية، فانتهدت إلى الحرب بجنود أميركيين وأسلحة أميركية.

وفي آب سنة 1965 بدأوا بقصف أراضي جمهورية الفيتنام الديمقراطية بالطائرات وابتداء من شباط سنة 1965 استمروا في القصف. إن هذه التصرفات تخالف صراحة اتفاقيات جنيف، كما تخالف القوانين الدولية المتعارف عليها، وتعتبر بحد ذاتها شروطاً مسبقة للمفاوضات، الشرط الأول الذي يضعه الأميركيون للمفاوضات إلغاء اتفاقيات جنيف وإجراء مفاوضات على غير أساسها، إذ لو كانوا عازمين على تنفيذها لما كان الأمر يحتاج إلى مفاوضات جديدة. أما الشرط الثاني الذي يضعونه فهو شرط إجراء المفاوضات في ظل احتلال الفيتنام الجنوبية، وأمام ما تقوم به السلطات هناك من ضغط وإرهاب والتهرب من إجراء انتخابات حرة (جرت مؤخراً انتخابات ولكنها كانت مزورة قاطعتها أكثرية السكان) وعدم تمكين السكان من التعبير عن آرائهم بحرية وعدم الاعتراف بجمبهة التحرر الوطني ممثلة للشعب في جنوب الفيتنام مع أنها تسيطر على أربعة أخماس مساحة البلاد وعلى عشرة ملايين نسمة من أصل خمسة عشر مليوناً مجموع سكان البلاد. إن هذا الشرط يشبه رجلاً يحتل بيتك ولا يتركه قبل أن تقبل معه بالتفاوض، على كيفية هذا الاحتلال. والشرط الثالث

الذي يضعونه إجراء المفاوضات تحت ضغط القوة في الفيتنام الشمالية عن طريق قصف أراضيها بالقتال وتخريب البلاد.

لإن كل مفاوضات مشوبة بغيب القوة لا قيمة لها، وقد أعلن المسؤولون الأميركيون مراراً أنهم يقصفون شمال الفيتنام لحملها على الرضوخ والقبول بالمفاوضات وهذه طريقة العلاقات الدولية غريبة عن ميثاق هيئة الأمم المتحدة والقواعد الدولية القائمة على احترام سيادة الدول واستقلالها. والشرط الرابط إجراء المفاوضات بشكل يجعلهم في المركز الأقوى، عن طريق احتلالهم لقسم من جنوب الفيتنام وقصفهم الشمال. مع أن الشرط الأساسي لإجراء مفاوضات مثمرة يقوم على احترام اتفاقيات جنيف وإلغاء جميع القواعد وسحب الجيوش الأجنبية والكف عن قصف أو التهديد بقصف أراضي جمهورية مستقلة تتمتع بالسيادة وإجراء هذه المفاوضات مع من يثق بهم الشعب ويختارونهم كممثلين له. وجميع هذه الشروط ضرورية ويجب تطبيقها قبل المباشرة بأية مفاوضات لأن إجراء مفاوضات في مثل الأوضاع الحاضرة يعطي أحد المفاوضين -الأميركيين- أفضلية يجب أن تكون في كل مفاوضات مثمرة.

والشرط الخامس أن الأميركيين يعرضون المفاوضات بدون أن يأخذوا رأي الدول الموقعة على اتفاقيات جنيف، كما أنهم لم يأخذوا برأي هذه الدول عند المباشرة بمساعدة حكومة سايجون واحتلال الجنوب، وعند المباشرة بقصف شمال الفيتنام حتى أنهم عطلوا لجنة المراقبة التي لا تقوم بأي عمل حازم بسبب موقف حكومة الولايات المتحدة. إن الفيتناميين لا يقبلون هذه الشروط التي تعني في النهاية تسليماً بدون قيد ولا شرط، كما أنها تعطي لسلطات سايجون المنهارة الوقت إعادة تنظيم قواتها، وتمنح الأميركيون فرصة لتقوية قبضتهم بعدما أصبحت هذه القبضة تتلقى الضربات من قوات جبهة التحرير الوطني وفي وضع دقيق لا تحسد عليه إطلاقاً. وليس للولايات المتحدة ولا لغيرها من الدول الحق في فرض إرادتها على شعب بكامله، لتترك هذا الشعب يقرر مصيره بنفسه فذلك هو الشرط الوحيد الذي يتفق مع الحقوق الدولية وميثاق الأمم المتحدة.

إن انتصار وجهة النظر الأميركية يعني سيادة شريعة الغاب ضد كل ما توصلت إليه الإنسانية بعد عقود وقرون عديدة وحروب متواصلة وجهود جبارة، من قواعد أساسية لعلاقات الدول بعضها مع البعض الآخر، إن احتلال البلاد وقصفها بالطائرات لحمل الشعب على المفاوضة طريقة غريبة عن أبسط القواعد الدولية، ويؤدي في حال قبولها كمبدأ عام إلى تهديد أمن جميع الدول وخاصة الدول الصغرى ولذلك فإن المقاومة التي يبديها الفيتناميون وفضحهم نيات الاستعمار الأميركي، ليس لمصلحتهم فقط بل لمصلحة جميع الشعوب في العالم وخاصة الشعوب الضعيفة ولمصلحة الإنسانية جمعاء، التي تجد ما توصلت إليه من مبادئ سامية مهدداً في الفيتنام وهي تتعرض لخطر حرب شاملة باستمرار.

لقاؤنا مع الطيارين الأميركيين

وفي خضم المساعي المصطنعة لجونسون ومبعوثيه تعود بي الذكرى إلى الفيتنام حيث أثارنا فينا الأحاديث التي كنا نسمعها عن بطولة شعبها وعن تمكنهم من إسقاط مئات الطائرات الأميركية، وتعطيل عدد كبير من الطيارين الرغبة في رؤية بعض هؤلاء الطيارين، كما أن مشاهدتنا لمقبرة الطائرات في "نن بنه" وعشرات الهياكل من حطام الطائرات المنتشرة في هذه المقبرة بين التلال التاريخية القريبة من هذه المدينة، أول مدينة تعرضت للغارات الجوية، قد زادت فينا هذه الرغبة، وفي مقاطعة "تان هوا" اهدتنا فتيات إحدى القرى خواتم معدنية صنعها من معدن الطائرات، فأشعلن فينا أيضاً هذه الرغبة، وفي كل مكان كنا نزوره ومع كل شخص كنا نقابله، كنا نسمع أخباراً عن إسقاط الطائرات والطيارين الأميركيين. فطلبنا أن تنظم لنا مقابلة مع بعض الأسرى من الطيارين، فأجبنا إلى طلبنا وتمت المقابلة بتاريخ العاشر من شهر تشرين الأول سنة 1965.

كان ذلك في إحدى بنايات هانوي، حيث وجدنا في استقبالنا الضابط المسؤول عن الطيارين الأسرى ومرافق له. وبعد الترحيب قال: ستلتقون مع اثنين من الطيارين الأسرى ويمكنكم أن تطرحوا عليهما كل ما ترغبون من أسئلة، وأن تطلبوا منهم كل ما تريدون من إيضاحات وكذلك يمكنكم التصوير، وإذا كنت أسف على شيء من هذا الموقف، فعدم تمكني من الحصول على رسم لهما مع أي حاولت ذلك، ولكن آلة التصوير لم تسعفني ولم تظهر الرسوم التي أخذناها للمقابلة. كنا جالسين على منضدة كبيرة مع الضباط ومرافقينا من الفيتناميين، وقد وضعت منضدة صغيرة تجاهها أدنى منها ووراءها كرسي منخفض، قيل لنا: أن العادة في الفيتنام ألا يجلس المذنبون مع الناس المحترمين، ونحن نعتبر هؤلاء الأسرى كمعتدين لا كأسرى حرب لأن ليس من حرب معلنة بيننا وبين الولايات المتحدة، ولكننا مع ذلك نعاملهم معاملة طيبة وإنسانية لأننا لا نأخذهم بجريرة حكومتهم.

وقد دامت المقابلة ما يقرب من ثلاث ساعات، وجاء إحداهما بعد الآخر، وكان الفيتناميون يقدمون لهما ما يقدمون لنا من شاي وفواكه وحلويات، وهي عادة درج عليها الفيتناميون إذ يقدمون إلى الضيوف مع الشاي الفواكه والحلويات. كان أولهما الطيار "ريتشارد بول كيرن" النقيب الطيار في الطيران الأميركي مولود في 29 حزيران سنة 1924 أسر في 24-7-1965 وهو من مواليد -أكرون- أوهايو من أعمال الولايات المتحدة سنة 1924 يحمل الرقم OA 936812 وينتسب إلى الفرقة 47 المقيمة في قاعدة "أوبرين" بتايلند وطائرته هي الطائرة الأربعمئة التي أسقطت فوق شمال الفيتنام.

لقد بدأنا بإلقاء هذه المعلومات التي كانت أعطيت لنا من قبل الضابط المولج بالأسرى فاعترف بأنه الشخص نفسه الذي أسر في ذلك اليوم وأن جميع هذه المعلومات صحيحة. قال أنه أتى من تايلند إلى شمال الفيتنام في ظروف جوية غير ملائمة، فقد كان المطر ينهمر وكانت الطائرات مزدحمة، وكان مكلفاً بحماية القاذفات، وعندما أسقطت الطائرة ونزل منها فتبلل وأصيب بحروق من تأثير وقود الطائرة، وعند هبوطه أسره الفلاحون وقادوه إلى مركز التعاونية، ومنها إلى معسكر الأسرى. وقال أن الجميع اعتنوا به وقدموا له جميع ما يلزم من

إسعافات لأنه كان مجروحاً في إحدى رجليه ومصاباً بحروق في وجهه وفي المعسكر حيث يقيم يتلقى معاملة حسنة.

وأجاب على الأسئلة قائلاً: أنه طار فوق الفيتنام مرتين بطائرة F من أجل حماية القاذفات من نوع D5-10، وأما تأثيراته بالنسبة إلى الشعب الفيتنامي فهي أن هذا الشعب كان طيباً معه. أما بالنسبة للحرب فهو لا يعرف لماذا تقوم حكومته بالحرب ضد الشعب الفيتنامي. وأنه مع رفاقه لم يتلق أية إيضاحات عندما أرسلوا للقيام بمهمتهم، بل أنهم تلقوا فقط الأوامر وأنه شخصياً لم يتلق أمراً بضرب المدارس والمستشفيات لأن مهمته الحماية لا القصف، ولكنه يعرف أن الأوامر كانت تتناول أهدافاً عسكرية وهو يجهل تماماً شرعية الحرب التي تخوضها بلاده ضد الفيتنام دون إعلانها، إلا أنه عندما يتلقى أمراً من رؤسائه الذين عينتهم الحكومة وهم يخضعون لها، فإنه ينفذ هذه الأوامر عليه أن يطيع حكومته وهو يعرف أن النازيين في محاكمة نورمبرغ كانوا يجيبون مثل هذه الأجوبة، ولكنه يجهل جميع النواحي الأخرى غير العسكرية فرئيس الولايات المتحدة هو الذي يقرها.

وعندما سئل ماذا يقول فيما لو أرسلت الفيتنام طائرات لضرب أوهايو أجاب: لم أفكر إطلاقاً بهذا الأمر، وقال أنه يوافق على أنه في البلاد الديمقراطية عندما لا يرضى الشعب عن أعمال الحكومة يحتج ولكن يظهر أن الشعب الأميركي لم يسحب ثقته من حكومته حتى الآن، وقد خرج من بلاده منذ وقت طويل ولذلك فهو لا يعرف إذا كان الشعب يريد الحرب أم لا ولكنه يعتقد أن قسماً لا يريد الحرب. وقال أنه يتلقى أجراً شهرياً قدره ألف دولار، وهو يعتقد أنه حر لأنه يستطيع أن يختار العمل الذي يرغب فيه، ولكن من واجبه أن يخضع لحكومته وبما أنه أختار الدخول في الطيران فهو يعتبر نفسه حراً في اختيار مهنة أخرى، ولكنه ليس حراً عندما يتعلق الأمر بتنفيذ الأوامر، وأنه إذا لم ينفذ الأوامر وُضع في السجن ويجهل تماماً لماذا فعلت حكومته ما فعلت في الجنوب، ولا فكرة له من الناحية السياسية ولا يعرف شيئاً عن الموضوع وقال أنه تزوج سنة 1945 وعنده ابنه عمرها 17 سنة وابن 15 سنة.

كما يبدو في صحة تامة، إلا أن مسحة من القلق والهم كانت تبدو على محياه، فلم أتمالك نفسي من القول له: إن الشعب الفيتنامي يناضل حتى لا تقتصر حرية الانسان على اختيار مهنة من المهن، بل أن تتجاوز حدود هذه الحرية إلى الإسهام في تطور مجتمعه وبلاده وسياسة دولته، فلا يُرسل إلى الحرب كأنه آلة تنفذ ما يُعطى لها من الأوامر دون إدراك أو وعي أو تفكير أو فهم، إن جميع أفراد الشعب الفيتنامي يعرفون لماذا يخوضون معركة الكفاح ضد الاستعمار، وإن انتصارهم سيستفيد منه كما سيستفيد منه جميع الناس لأن الحرب التي أُرسِل إليها تخدم المستثمرين الذين يكسبون الأموال بينما هو وأمثاله في الأسر يعيشون بعيدين عن أهلهم وأولادهم، أو في ساحة القتال معرضين في كل وقت للموت والعذاب.

وجاء الطيار الآخر "روبرت نورلان دوتري" النقيب الطيار في الطيران الأميركي مولود في 5 من شهر تشرين الأول سنة 1933 في "إيكل باس" بولاية تكساس، يحمل الرقم العسكري AO 56891 وينتسب إلى فرقة القتال التقني ومركزها في "كورات" تايلند- أسقط

بتاريخ 2 آب سنة 1965 في أثناء قصفه لجسر "هام رون" بمقاطعة "تان هوا". دخل القاعة ويده محاطتان بالجبس³³، ثم جلس على الكرسي وأثار العنفوان العنصري³⁴ بادية عليه، لم تبدلها الكسور المصاب بها ووقوعه في الأسر، وقال أنه الشخص نفسه صاحب المعلومات الشخصية المقدمة من الضابط المولج، وأن زوجته طالبة في المدرسة الثانوية ولا يزال والداه على قيد الحياة وهما قد أنهيا دروسهما الثانوية وله ثلاثة أولاد يدرس كبيرهم في المدرسة الابتدائية وله من العمر 6 سنوات، أما الطفلان الآخران فهما ابنتان عمر إحداهما 4 سنوات والأخرى 3 سنوات، وأن عمر زوجته 31 سنة. تلقى دروسه في الطيران وتعلم قيادة القاذفات (105 ف) وبعد حصوله على الشهادة أحتفظ به بصفة مدرب.

تلقى الأمر بقصف جسر "هام رون" وكان على علو 6000 قدم عندما أصيبت طائرته ففقد توازنه وحاول أن يطير نحو الشاطئ للوصول إلى البحر ولكن ذلك استحال عليه وكادت الطائرة تصطدم بالأرض فهبط بالمظلة من علو خمسمائة متر، وكانت قد جُرحت يده، فلم يتمكن من استعمال المظلة كما يجب وسقط في حقول الأرز فجاء الفلاحون وقادوه إلى منزل واسع حوله أشجار كثيرة، وبعد ذلك نقلوه إلى منزل آخر حيث أُعطيَ بجراحه وقُدِّمت له الإسعافات الأولية، ثم نُقل إلى مستشفى حيث ضُمدت جراحه وأُعطِيَ الطعام ومن مستشفى "تان هوا" نُقل إلى معسكر الأسرى. وقال أن المستشفى الذي اعتنى به كان جيداً ولم يكن من مهمته ضرب المستشفى ولم يتلق الأوامر بضرب المستشفيات، وعندما أُعطِيَ الأمر بضرب الجسر كان همه منصرفاً كلياً إلى إتمام هذه المهمة. وقال أنه عسكري وعندما يتلقى أمراً من رؤسائه يجب أن ينفذه وإذا لم ينفذه حل به العقاب، ولكنه قال بصراحة أنهم يستطيعون تمييز الجسور والمستشفيات والشوارع والمواقع الأخرى وأنهم يتسلمون خريطة بالمكان وطبعاً يمكنهم التمييز بين مختلف الأمكنة لأنهم يطرون فوقها.

وقال أنه يعتقد أن قصف المستشفيات والمدارس والمستوصفات شيء غير قانوني ومخالف للشرائع ولكننا نستطيع أن نميزها، وعلينا تنفيذ الأوامر ولا يعرف السبب الذي من أجله تساعد حكومة جونسون حكومة جنوب الفيتنام ولماذا تأمر بضرب شمال الفيتنام، إنه عسكري وعلى العسكري أن يطيع أوامر حكومته مهما كانت. إننا ندافع عن العالم الحر، وأن تعبير "طعام للدفاع" شعار شيوعي والعالم الحر يعني أوروبا الغربية وبلدان من آسيا وأفريقيا وطبعاً أميركا. وأخذ يدافع بحماسة عن العالم الحر وأنه مستعد للموت في سبيل تنفيذ أوامر حكومته دون أن يحاول معرفة أسباب هذه الأوامر ومبرراتها.

وبعد الانتهاء من استجوابه، خرج بعدما قدم له كرفيقه الشاي والحلوى والفواكه، فشكرنا الضابط ورفاقه على تحضيرهم هذا اللقاء. لابد والقارئ يقيم معي مقارنة بين هذه الآلات الإنسانية التي يبعث بها الاستعمار للقتل والدمار بواسطة الآلات الحربية وبين الشعوب

33- الجبيرة والجبس إحدى أدوات تقويم وتسوية العظام والمفاصل في حالات كسور العظم، وذلك لتأمين الحماية والدعم لها إذ تُساعد على تثبيت المفصل أو العظم المكسور في مكانه الصحيح حتى يتم شفاؤه، وقد يتعرض الجزء المكسور للضغط أو الحركات الخاطئة لذلك تُساعد هذه الأدوات في تثبيت الأجزاء المكسورة، تختلف الجبيرة عن الجبس بأنها توفر مزيداً من الشعور بالراحة والدعم للجزء المصاب

34- الشعور بالاعتزاز القومي ورفضه الاعتراف بجريمته.

الواعية المدركة لواجباتها الإنسانية، والعاملة لتحقيق السلام والتحرر والانعتاق، يدرك تماماً الجهة التي يجب أن تنتصر والتي سوف تنتصر.

لقاء مع وزير الصحة

في السابع من شهر تشرين الأول سنة 1965 اجتمع الوفد مع وزير الصحة الفيتنامية الدكتور "فام نعوس ناش"، وهو من الأطباء المشهورين الذين ساهموا في تحسين الدواء المستعمل لمكافحة السل، وذلك بالنسبة إلى الظروف الطبيعية والمعيشة القائمة في الفيتنام، وعبدا عن تعمقه العلمي، كان في رأس المناضلين ضد الاستعمار فقد رئس لجنة المقاومة في سايجون في أثناء الحرب، وعُين سنة 1954 وزيراً للصحة، فكان أول وزير للصحة في الفيتنام.

اجتمعنا في مكتبه بالوزارة، وهو يتحدث الفرنسية بطلاقة إذ أنه شأنه كجميع المتخرجين الفيتناميين، أنهى دروسه الطبية في فرنسا، وقد بدأ كلامه بقوله: لماذا ندعو المستعمرين الأميركيين لا مجرد استعماريين، بل قراصنة ومجرمين- قال ذلك بغضب وحدة لا يكونان إلا في رجل عاش الحوادث بعينيه، وفعلاً فقد عرفنا أن الوزير كان أول من يصل إلى مكان الكارثة في المستشفيات والمستوصفات بعد ضربها يشرف على الإسعافات ويهتم بالمرضى ويشترك نفسه في معالجة من يحتاج إلى علاج.

-بتاريخ البارحة 6-10-1965 صرح السفير الأميركي في طوكيو أن الطائرات الأميركية لم تقصف أبداً المستشفيات والمدارس، وهذا التصريح يكذبه الواقع الذي لمسناه ونلمسه بأنفسنا. لقد قمنا بأبحاث علمية كثيرة أتاحت لنا أن نضع الخطة للقضاء على البرص في بلادنا بعد سنة على حد أقصى، ولكن الطائرات الأميركية دمرت في قصفها جميع الوثائق التي كنا توصلنا إليها، وهذا في رأيي أكثر وحشية وأثراً من تهديم الأبنية والمنشآت، لأن الأبحاث العلمية ليست وفقاً على شعب دون آخر بل هي ملك الإنسانية بكاملها.

إن الطائرات الأميركية لم تكثف بضرب طرق المواصلات بل عمدت أيضاً وبشكل كثيف إلى ضرب المستشفيات وتهديمها كما فعلت بالنسبة إلى مستشفى "دونغ هوي" ومستشفى السل في "تان هوا" ومستشفى البرص في "كين لاب" ومستشفى "يان باي" في أقصى الشمال.

كنا منذ مدة قد عملنا إلى نقل قسم كبير من المرضى في المستشفيات الكبيرة ووزعناهم على المستوصفات الموجودة في مختلف أنحاء البلاد والتي أنشأناها حديثاً، ما عدا مستشفى البرص في "كين لاب" لأنه يقع على شاطئ البحر، وفي مكان منعزل وهو معروف لا في الفيتنام فحسب بل في جميع أنحاء جنوب شرق آسيا. ولكن الطائرات الأميركية لم تتورع عن قصف المستوصفات الصغيرة في القرى أيضاً فقد قصفت حتى الآن عشرين مستوصفاً، والمستوصف في القرية يقوم بدور كبير وخاصة بعدما لجأ الكثيرون من سكان المدن إلى القرى.

وتركيز العمل على المستوصفات قد ساعدنا على مداواة كثيرين من المصابين بفعل الطائرات من السكان. وإن الدروس الصحية عندنا تجري في مستشفيات الضواحي حيث يمكن درس الأمراض في ظروفها الموضوعية. وقد توصلنا إلى نتائج حسنة تختلف عن الوسائل المستخدمة في السابق، باتباعنا المداواة في المكان نفسه. ولذلك فإن القصف لم يعرقل عملنا عرقلة كبيرة، وتلاحظون أن الوزارة هادئة، وخاصة في مثل ظروف بلادنا، لأن المقاطعات تقوم بواجبها، ولا تتصل بالوزارة إلا عند الضرورة القصوى. وقد سرنا أيضاً أشواطاً بعيدة في إيجاد أنواع جديدة من الأدوية ضد الالتهابات، وقدم أطباؤنا خدمات كثيرة في هذا المجال، كما أن أمثلة البطولة بين العاملين في الصحة لا تنقصنا بل هي متوفرة عديدة كجميع قطاعات وطننا الذي هب أبناؤه جميعاً يكافحون ضد المستعمر الشرس، ولا يبخلون بتضحية، ولا يتأخرون عن واجب.

لقد استطعنا بوسائلنا القليلة وبإمكانيتنا الضيقة أن نقوم بأعمال كثيرة لأننا نعرف أننا إذا لم نقم بعملنا بنسب كبيرة، لن نستطيع بإمكانياتنا المحدودة أن نقف في وجه المستعمرين الأميركيين الحائزين على أكبر إمكانيات في العالم، المهم في رأينا التنظيم ورُب فئة قليلة من منظمة غلبت فئة كبيرة -إن المستعمرين الأميركيين يفضلون أن تكون بلادنا متأخرة خالية من وسائل الصحة والإسعاف ليسهل عليهم إخضاعها، ولذلك نرى إصرارهم على قصف مستوصفاتنا وتهديم مستشفياتنا. ولكننا نحن من جهتنا مصرون أيضاً على توفير أقصى ما يمكن من وسائل الصحة والتطبيب لسكان البلاد، حتى يتمكنوا أصحاء من الانتصار على جهود المستعمرين.

في أثناء قصف مستشفى السل في "تان هوا" كنت هناك شخصياً، وقد شاهدت بعيني الطائرات الأميركية تقصفه خلال ساعة كاملة، والمستشفى المذكور ليس للمداواة فقط بل هو أيضاً مركزاً للدروس. وكذلك مستشفى البرص في "كين لاب" كان المركز الوحيد للأبحاث عن مرض البرص بالفيتنام كلها وقد جمعنا وثائق كثيرة عن مرض البرص وشفائه وتشخيصه وفحصه. وأقمنا أيضاً مركزاً لإجراء العمليات، وقد دمرت الطائرات كل ذلك. كما دمرت أيضاً وثائق كثيرة عن مداواة البرص بطرق جديدة، تؤدي إلى شفاؤه بمدة ستة أشهر فقط. لقد دمر المستعمرون نتيجة دروس ثلاث سنوات كان يمكن أن يستفيد منها لا المرضى الفيتناميون فحسب، بل المرضى في جميع أنحاء العالم وفي الولايات المتحدة بالذات.

صحيح أن القصف خلق لنا صعوبات كثيرة، ولكن هذه الصعوبات كانت للمرضى أكثر منها للأطباء، فقد اضطر المرضى للجوء إلى الجبال والمغاور والغابات، عدا عن الخوف الذي يلاحقهم في كل مكان، والمريض معرض أكثر من غيره له. وفي الوقت نفسه هيأنا مستوصفاتنا لمكافحة الغازات السامة وحرب الجراثيم وحضرنا الوسائل الممكنة لذلك. إن جهودنا أصبحت في الوقت الحاضر تستهدف أيضاً قتل الجراثيم والبعوض وتطعيم الناس، لقد جاءت بعثة صحية عسكرية أميركية إلى سايجون وصرحت أن الفيتنام ستصاب حتى سنة 1964 بالكوليرا مما حدا بنا إلى أن نقوم بتطعيم السكان ضد هذه الآفة. في الجنوب لم يكن يوجد الطاعون منذ عشرين سنة ولكنه اليوم منتشر في كثير من المناطق هناك مما يدعونا

إلى وضع علامات استفهام؟ وبما أننا لا نملك الإثبات فإننا لا نستطيع اتهام الأميركيين بأنهم ينشرون هذه الأمراض بواسطة الجراثيم.

وتدل الأنباء على أن بعض حوادث الكوليرا سجلت في الولايات المتحدة، وقد أرسل الأميركيون إلى سايجون قسماً من الفرقة "406" التي يقوم مركزها في طوكيو، وهي متخصصة في الحرب الجرثومية، وقد علمنا أن فريقاً من الأميركيين درسوا في اليابان مع الجنرال هيشي، وهذا الفريق مؤلف من عشرات العلماء وقد انتقل قسم منهم أيضاً إلى سايجون، وخصص لدرس الكوليرا ثلاثة ملايين دولار وهو مبلغ ضخم بالنسبة للدروس.

في أول سنة 1964 جاء "هونغاى" مركب ياباني كان بحارته وعددهم ستون قد مروا على سايجون، ولما فحصناهم وجدنا أربعة منهم مصابين بالكوليرا ولذلك أخضعنا للفحص الطبي جميع الذين يأتون من الجنوب، وقد نشر الأميركيون مواداً كيماوية في شمالي خط 17 في جزيرتي "كونكو" و"هون مات" كما نشروا المواد السامة في "نغيو وهاتين" وهاتان المنطقتان الأخيرتان على حدود لاوس، إننا لا نثق بأقوالهم إنهم لا يقصفون المستشفيات كما صرح سفيرهم في طوكيو، ولكن الحسابات الالكترونية عن روح الشعب ونضاله لا تعطي إجابة صحيحة، لأن العنصر المعنوي شيء هام في معركة الكفاح، وقد أظهر العاملون والعاملات في الحقل الطبي كثيراً من البطولات التي تدل على روح معنوية عالية، فمثلاً كانت إحدى الممرضات تنتقل في النهر من ضفة إلى أخرى لمداواة المصابين، وفي أثناء ضرب أحد الجسور جرح أحد العمال فتسلقت الممرضة الجسر وراحت تداويه.

لقد نشأت شببيتنا خلال سنوات الكفاح ورأى بعضها النور على صوت البندقية ودوي المدافع، وكبرت روح الحقد على المستعمرين فيها، فهي مفعمة بروح الكفاح، ولكنها استقبلتكم بترحاب أنها تعرف كيف تفرق بين الناس. إننا نحمل حقداً كبيراً جارفاً ولكنه ليس الحقد العنصري.

أما المرضى من الأسرى الأميركيين فليسوا على قدر كبير من الشجاعة، لقد كانوا يبكون في كثير من الأحيان، مما حمل ممرضاتنا على السخرية منهم، إذ أشد ما يؤلم المرأة وبثير سخريتها أن ترى رجلاً يبكي، لقد حاول اليابانيون في أثناء الحرب العالمية الثانية نشر الحقد ضد البيض ولكنهم لم يفلحوا في بلادنا، وهذا ما يحمل جهازنا الطبي يعتني بكل انسان، حتى لو كان طياراً أميركياً. إنكم تعرفون أننا شعب يحب السلام ولكننا اضطررنا إلى حمل السلاح ونتمنى أن يتحقق السلام بأقرب فرصة في بلادنا، ولكننا في الوقت نفسه لا نريد سلامنا بأي ثمن، على حساب شرفنا واستقلالنا وحريرتنا، لقد أعلنت حكومتنا منذ وقت أنه إذا ذهب الأميركيون من الجنوب، وامتنعوا عن قصف الشمال وتركوا الشعب الفيتنامي يقرر مصيره بنفسه، واحترموا اتفاقيات جنيف، تحقق السلام فوراً. إننا بدفاعنا عن بلادنا ندافع عن أرضنا الأم، ولكننا في الوقت نفسه ندافع عن قضية الشعوب الصغيرة التي يمكن أن تتعرض للعوان الأميركي في كل لحظة. الأميركيون مثلاً لا يتجاسرون على مهاجمة الاتحاد السوفياتي لأنه قوي، ولكن الشعوب الصغيرة المستقلة معرضة دائماً لعدوانهم.

إننا سعيديون جداً لأن جميع شعوب العالم قد فهمت قضيتنا ونحن نتلقى مساعدة من الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية، والمعسكر الاشتراكي وجميع الشعوب في أمريكا وأوروبا وآسيا وأفريقيا وأستراليا، إن الشعوب بأسرها معنا لأن نضالنا عادل. عندما كان الوزير يتكلم تغلبت عليه روحية المناضل القديم، فخرج عن رسميات منصبه، وما أكثر ما يخرج الرسميون الفيتناميون عن هذه الرسميات لارتباطهم الوثيق بأبناء الشعب، حتى كنا نشعر، بما شعرنا به عند كل الفيتناميين، بأية روح حقد على الاستعمار، وبأي استعداد على بذل التضحيات، يقود المسؤولون وغير المسؤولين في الفيتنام نضالهم الشاق ضد أشرس استعمار عرفته البشرية.

من مقابلتنا للوزير استطعنا أن نخرج بجدول عن أعمال القصف التي قامت بها الطائرات الأميركية ضد المستشفيات والمستوصفات، وسأورد هذا الجدول رغم طوله ليكون شاهد إثبات على طبيعة الحرب التي يقوم بها المستعمرون الأميركيون في الفيتنام، وعلى "مدنياتهم" التي يودون نقلها إلى هناك.

في 23-1-1965 وعند الساعة الواحدة والرابع قامت المراكب الحربية الأميركية بقصف مستشفى "دونغ هوا" مركز مقاطعة "كانغ بنه" فهدمت عدداً من الأبنية المخصصة لمعالجة المرضى.

وفي 7-2-1965 وحوالي الساعة الواحدة والنصف قامت 29 طائرة أميركية بقذف أكثر من مائة قنبلة وصاروخ على المستشفى نفسه، فهدمت بنايات أخرى وجرحت خمسة مرضى.

في 8-2-1965 وعند الساعة الواحدة والنصف قامت ثماني طائرات أميركية بإطلاق نار الرشاشات على مستوصف "هوخا" فقتلت طفلين مريضين، وسبعة تلاميذ ومعلمة من المدرسة الواقعة قرب المستوصف.

وفي 14-2-1965 قام مركبان حربيان تابعان للبحرية الحربية الأميركية بإطلاق نار المدافع على قرية "نغو نوي".

في 20 و28-2-1965 عند الساعة الواحدة قامت ثلاثة مراكب حربية أميركية بضرب مستوصفي قريتي "فنه تاي" و"فنه كيم" فهدمتهما.

في 21-3-1965 قامت أكثر من طائرة أميركية بإطلاق النار على قرية "كوانغ فوك" فأضربت النار في المستوصف وجرحت امرأتين في أثناء الوضع.

في 22 و26-3-1965 قامت ثماني طائرات أميركية بقذف ثماني قنابل وصواريخ على المركز الصحي للتوليد في قرية "هونونغ لاب" في المنطقة الجبلية فهدمته بكامله.

في 26-3-1965 قامت عدة طائرات أميركية بقصف المركز الصحي في "كان دونغ" بالقنابل والرصاص فجرحت أربعة أشخاص. وعاودت هجماتها بعد ذلك ثلاث مرات.

في 31-3-1965 وخلال خمسة أيام متتالية، قامت الطائرات الأميركية بقصف مستشفى "هوينغ خي" فهدمته، وقتلت امرأة في أثناء إجراء عملية لها بسبب الوضع وجرحت عدة مرضى.

في 4-4-1965 قامت 14 طائرة أميركية بقذف قنابلها ورصاص رشاشاتها على أبنية مركز الاستشارات والمعونة الطبية، في مركز مقاطعة "دونغ هوي"، فهدمت تهديماً كاملاً مركزاً صحياً وداراً للأومومة.

في 13-4-1965 قامت ست طائرات بتهديم المركز الصحي ومركز الأومومة في قرية "دوغ تراش" وجرحت شخصين.

وفي 23-4-1965 قامت عدة موجات من الطائرات الأميركية بغارات على المركز الصحي للأومومة في قرية "داي تراش". فهدمته.

وفي 28-4-1965 قامت موجات من الطائرات الأميركية وهدمت المركز الصحي في قرية "تان تراش" فجرح شخصان جراحاً خطيرة.

وفي 4-5-1965 وعند الساعة الواحدة والنصف قامت 15 طائرة أميركية واستخدمت القنابل والرشاشات والصواريخ على مركز الخدمة الصحية ومستشفى "ننه لئه" حيث هدمت وخربت كل شيء، وأحرقت 200 سرير، وهدمت 20 بناية للمعالجة وغرفة التصوير، وغرفة الفحص إلخ..

وفي 23-5-1965 قامت الطائرات الأميركية من تايلند بغارات على مدرسة ومستشفى في "نجيا دان" وألقت القنابل ورصاص الرشاشات على السوق في "توترو" بمقاطعة "تان هوا" في الوقت الذي يعج فيه بالناس، فقتلت 79 وجرحت عدداً كبيراً بينهم النساء والأطفال والمرضى في أثناء المعالجة.

وفي النهار نفسه قامت الطائرات الأميركية بقذف المركز الصحي في قرية "فين لونغ" فجرح الممرض جرحاً خطيرة، وتهدن المركز بكامله، وتحطمت جميع الأدوات الطبية والأدوية.

وفي 12-6-1965 وعند الساعة الثامنة مساءً قامت عدة موجات من الطائرات الأميركية بقصف مستشفى البرص في "كوين لاب" فقتلت 139 شخصاً وجرحت ثمانين. وكان هذا المستشفى يضم 2000 مريض مصابين بالبرص، وفي الأيام التالية قام المستعمرون الأميركيون باثنتي عشرة غارة على المستشفى المذكور فقتلوا وجرحوا عدداً آخر، وتهدم

120 منزلاً مختلفاً وأربعون منزلاً من القش؛ كانت تستخدم لمعالجة المصابين بالبرص، وتهدم المستشفى وغرفة الفحص وغرفة الأبحاث والصيدلية والنادي والمحطة الكهربائية.

وفي النهار نفسه قامت موجات من الطائرات الأميركية بقصف المراكب التي كانت تحمل المؤمنين الكاثوليك من قرية "دوك ترونغ" وقرية "هونغ تو" الذاهبين إلى حضور أحد الاحتفالات الدينية، وكذلك قذفوا مدرسة "هونغ جيانغ" فقتلت وجرحت الكثيرين.

وفي 14-6-1965 عند الساعة الثانية عشرة والنصف قامت الطائرات الأميركية بغارات على مستشفى "كانغ تراش" ومركز الاستشفاء في "با دون" فهدمت وأحرقت كل شيء، وفي المستشفى قُتل الطبيب وأحد المرضى، وجرح 4 آخرون. وفي مركز الاستشفاء قُتل 23 وجرح ثلاثة.

وبين 18 و22-6-1965 قامت الطائرات بغارات على مستشفى "سون لا" وهدمته بكامله.

وفي 26-6-1965 قامت 12 طائرة أميركية بغارات وهدمت المزرعة الحكومية في "فيات ترونغ" فقتلت أربعة مرضى وجرحت اثنين آخرين.

وفي 1-7-1965 عند الساعة العاشرة والرابع قامت 12 طائرة أميركية بقصف مستشفى "توين هوا" فجرحت طبيبين وهدمت كل البنايات.

وفي 8-7-1965 قامت أربعون طائرة نفثة بقذف مائة قنبلة على مستشفى السل 71 في "تان هوا" فقتلت 40 شخصاً بينهم خمسة أطباء وجرحت كثيرين بينهم ثمانية مستخدمين في المستشفى.

وفي 9 و10-7-1965 قامت عدة أسراب من الطائرات بقصف المركز الصحي في "يان باي". والمركز الصحي ومركز مكافحة الأمراض السارية ومركز مكافحة السل ومركز حماية الأمومة والطفولة، ومستشفى "يان باي" فهدمت أكثر هذه المراكز، وقتلت 47 أكثرهم من الأطباء، وبينهم عدد من الأمهات والأطفال.

وفي 11-7-1965 قامت عدة أسراب من الطائرات بتهديم المركز الصحي في "كوا لو" فهدمته بكامله وقتلت شخصاً وجرحت عدة أشخاص.

وفي 31-7-1965 أغارت الطائرات الأميركية على جامعة "فنه" ومستشفى "هونغ خه".

وأكتفي بهذا القدر من الجدول الذي استطعنا أن نحصل عليه، وهو يبين بما لا يقبل الشك أن الاستعمار الأميركي لا يتورع عن قذف المراكز الصحية ومراكز السكن، في حملته ضد الشعب الفيتنامي الذي لا ذنب له سوى الكفاح من أجل استقلاله وحرية، فمن واجب جميع

الشعوب أن تساعد هذا الشعب لكي يضع حداً لبربرية المستعمرين الأميركيين وغيرهم من المستعمرين، الذين إذا انتصروا لن يتورعوا عن إغراق جميع البلدان الصغيرة والضعيفة بالدماء، كما يفعلون الآن. وكما يهيئون قاعدتهم إسرائيل لتكون منطلقاً لهم بالنسبة للبلدان العربية. إن آلاف الشهداء الذين سقطوا ويسقطون في الفيتنام بين ساحات المعارك أو تحت أنقاض المستشفيات والمستوصفات والمدارس والبيوت والمعابد، ليسوا شهداء الشعب الفيتنامي وحده، بل إنهم شهداء جميع الإنسانية التقدمية، وأن كل نقطة دم تسقط من أحد أفراد الشعب الفيتنامي لا بد أن تشعر بفقدها جميع الدماء التي تجري في عروق الشعوب، وويل للاستعمار عندما يغص بهذه الدماء الذي يهرقها ظمأً وعدواناً.

لقاء مع وزير التربية الوطنية

بتاريخ 8 تشرين الأول سنة 1965 هيء لنا لقاء مع وزير التربية الوطنية في الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية الدكتور "نغوين فان هوين"، ولما حضرنا إلى الوزارة، استقبلنا الوزير بالترحاب والبشاشة اللتين رأيناها على وجه جميع أبناء هذا الشعب عندما يستقبلون الأصدقاء، إذ أنهم أحسن من يعرف كيف يستقبلون الأصدقاء، بالمقابل كيف يقابلون الأعداء. ولم يكن الوزير وحده، بل كان معه نائبه السيد "فو تياون تهو"، وما من شك في أن مهمة هذين الرجلين وأعاونهما ممن يعملون في حقل التعليم والتثقيف صعبة جداً إذ على عاتقهم الاهتمام بملايين الطلاب، وتأمين تعليمهم والقضاء على الجهل والتخلف والامية بين صفوفهم في بلاد لا تزال تعاني من المستعمرين الأمريين منذ أجيال، ولا تزال في حالة حرب فعلية منذ لا يقل عن عشرين سنة، حقاً أن البطولة متجسدة في جميع ميادين الأنشطة عند هذا الشعب الذي ينحني احتراماً لتصميمه كل انسان شريف في العالم.

وبعدما استقر بنا المقام قال الوزير أنه يرحب بنا باسم 4 ملايين طالب و110 آلاف معلم في الفيتنام الشمالية، وبين هؤلاء التلاميذ خمسون ألفاً يسمونهم "أبناء العم هو" أي هوشي منه رئيس الجمهورية نظراً لتفوقهم في دروسهم وحصولهم على درجات عالية، لقد سبق لنا واستقبلنا كثيراً من الوفود الأجنبية وكنا عادة نتحدث عن عملنا في الثقافة وندرس التجارب التي سبقتنا إليها الدول التي تنتمي إليها هذه الوفود، لقد كنا نضع الخطط اللازمة للسير في طريقنا بشكل واسع، مع أقل عدد ممكن من الأغلاط. ولكن المستعمرين الأميركيين بدأوا بعدوانهم على بلادنا منذ شهر آب سنة 1964 ولا يزالون متابعين بشكل يتسع باستمرار، وفي الأيام الأولى من عدوانهم كنا نعقد مؤتمراً (5 آب سنة 1964) لمعلمينا، فضربوا المكان الذي كان يعقد فيه المؤتمر. ومنذ ذلك الوقت لا تزال الطائرات الأميركية مستمرة في قصف مدارسنا ومؤسساتنا التعليمية.

وفي ربيع سنة 1965 بعد عودة التلاميذ إلى الدروس بعد العطلة ضرب الأميركيون إحدى المدارس فقتلوا معلمين كانا من بين ستين معلماً حصلوا على تهنئة من رئيس الجمهورية نظراً لجهودهم في حقل التعليم وقد تهدمت المدرسة على طالباتها وطلابها. ومنذ مدة قريبة هدموا مدرسة في إحدى المقاطعات وأحدثوا 40 إصابة بين قتيل وجريح، وبالرغم من قصف المدارس فإنها مستمرة في عملها، إذا ضربوا المدن انتقلنا بطلابنا إلى القرى، وإذا ضربوا

المدارس نهراً اشتغلنا في الليل، وإذا فعلوا ليلاً اشتغلنا نهراً المهم أن نستمر في عملنا، وقد تمكنا من تنسيق أعمالنا مع الحرب، مما أتاح لنا أن ننهي سنتنا الدراسية 1964-1965 بنتائج ممتازة في جميع الصفوف. وقد قام المعلمون بواجبهم، وأظهر التلاميذ اجتهاداً غير اعتيادي، كأنهم أدركوا خطورة المرحلة التي نعيش بها.

وقد منحنا مائة وتسع مدارس لقب "جماعة العمل الاشتراكي" وهو لقب مشرف جداً يفخر من يحمله في بلادنا، ومنذ يومين فقط منحت حكومتنا لقب "جماعة العمل الاشتراكي" عدداً من المدارس يزيد ثلاثة أضعاف عن العدد الممنوح في العام الدراسي السابق، ومقابل هذا الجهد المستمر من جهتنا لرفع مستوى التعليم ونشره، ضاعف المستعمرون الأميركيون قصفهم للمدارس، وهذا ما يدفعنا إلى أن نقاتل أكثر في ساحة المعركة، وفي جميع الميادين الأخرى لنقطع عليهم الطريق ولمنعهم من تنفيذ مشاريعهم العدوانية.

وبعدما انتهى من حديثه شرح نائب الوزير الموقف بالنسبة إلى المدارس، فقال أن الأميركيين يزعمون أنهم لا يستهدفون سوى القواعد العسكرية وطرق المواصلات، ولكن الواقع خلاف ذلك فقد تعرضت حتى الآن 980 مدرسة للقصف، وهذه المدارس ليست موجودة في مناطق الحدود بل في 11 مقاطعة من بلادنا ومنا المناطق الجبلية، وهناك مدارس على بعد 55 كيلومتراً من هانوي تعرضت للقصف، ولكن المدارس التي تعرضت أكثر من غيرها للقصف قائمة في مقاطعة "تان هوا"، حتى بلغ عددها في تلك المقاطعة وحدها 34 مدرسة.

كذلك يزعم الأميركيون في دعايتهم أنهم ربما أخطأوا الهدف فأصابوا بعض المدارس مع أن هنالك مدارس قد قُصفت 6 مرات كمدرسة "هونغ لوك" من مقاطعة "فنه لنه"، وهنالك مدارس قُصفت والتلاميذ في المدرسة يتابعون دروسهم كما حصل في "فنه لنه" حيث قُتل 7 تلاميذ ومعلمان، وقد اضطرت معلمة الأولاد "لان هو" في صف الحضنة أن تنام فوق التلاميذ الصغار لتحميهم بجسمها. وفي 15 أيلول سنة 1965 عند الساعة العاشرة قُصفت الطائرات بالرصاص مدرسة "كوي فانغ" والتلاميذ في الصف، فقُتلت 12 وجرحت 26 تلميذاً ومعلمين.

وتجدر الإشارة إلى أنه بين المدارس توجد مدرسة المعلمين العليا في "فنه" وقد أنشئت بعد اتفاقيات جنيف، وقد أصبحت الآن جميع أبنيتها غير صالحة للاستعمال، بعدما قُصفت حتى الآن سبع مرات، بالرغم من أنها بعيدة عن كل هدف عسكري، وقد قُصفت الطائرات الأميركية مدارس مخصصة لتخريج المعلمين الواقعة في المناطق الجبلية وأعطى نائب الوزير بياناً عن عدد المدارس التي قُصفت حتى ذلك التاريخ فإذا هي كما يلي: مدرسة المعلمين العليا -15 مدرسة تقنية من الدرجة الثانية، 13 مدرسة تقنية من الدرجة الثالثة، 38 مدرسة من الدرجة الثانية، 31 مدرسة من الدرجة الأولى، 20 مدرسة للحضنة. وقد قُتل 15 معلماً -حسب المعلومات غير المكتملة التي لدى الوزارة- بينهم أربع معلمات، وقُتل 55 تلميذاً بينهم 30 لم يبلغوا العاشرة من عمرهم.

وقصفت المدارس يضع أمام الوزارة صعوبات كثيرة إذ أن أغلب أبنية المدارس أصبحت غير صالحة، وما بقي منها صالحاً فهو غير أمين لأنها تقع في أماكن مكشوفة يسهل على الطيارين الأميركيين اكتشافها، والطائرات الأميركية تحلق ليلاً نهاراً في مناطق الجنوب وترمي قذائف منيرة مما يجعل من الصعب متابعة الدروس. وحتى المدارس التي تستمر في عملها لا يمكنها استخدام المختبرات لعدم إمكانية نقلها من أماكنها القديمة إلى الأماكن الجديدة حيث تنقل المدارس. وفي الأيام الأولى من القصف كان الأهليون يرفضون إرسال أولادهم إلى المدارس، ومضى وقت قبل أن يقتنعوا بإعادة إرسالهم.

ولكن بالرغم من جميع هذه الصعوبات قررت الحكومة أن تستمر المدارس في العمل مهما كان الوضع ومهما كانت التضحيات. فكانت النتيجة مشجعة بحيث لم تكن ننتظرها، فالمدارس تفتتح أبوابها عادة في 15 أيلول من كل سنة وهذه السنة كان عدد التلاميذ يزيد عن عددهم في السنة الماضية بما يزيد عن 300 ألف تلميذ. لقد لبى الشعب الفيتنامي نداء الحكومة والرئيس "هوشي منه" واعتبر إرسال الأولاد إلى المدارس مرحلة من مراحل الكفاح، وحتى الأولاد تفهموا ذلك وقد قال أحد الأهليين: إذا كنت أرسل ابني إلى المدرسة فلكي أثبت للأميركيين أننا لا نخاف، ويقول التلاميذ الصغار: يجب أن نذهب إلى المدرسة لنشارك في قتال المستعمرين الأميركيين ولنثبت لهم أننا لا نخافهم ولكي نساهم في الكفاح ضدهم حتى الانتصار.

والبلاد تحاول بجميع طاقاتها التغلب على الصعوبات، وقد لجأت الوزارة إلى تنظيم صفوف المدارس بين البيوت في القرى والمزارع، وتوزيعها على مسافات متباعدة حتى يصعب قصفها، والسكان يقدمون بيوتهم بكل طيبة خاطر، ففي إحدى قرى مقاطعة "تان هوا" قدمت إحدى الأسر بيتها ليكون مدرسة، واكتفت بالسكنى في المطبخ، ومثل هذا المثل كثير في الفيتنام. ولا يكفي إيجاد مكان للمدرسة بل من الضروري أيضاً إقامة ملجأ إلى جانبها ونسقت الدروس مع طبيعة الصفوف لحماية التلاميذ والمعلمين من الغارات، وبسبب التجربة أصبح هؤلاء يذهبون إلى الملجأ فور سماعهم علامة الإنذار، وفي الأيام الأولى لم يكن العمل طبيعياً ولكن الأحوال تبدلت الآن وأصبح العمل يجري بشكل طبيعي عادي، حتى أن الامتحانات التي جرت آخر السنة الدراسية هذه السنة تمت كسائر الامتحانات.

من الصعوبات التي نحاول التغلب عليها، وغالباً ما ننجح أن التلاميذ يعملون اليوم في ظروف أصعب من السابق، بسبب قلة الأمكنة، وعدم وجود الكهرباء والوسائل الصحية اللازمة، وقلة المختبرات والكتب المدرسية، ونقلها من مكان إلى آخر وفي بعض الأحيان يجتمع التلاميذ لنقل الكتب على أكتافهم، وبسبب توزيع المدارس وبعُد الصفوف بعضها عن البعض الآخر نجد صعوبة في توزيع المعلمين، ولكننا مصممون على متابعة عملنا وتحسينه، لا بالنسبة إلى تعليم الصغار فحسب، بل أيضاً بالنسبة إلى الكبار، ونحن نعمل على إنهاء الخطة الخمسية التي تنتهي في سنة 1966 وقد تمكنت بعض المقاطعات من إنهاؤها في الوقت الحاضر، حتى يمكن القول أن 50% من المدارس قد تمكنت من إنهاء الخطة التي تنص

على أن 80% من البالغين -أقل من 30 سنة من العمر- يجب أن ينهوا دروسهم الأولية، و30% يجب أن ينهوا دروسهم الثانوية.

والتلاميذ في الصفوف العليا مجندون، يقومون بالخدمة العسكرية مستعدين في أي وقت للاشتراك بالمعركة، ومن بين الأبطال الذين نوه بهم في الكفاح يوجد كثير من الأساتذة والطلاب. لقد رمى الطيارون الأميركيون كثيراً من قنابل "الأناس" ذات الكرات الحديدية فقتلوا بها عدداً من التلاميذ الصغار، وقد استطعنا أن نحصي عددها فبلغت 70 قنبلة من هذا النوع رُميت على المدارس، ولهذا السبب فقد علمنا تلاميذنا كيف يفككون مثل هذه القنابل ويمنعون أذاها، لقد اضطررتنا ظروف الحرب أن نعلم التلاميذ دروساً جديدة لم تكن لتوجد لولا العدوان الأميركي.

وأعطانا نائب الوزير بعض المعلومات عن هذه القنبلة التي تشبه الأناس " بلونها، والتي هي عبارة عن علبة مستطيلة تحتوي عدداً كبيراً من الكرات المعدنية في داخلها تنتشر في كل مكان عند انفجارها، ومزودة بأجنحة مستطيلة من المعدن تفتح عند انطلاقها لتوجيه القنبلة إلى المكان المقصود، إنما لا تنفجر إذا وقعت فوق أرض رطبة أو في الماء، وهذا ما جعل ضررها غير كبير في الفيتنام حيث تكثر المستنقعات والمياه، وقل أن تجد مكاناً جافاً، ولكن مقابل ذلك لا يمكن معرفة الجهة أو الجهات التي تنتشر فيها الكرات، فيصعب على الناس الاحتياط لها، وخاصة أن أكثر ما رُمي منها كان على المدارس، بين التلاميذ الصغار غير المجربين، وهذه القنابل لا يمكن أن تصيب الإنشاءات والأبنية بأي أذى، والغرض منها فقط تقتيل الناس المدنيين وخاصة الصغار، مما يدحض بكل وضوح ما يزعمه الأميركيون من أنهم لا يستهدفون سوى طرق المواصلات والقواعد العسكرية، فلو كانوا حقاً كذلك، لما كان بهم من حاجة إلى استخدام مثل هذه القنابل.

وخرجنا من مبنى وزارة التربية الوطنية في هانوي وفي مخيلتي مئات بل آلاف التلاميذ والطلاب والمعلمين والأساتذة، بعضهم مرمي على الأرض مشوهاً قتيلاً، وبعضهم الآخر جريحاً غريقاً في دمه، وبينهم صغار يكون ويتراكمون خوفاً وهلعاً، بعضهم يبكي من ألم ساق أو ذراع مكسورة، ومعلمة شابة تحمي صغارها بجسدها، وأستاذ يقع قتيلاً وهو يشرح لتلاميذه معاني الإنسانية، ولكنهم جميعاً يشيرون بأصابع اتهام الاستعمار الأميركي بأبشع تهمة.

لقاء مع ممثلي الثقافة وأساتذة الجامعات والعلماء

وقد استكمل المستعمرون الأميركيون جرائمهم في الفيتنام باستخدام الغازات السامة والقنابل المحرقة "النابالم"، ضد شعب ينشد حريته واستقلاله. وهم لا يستحيون من الاعتراف بذلك. وما همهم ما دامت القوى التقدمية لاهية عازفة عن عقابهم، منصرفة إلى التلهي بخلافاتها والتزاحم على النفوذ والزعامة. كلما ذكرت الفيتنام لا بد للإنسان أن يستعرض بطولة هذا الشعب، وما قاساه من مظالم المستعمرين، وما يزال يقاسيه، ومع ذلك لم تلتن له قناة، ولم يلتو له غصن، ولم يعتره أي تردد وتخاذل، وكلما ذكرت الفيتنام لا بد للإنسان أن يستعرض

ما يراه من تكالب المستعمرين واستئسادهم فيها حيث يستمرون في قصف المدارس ودور العبادة والمستشفيات، وحرق الأرض بالنابالم ونشر الغازات السامة، وفي غير الفيتنام حيث يقومون بالانقلابات في اندونيسيا وغانا وسواهما، ومع ذلك ليس ما يدل على أن القوى التقدمية، وخاصة أشدها، قد أخذت العبرة واقتنعت أن كل نكسة تلحق بعضها تلحقها جميعاً دون استثناء، وأنها في الوقت الحاضر تتحمل أكبر مسؤولية أمام التاريخ والأجيال المقبلة.

ومن جملة الأعمال المخالفة للقوانين الدولية والإنسانية التي يقوم بها الاستعمار الأميركي في الفيتنام استعمال الغازات الخانقة، وهذا ما استطعنا أن نحمل عليه كثيراً من الشهادات. ففي اللقاء الذي كان لنا مع القائمين على جبهة الشعب الوطنية بتاريخ الثالث من شهر تشرين الأول سنة 1965 ذكر لنا السيد "فان تون جيا" أمير السر الدائم للحزب الاشتراكي أحد الأحزاب المشتركة بالجبهة: "أن الأميركيين يستخدمون الغازات الخانقة ويزعمون معها أنها طريقة إنسانية لأن قتل الناس بالغازات السامة أسهل من قتلهم بالقنابل، ثم يدعون بعد ذلك أنها غازات مُسِيِّلة للدموع ولكنها في الواقع غازات سامة مميتة، ولم يقتصرون على إلقائها في المدن بل أقوا منها أيضاً على السكان في الجبال..". حقاً إن المستعمرين الأميركيين لم يشاؤوا أبداً أن تقتصر انسانيتهم على إسالة دموع أفراد الشعب ومعها حياتهم في المدن، بل نشروا انسانيتهم هذه في الجبال أيضاً، فأسالوا دموع الجبليين أيضاً.³⁵

وفي لقائنا مع ممثلي الثقافة وأساتذة الجامعات والأوساط العلمية في النهار نفسه تطرق أكثر من شخص إلى استعمال الأميركيين للغازات السامة، مما يدل على أنها ليست مجرد دعاية لتثويه "الوجه الجميل البريء" للاستعمار الأميركي، فقد ذكرت السيدة "لوتي خوين" النائبة في المجلس التشريعي: "أن الأميركيين استعملوا الغازات السامة ضد القرى وسمموا الناس ومؤخراً استعملوا الطائرات الضخمة بـ 52 لرمي السكان بالقنابل وفي قرية "فنه كوانغ" شوهد البحارة الأميركيون يحملون على ظهورهم أوعية الغازات السامة يضحونها في الملاجئ تحت الأرض حيث اختبأ السكان فقتلوا 25 شخصاً وأصيب الكثيرون بالتسمم، ويعترف الأميركيون أن هذه الغازات تشكل قسماً من الأسلحة العادية التي يُجهز بها الجندي الأميركي". ومع ذلك لا يخجل الأميركيون في تبرير عملهم من الزعم أنهم يستخدمون الغازات -طبعاً المُسِيِّلة للدموع- لطردهم رجال العصابات الفيتكونغ من مخابثهم، ويفخرون بمثل هذا العمل، الذي لم يجرؤ عليه حتى النازيون في أثناء الحرب الكبرى الأخيرة.

وفي اللقاء نفسه ذكرت لنا السيدة "تران تي أن" الدكتورة في الصيدلة وهي أستاذة هذا الفرع في جامعة هانوي: "إن الأميركيين لم يتأخروا على أي عمل بربري حتى أنهم استخدموا الغازات السامة على السكان. ومنذ سنة 1964 حتى الآن يرسلون الطائرات لقتل الناس والغازات التي يسمونها غازات مُسِيِّلة للدموع لكنها مع ذلك سممت آلاف الناس وأصابت آلافاً غيرهم. وكذلك تسممت الحيوانات وماتت وقضي على المزروعات والأغراس. وقد أرسلوا مؤخراً مختبراً نقالاً يستخدمونه للمواد الكيماوية والقيام بتجارب لاستخدام الغازات السامة، وقد أصدروا الأوامر للبحارة باستخدام أوعية سامة للغازات السامة في الملاجئ وبين

35 من الواضح أنها صيغة تهكمية.

المساكن، وبعد ارتكاب هذه الجريمة زعموا أنها عملية إنسانية لأنهم لم يستخدموا القنابل وقد استخدموا "الغاز المُسَيِّلُ للدموع" لإخراج الناس من الملاجئ، ولكن النتيجة كانت 25 قتيلًا".

وفي مساء السابع من شهر تشرين الأول سنة 1965 عقدنا اجتماعاً مع بعض علماء الكيمياء وعلى رأسهم الدكتور "نغوين هاو" نائب رئيس فرع الكيمياء في لجنة علوم الدولة، وعميد معهد الكيمياء في جامعة هانوي، زمن لبنهم السيد "ماي هو ديوا" أمين السر العام لفرع الكيمياء، والسيد "دانغ تي تاي" المتخرج في العلوم من جامعات الاتحاد السوفياتي، وقد أدلوا لنا بمعلومات قيمة معززة بالأرقام والتعابير الكيماوية، سأذكر منها بعضها متجاوزاً عن التعاريف والتعابير الكيماوية الفنية.

بدأ الأميركيون باستعمار الغازات الخانقة في سنة 1958 ففي شهر كانون الأول من تلك السنة قتلوا بالغاز ألف شخص كانوا معتقلين سياسياً في "فيلوي" ولقد اعتقدوا أن الفيتناميين عاجزون عن معرفة خفايا تلك المجزرة ولكننا تمكنا من معرفة الحقيقة بواسطة الفحوص الكيماوية والعلمية والفيزيولوجية. وفي سنة 1961 أخذوا يستعملون مواداً خاصة للقضاء على الأعشاب والأوراق في منطقتي "بن تري" و"شاي دوك" والمنطقة الواقعة على حدود لاوس، وتأثير هذه المواد أنها تقتل أوراق الشجر السميكة. لقد كانوا في ذلك الوقت بدأوا باستعمال قنابل النابالم ولكن تأثيرها كان ضعيفاً نظراً لكثافة الغابات، فاستعملوا هذه المواد لإسقاط الأوراق فهلكت الأشجار لتصبح قنابل النابالم ذات تأثير.

أما كيف برروا هذا فقد زعموا بأنهم بحاجة إلى طرق مواصلات بين الغابات، وهم يريدون اكتشاف رجال "الفيكتونغ" المختبئين لبن هذه الأشجار، أما في الواقع فقد كانوا يريدون القضاء على كل ما يؤلف ملجأ للمواطنين في الجنوب والقضاء على المواسم الزراعية والفاكهة والثمار، لقد أثرت هذه الغازات تأثيراً واسعاً بحيث أنها قضت على الأشجار المثمرة وعلى حقول الأرز، وقتلت كثيراً من الحيوانات والمواشي، وأن أشجاراً قوية كشجرة جوز الهند قد اضمحلت. وذكر لنا أن أكثر المواد استعمالاً من قبل الأميركيين كانت المواد القابلة للذوبان في الماء، وهي تعطي معه مزيجاً أصفر اللون رائحة تشبه رائحة البارود مما يسهل معرفتها، وهذه المواد تشتق من "النيترو"³⁶.

وقد استعملوا أيضاً مشتقات من ذات "الهرمونات النباتية" ويمكن معرفتها لأنها تساعد على نمو النبات وعلى احتفاظ الأشجار بورقها، إذا استعملت بكميات قليلة، ولكنها إذا استعملت بكميات كبيرة قتلت الأشجار والنباتات كاستعمال الهرمونات الذي يمكن أن يؤدي إلى إصابة الإنسان بالسرطان إذا أُعطي له بكمية كبيرة، وهكذا فإنهم باستخدامهم بعض المواد الكيماوية غير المضرة، إذا استعملت بكميات قليلة، على نطاق واسع توصلوا إلى تسميم النبات والحيوان والإنسان، وقد سجلنا كثيراً من حالات التسمم بسبب استخدام هذه المواد الكيماوية،

36- مركبات النترو هي المركبات العضوية التي تحوي في بنيتها الجزيئية المجموعة الوظيفية NO₂ - مجموعة النترو. مركبات النترو بشكل عام متفجرة خاصة عند وجود أكثر من زمرة نترو في المركب، مثل ثلاثي نترو التولوين. تحضر مركبات النترو العضوية بتفاعل النترة من أثر مزيج من حمض النتريك والكبريتيك على المركبات العضوية الملائمة.

إذ ينتقل التسمم من النبات إلى الحيوان وبشرب الانسان حليب الحيوان فيتسمم بدوره، حتى أن كثيراً من الحالات قد أدت إلى الوفاة.

وفي بعض المناطق روى السكان أنهم رأوا سحباً مختلفة الألوان تسقط من الطائرات وقد استدللنا من ذلك أن الأميركيين يستخدمون أخلاطاً متعددة مما يجعل فحصها صعباً ودقيقاً وقد لجأنا إلى استخدامها على "الفطر" فقصت عليه مما جعلنا على بينة منها، وقد استخدموا مثل هذه الأنواع 11 مرة في سنة 1961 و40 مرة في سنة 1962 و200 مرة سنة 1963 و400 مرة سنة 1964، كما يعترفون هم أنفسهم، ولكننا نقدر أن العدد أكثر بكثير، وذلك في مختلف المناطق. حتى سنة 1962 اقتصر استعمال الأميركيين على المواد السامة، ولم يستعملوا الغازات الحربية، إلا أنهم في سنة 1964 بدأوا باستخدامها ولا سيما الغازات الخانقة والقاتلة، وابتداء من سنة 1965 أخذت تظهر فرق متخصصة في استخدام الغاز.

وقد اعترف الأميركيون بأنهم أعطوا مثل هذه الغازات للحكومة العميلة في سايجون، التي أخذت تفخر باستخدامها وقد أعلنت السيدة "تران لي خوان" زوجة شقيق "دييم" بأنه إذا لم يكن الشيوعيون راضين عن استخدام هذه المواد فما عليهم إلا الرحيل من المناطق التي تستخدم فيها، ووضعت الكاتبة الأميركية السيدة "راشيل كارسون³⁷" كتاباً ذكرت فيه أن بعض المواد المستخدمة في الزراعة قد أتلفت كثيراً من المزارعات مما اضطر الرئيس "كينيدي" إلى فتح تحقيق بالموضوع، وقد لاقى كتابها رواجاً واسعاً. وأن وحدات جيش الحكومة العميلة مجهزة أيضاً بهذه المواد والوسائل المضادة لها، فقد بلغنا أن بعض وحدات هذا الجيش مجهزة بكمامات يبلغ عددها 400 أو 500 لكل فرقة.

وفي الخامس من أيلول سنة 1965 نشر الأميركيون مواداً سامة في "فنه كوان" بمقاطعة "كوانغ نغاي"، فلما انتشر الخبر وتوالى الاحتجاجات فتحت الحكومة الأميركية تحقيقاً توصلت بنتيجته إلى الزعم بأنه يحق للأميركيين استخدام الغازات المُسيلة للدموع "حتى لو أدت إلى القتل طبعاً..". وقد قُتل نتيجة لذلك في إحدى المناطق 35 شخصاً وأصيب بالتسمم 19 بينهم ثماني نساء وثلاثة أولاد وثمانية عشر امرأة مسنة وخمسة وعشرين طفلاً وفي منطقة أخرى قُتلت أسرة بكاملها مؤلفة من سبعة أشخاص. وفي 3 أيلول سنة 1965 رموا قنابل غاز سام، سممت منطقة بكاملها على مائتي كيلومتر مربع في مقاطعة "كونتوم" مما أدى إلى تسمم خمسين شخصاً مات منهم ثلاثة. وفي 30 أيلول رمى البحارة الأميركيون غارات على بعد سبع كيلومترات من "دانانغ".

37- عالمة أحياء بحرية وكاتبة علمية أمريكية، ألقت عدة كتب تعكس اهتمامها بالحياة في البحار والسواحل. أكدت كارسون في كتبها العلاقة المتبادلة بين جميع الكائنات الحية واعتماد الرفاهية الإنسانية على العمليات الطبيعية. ويصف كتابها البحر حول الولايات المتحدة (1951م) كيمياء وجغرافية وتاريخ البحر. ولفت كتابها الربيع الصامت عام 1962م انتباه الرأي العام إلى الاستخدام الضار والمدمر لمبيدات الآفات. يُعد كتاب الربيع الصامت أشهر كتاب لكارسون نُشر من قبل هوتون ميفلين في 27 أيلول/سبتمبر عام 1962. وصف الكتاب الآثار الضارة لمبيدات الآفات على البيئة. لم تكن كارسون الشخص الوحيد الذي أثار مخاوف حول مبيد دي دي تي، ولكن معرفتها العلمية وكتابتها الشعرية وصلت إلى جمهور واسع وساعدت على حثهم لمعارضة استخدام دي دي تي. نُشرت نسخة من كتاب الربيع الصامت في عام 1994، وكُتبت المقدمة من قبل نائب الرئيس آل غور. عُيّن الكتاب في عام 2012 كعلامة تاريخية كيميائية من قبل الجمعية الكيميائية الأمريكية لدوره في تطوير الحركة البيئية الحديثة.

وقد علمنا أن الأميركيين في اليابان بمقاطعة "ساغا بنهارا كاناكوا" المؤسسة رقم 406 المتخصصة بالحرب الجرثومية، واستخدمت في جنوب الفيتنام، كما استخدمت في كوريا. وفي "فيلوي" استخدموا لقتل الناس "سيتنور الصوديوم"³⁸ وقد قمنا بالفحص شخصياً، واستخدام هذه المادة يؤدي إلى الموت عن طريق البول والبراز، وكانوا يمزجونها مع محتويات علب المحفوظات التي يقدمونها كطعام للمعتقلين السياسيين، والمصنوعة في "هونغ كونغ".

وابتداء من سنة 1965 أخذوا يستعملون أنواعاً جديدة من المواد الجامة التي يمكن تذويبها في السوائل البترولية فتقلب إلى سائل سام، ويمكن مزج بعضها أو مزجها جميعاً، وفي الحرب الحاضرة تستخدم مضخات لنشر السوائل بواسطة نقاط صغيرة تتبخر في الهواء وهكذا ينقلب الجسم الجامد إلى غيوم غازية. والمواد المستعملة تتألف من مادة تثير الدموع، ومادة خانقة، ومادة أخرى سامة قاتلة، فإذا مزجت هذه المواد الثلاث كان التأثير الأول الدموع، أما الاختناق فيجب لحصوله وقت أطول، ولذلك فإن الإنسان المصاب بها يشعر بأن دموعه تسيل، وأنه يتنفس بصعوبة. أما "الادامزيت"³⁹ إحدى مواد الخليط، فتكفي بعض ميللترات منه في الهواء لقتل الإنسان ولم يستخدم في حرب سنة 1914 لأن اكتشافها تم أواخر الحرب، أما الأميركيون فقد استخدموها كما استخدموا "الكلورو اسيتوفينون"⁴⁰ الأولى تحت اسم "أم" والأخرى تحت اسم "س.ن" لتسهيل تعريفهما إلى الجنود الأميركيين، وقد تمكنا من الحصول على بقايا من القنابل في الجنوب وفي بعض مناطق لاوس، وقد ثبت استخدام "الادامزيت" بالفحص المخبري وبالتحقيق، وقد فحصنا أوراق الشجر وبعض النباتات⁴¹ فوجدت مادة "الارسينيك"⁴² التي هي في الأصل أساس "الادامزيت".

38- سيانيد الهيدروجين Hydrogen cyanide (واسمه التاريخي الشائع الحمض البروسي Prussic acid) هو مركب كيميائي له صيغة كيميائية HCN. وهو سائل عديم اللون، شديد السمية يغطي فوق درجة حرارة الغرفة بقليل عند 26 م° (79 ف°). سيانيد الهيدروجين هو جزيء خطي، له رابطة ثلاثية بين الكربون والنيتروجين. و tautomer أصغر لل HCN هو HNC، أيزوسيانيد الهيدروجين. ن دخول شاردة السيانيد CN- سواءً عن طريق الاستنشاق [جو يحوي على غاز HCN] أو عن طريق جهاز الهضم (مركبات صلبة) يؤدي إلى حوادث انسدادية حادة أو مزمنة (فالإنسان لا يستطيع العيش لأكثر من دقائق في جو يحوي C300 PPM جزء بالمليون من حمض سيان الماء). إن دخول شاردة السيانيد CN- إلى جهاز الدوران تحوّل خضاب الدم haemoglobin إلى سيان هيموغلوبين وهو شكل غير فعال في نقل الأكسجين المأخوذ عن طريق التنفس إلى أعماق النسيج، كما أن شاردة السيانيد تعطل أنزيمات السيتوكروم أوكسيداز وأنزيمات أخرى. تحوي بذور الفصيلة الوردية (اللوز المر - المشمش - الدراق - الخوخ - الكرز وغير ذلك) ونشويات جذور بعض النخيليات (مانيهوت - تابوكا) غليكوزات سيانوجينية تعدّ سامة بمقادير كبيرة ودواءً مسكناً للسعال عن طريق الفم بمقادير قليلة، إن الانسداد بالسيانيد قد يكون حاداً أو مزمناً ويؤدي حسب الحالة إلى ضعف عام وآلام رأسية وصداع وهبوط في الضغط واختلاجات عصبية قد تنتهي بالموت.

39- ادامسايت Adamsite، في الحرب الكيميائية، غاز العطس الذي طورته الولايات المتحدة واستخدم خلال الحرب العالمية الأولى. ادامسايت هو ثنائي فينيل أمين كلورارسين الزرنيخ ومركب عضوي بلوري عديم الرائحة يستخدم في شكل بخار كمهيج للرئة. يظهر على شكل دخان أصفر يهيج العينين والرئتين والأغشية المخاطية ويسبب العطس والقىء والانزعاج الحاد في الأنف والحلق والصدر. في نهاية المطاف، يتطور الغثيان الشديد، مع الصداع والضعف الجسدي العام واليأس. يستمر التأثير عادة حوالي 12 ساعة. الحماية الوحيدة ضد استنشاق الغاز هي مرشح ميكانيكي جيد.

40- يعتبر من المنشطات غير الفتاكة التي تضم: كلورو أسيتوفينون (CN)، كلوروبنزيلدينيمالونونيتريل (CS)، ديبينزوكسانثيين (CR). واستخدمت الشرطة CN في كل الدول الغربية للسيطرة على الشغب، واستخدم الجيش الأمريكي CS خلال حرب فيتنام. يطلق على كلاهما الغاز المسيل للدموع وهما منشطان مع غاز القىء الذي يسبب القىء مثل (DM) Adamsite المحتوي على الزرنيخ و (DC) diphenylchlorarsine المستخدم في الحرب العالمية الأولى. 3- quinuclidinyl benzylate (BZ) يستخدمه الجيش الأمريكي عامل نفسي يسبب الاضطرابات النفسية مثل الهلوسة. بالإضافة إلى حامض الليسرجيك ديثيلاميد (LSD -25) يستخدم عمداً.

41- مبيدات الأعشاب ضد عوامل النبات D-2، 4، T5-. خلال حرب فيتنام، أجرى الجيش الأمريكي "عملية أوراق الشجر" بهدف تدمير مخابي العصابات ومصادر الغذاء، ورش كمية كبيرة من مبيدات الأعشاب (تسمى المواد المضادة للعرق). وقد تسبب هذا على المدى الطويل تدمير النظام البيئي في الغابات الكثيفة الاستوائية، وكذلك 2،3،7،8-tetrachlorodibenzo-dioxin (عموماً TCDD أو الديوكسين تسبب التسرطن القوي والجنين المسخي للجنين كوارث وخيمة على السكان والجنود الأميركيين الذين شاركوا في عملية الرش.

42- الزرنيخ Arsenic هو عنصر كيميائي رمزه As وعدده الذري 33؛ ويقع ضمن عناصر الدورة الرابعة وفي المجموعة الخامسة عشر (المجموعة الخامسة وفق ترقيم المجموعات الرئيسية) في الجدول الدوري، وهو يقع في المرتبة الثالثة في مجموعة التروجن. عُرف الزرنيخ ومركباته منذ التاريخ القديم، وانتشرت المعارف المتعلقة به في مختلف

وقد استخدم الأميركيون أيضاً غازات باسم "ب. ز" و"ف 8" و"ل.س. د 25" (اسم ألماني)، وقد نشرت الجريدة الإنكليزية "افنغ نيوز"⁴³ في عددها الصادر بتاريخ 22-3-1965 أن هذه المواد عبارة عن أخلاط يصعب تحليلها. وقد استطعنا الاستنتاج تبعاً للتفاصيل المعطاة لنا أن المادتين "ب. ز" و"ف 8" مستخرجتان من الكبريت والفسفور، فإذا سقطتا على الأشجار امتصتهما الأوراق، وأن قسماً يؤثر في النباتات، وقسماً آخر يؤثر في الحيوانات. وقد استخدم الأميركيون أيضاً غازات سامة مستخرجة من النبات ولكن على نطاق ضيق، لأن هذه الغازات تستخرج من نبات لا يوجد منه إلا في إفريقيا، ولدى الأميركيين كميات ضئيلة منه.

أما التأثيرات الفيزيولوجية لهذه الغازات في جسم الانسان فهي التالية: وجع في البطن لا يحتمل، الاستفراغ كما يحصل عند الإصابة بالحمى الصفراء "الكوليرا"، والبراز الحاد نتيجة لاسترخاء العضلات، الحمى، الاختناق، الضغط على الرئتين، خروج الدم مع البراز مما يؤدي في هذه الحالات جميعها إلى الموت، أو ظهور البثور، وبعض حالات "السفلس"، وفقدان الصواب، والشلل المؤقت أو الكامل، وانفجار الأعين وهذه الغازات جميعها تسيل الدموع أيضاً.

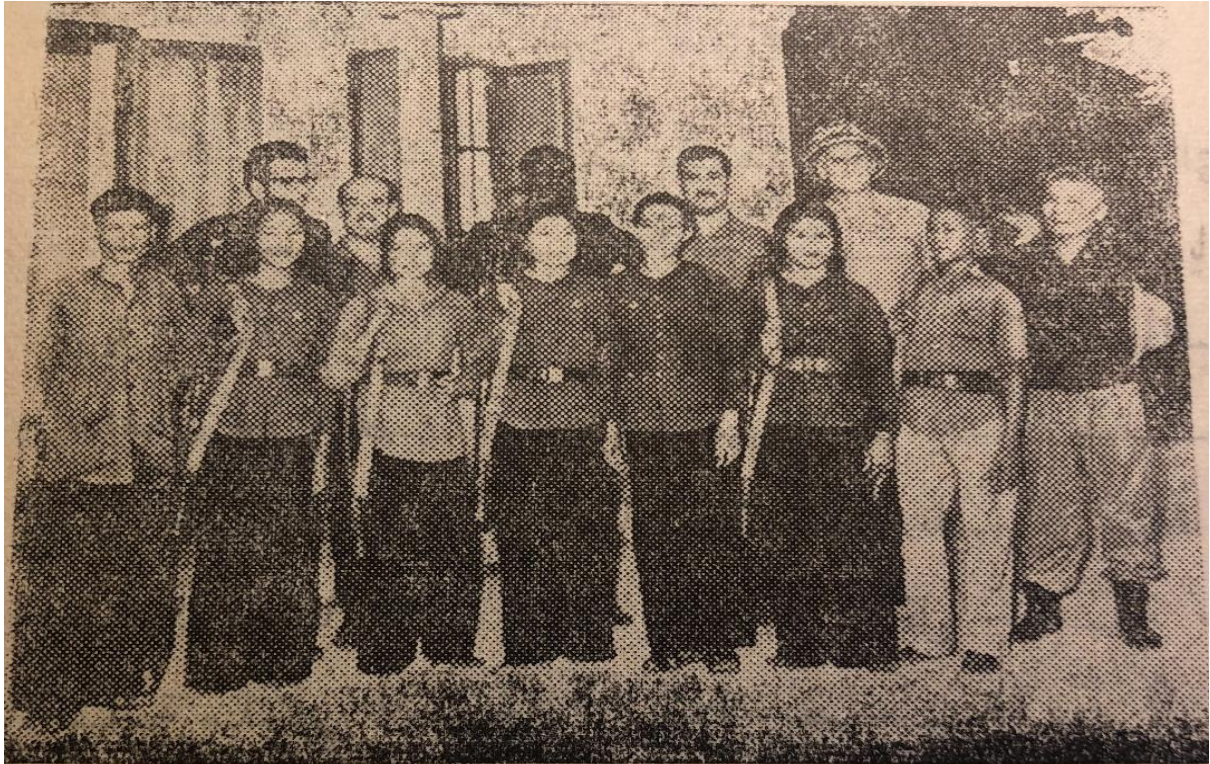
وقد كان حاضراً هذه المقابلة أيضاً "دو خوان هوب" الدكتور في الطب والأستاذ الحائز على جائزة العلوم من أكاديمية العلوم في باريس، والدكتور "نغوين هون" الأستاذ الحاصل على جائزة في العلوم من أكاديمية العلوم في باريس، والدكتور في الطب "فونغ فان ساينغ" رئيس مؤسسة الصليب الأحمر التابع لجبهة التحرر الوطني في جنوب الفيتنام، والدكتور في الطب "هوت هو" من الجنوب، والدكتور في العلوم "فو تي تري توك" وهو حاصل على جائزة في العلوم من باريس وهو مدير مختبر "الميكروبات العضوية" في كلية الكيمياء بجامعة هانوي.

وقد خرجنا ونحن على اقتناع تام بأن الأميركيين يستخدمون الغازات السامة مما يتناقض تماماً مع المبادئ الإنسانية والعدل الدولي، وخاصة الاتفاقية عن "القتل الجماعي" الموقعة 1960، ومعاهدة واشنطن المعقودة في 6 شباط 1922، وبروتوكول جنيف الصادر في 17 حزيران سنة 1925 عن استخدام الغازات السامة، ولم يكن غريباً لدي أو شيئاً لا يصدق عندما عدت اقرأ في الأنباء الأخيرة أن الأميركيين لا يزالون يستخدمون مثل هذه الغازات للقضاء على بطولة الشعب الفيتنامي التي أصبحت من الرسوخ والقوة بحيث لا يؤثر فيها ثوى المستعمرين والرأسماليين العالميين مهما بلغت.

الحضارات. يُعدّ الزرنيخ من العناصر السامة، ولا يعرف له دورٌ حيويٌّ بالنسبة للبشر؛ وهو يوجد بآثارٍ ضئيلةٍ طبيعياً في الجسم. تؤدي زيادة التركيز من الزرنيخ اللاعضوية إلى التسمّم؛ حيث يقوم هذا العنصر بدورٍ مكثّرٍ ومطفرٍّ للكروموسومات (الصبغيات) في الجسم. الأرسين (أو ثلاثي هيدريد الزرنيخ)؛ مركب كيميائي له الصيغة ASH3، وهو غاز عديم اللون له رائحة تشبه رائحة الثوم. يعد غاز الأرسين من الغازات شديدة السمية، كما أنه قابل للاشتعال.

43- المقصود الجريدة المسائية اللندنية The Evening News، التي نُشرت سابقاً باسم The Evening News، كانت صحيفة مسائية نُشرت في لندن من عام 1881 إلى عام 1980، وعاودت الظهور لفترة وجيزة في عام 1987. وأصبحت تحظى بشعبية كبيرة تحت سيطرة الأخوين هارمسورث. حافظت لفترة طويلة على أكبر عملية بيع يومية لأي صحيفة مسائية في لندن. بعد النضالات المالية وانخفاض المبيعات، تم دمجها في النهاية مع منافستها منذ فترة طويلة إيفينغ ستاندرد في عام 1980. تم إحياء الصحيفة لمدة ثمانية أشهر في عام 1987. والجدير بالذكر أنه في عام 1960، كجزء من عملية الاستحواذ نفسها التي دمجت News Chronicle في Daily Mail، أدرجت Evening News صحيفة مسائية أخرى في لندن، The Star. لعدة سنوات، كانت الورقة المدمجة تسمى The Evening News and Star.

ولكننا على اقتناع تام أيضاً بأن هذه الغازات الخائفة التي يقصد منها تسميم جو الشعب المكافح بعناد ستطردها رياح الحرية والتقدم والانعتاق والبطولة إلى أوكار مطلقها والدافعين لهم، بحيث يشتد على خناقهم فلا يجدون منقذاً بعدها أخذت شعوب العالم المحبة للسلام تسد عليهم كل المنافذ، فيختنقون بما حاولوا أن يخنقوا به غيرهم. وكل جريمة ضد الإنسانية ستنتهي إن عاجلاً أو آجلاً يصاحبها فترديه لأن سيف عدالة التاريخ لا يرحم ولا ينبو، وأن حشجة الطفل المختنق في أحد ملاجئ الفيتنام تشكل حبات حادة توجه من كل صوب وناحية إلى القلب الاستعماري الشائخ النابض بكل شيء ما عدا الحياة والحنان والأمل وأي شيء سام، والشيء الذي يمكن تأكيده أن جميع ما يعطي لهذا القلب من جرائم وأعمال مخالفة للإنسانية والعدالة والحقوق الدولية، لن تنقذه من أن يتوقف في وقت قريب عن الخفقات مهما ظن أنه منتعش في وقت من الأوقات.



الوفد بين فريق من المناضلات الفياتناميات

زيارة متحف الثورة في هانوي

في اليوم التالي لوصولنا إلى هانوي أي بتاريخ أول تشرين الأول سنة 1965 قمنا بعد الظهر بزيارة متحف الثورة في هانوي، وتجولنا في مختلف ردهاته وأقسامه. وعندما وصلنا إليه رحب بنا مديره المناضل القديم "فان هونغ فون" وذكر لنا أن المتحف أنشيء في كانون الثاني سنة 1959 في بناية إدارة الجمارك الفرنسية القديمة، ثم رافقنا في زيارة المعروضات فيه وشارحاً لنا ما تمثله.

وهذا المتحف يمثل تمثيلاً رائعاً يكاد يكون حياً مراحل كفاح الشعب الفيتنامي ضد المستعمرين منذ عهد الفرنسيين إلى عهد اليابانيين إلى الأميركيين في الوقت الحاضر؛ وهذا الكفاح هو أهم ما يفتخر به الفيتنامي من تراث، لأن التراث القديم لا يزال محافظاً عليه في المعابد وما شابهها من الأبنية القديمة، وكلها يذكر بالكفاح ضد المعتدين، والمتحف لم يضم إلا ما يدل على آثار هذا الكفاح المرير حتى في العصور الغابرة، فقد عرضت مكتشفات هي عبارة عن جذوع أشجار وضعت في أحد الأنهار لرد هجمات المغول. لقد قيل لنا أن المغول الذين دوخوا العالم، وقفوا عاجزين أمام حدود قبائل الفيتنام، فلم يستطيعوا تجاوزها بالرغم من هجماتهم الضارية، لقد استطاع الفيتناميون أن يصمدوا أمام أكبر قوة عدوانية في القديم كما هم صامدون في الوقت الحاضر أمام أشرس قوة عدوانية في النصف الثاني من القرن العشرين.

وعرضت مكتشفات من القرن الحادي عشر هي عبارة عن أوان صينية تثبت العلاقة الوثيقة التي كانت قائمة بين سكان الفيتنام وبين جيرانهم في الشمال ذوي المدنية القديمة الصينيين، وتربط بين الشعبين ميزات متشابهة من اللغة -في شمال الفيتنام وجنوب الصين- والعادات واللباس والمأكّل، والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية والدينية. وأذكر أهم بعض ما استطعت تدوينه من معروضات في المتحف المذكور تعبر أصدق تعبير عما قاساه الشعب الفيتنامي من صعوبات في سبيل تحرره، فهناك كثير من الصور تمثل الاستعمار الفرنسي. وعُرضت وثائق من الاستغلال الذي فرضه الاستعمار الفرنسي: كاحتكار الخمر والأفيون، وقانون تنظيم البغاء، ومن الوثائق قانون يجبر كل فيتنامي بلغ الثامنة عشرة من عمره شراء الكحول بواسطة بطاقة حتى لو لم يكن من شاربي الكحول. وأظهرت بعض الرسوم أن الفرنسيين كانوا يضعون سلاسل صغيرة من الخشب في أعناق الأسرى.

وهناك وثائق عن مساهمة نائب رئيس الجمهورية في الفيتنام الديموقراطية بالثورة الروسية سنة 1919، ورسم أول سكرتير للحزب الشيوعي في الفيتنام، وقد قُتل تحت التعذيب سنة 1931 وعمره 27 سنة. وعُرضت آلة هاتف كان يستعملها الأنصار مصنوعة من الخشب. وعُرض مدفع فرنسي من صنع أميركي، كما عُرض نداء من أيزنهاور إلى الجنود الفرنسيين.

وتمثل صورة أخرى الجنرال كاستري⁴⁴ في الأسر، وبقايا ملجئه قبل أن يسقط في الأسر. وعُرِضت صورة كوخ فلاح فيتنامي وهو خال إلا من لوح الخشب للنوم، مقابل منزل أحد الأغنياء الفيتناميين وما فيه من دلائل النعيم والحبوحة.

وهناك رسوم ووثائق عن إقامة القواعد الأميركية في الفيتنام وعن وحشية المستعمرين الأميركيين، ففي سنة 1955 قبض على خمسة آلاف معتقل سياسي لم يبق منهم حياً سنة 1963 سوى خمسة، وقد تمكن هؤلاء الخمسة من الإفلات عند حصول الانقلاب. وعُرِضت مناظر زيارة جونسون إلى الفيتنام سنة 1961 وتحويل الكنائس إلى سجون، وعُرِضت رسوم لمكنمارا⁴⁵ مع القواد الأميركيين يضعون خطة غزو الفيتنام.

ومن المناظر المؤثرة رسوم تمثل إعدام الوطنيين، وتغطيسهم في الماء الغالي وإعدام فريق الكرة الطائرة، وقد قبض على أعضائه في الغابات وأعدموا، ومستشفى ومدرسة دمرهما الطيران الأميركي. وعُرِضت نماذج من الأفخاخ التي يستعملها الفيتناميون ضد الأميركيين، وبندقية مصنوعة من أنبوب ماء، وبندقية أسقطت إحدى الطائرات وقد كسرت خشبتها. وهناك رسوم تبين كيف كان الفرنسيون يجبرون السكان على شراء أعضاء الجسم البشري بعد قتل صاحبه، فإذا رفض المواطنون الفيتناميون ذلك أجبروهم على أكل هذه الأعضاء فإذا رفضوا قطعوا رقابهم وعلقوها، وعرضوا أعضاءهم للبيع.

ورأينا رسم أحد رجال الدين كان يفتخر قائلاً: إذا لم أقتل شيوعياً كل يوم فقدت قابليتي"، وقد قتل أحد الوطنيين ووضع جمجمته على مكتبه، وهذا الرجل يقيم اليوم في روما مديراً لمنزل اللاجئين الفيتناميين واسمه "تي أو" وكان أحد مرافقنا رقيقاً لصاحب الجمجمة وقد استطاع أن ينجو بأعجوبة، وقد قال لنا ونحن أمام صورة هذا الرجل المتلبس بالدين: "لو لم استطع الإفلات بأعجوبة، لربما كان يضم صورة جمجمتي أنا أيضاً". ورأينا صوراً ووثائق كثيرة سلمها بعض الجنود الفرنسيين، ومن بينها نداء من المسجونين كُتِب وُوقِع بالدم بتاريخ 10 تشرين الثاني سنة 1948. وفي إحدى المعارك أصيب أحد القادة بيده فقطعها وأكمل القتال وسترته معروضة مقطوعة الذراع -كما رأينا أسلحة فرنسية كثيرة من صنع أميركي، مما يدل على أن التعاون بين الاستعماريين بدأ منذ وقت طويل، وأن نية الأميركيين في العدوان على الفيتنام بدأ عندما كانت لا تزال السيطرة للفرنسيين هناك.

وهناك رسوم تمثل عودة الرئيس "هوشي منه" إلى الفيتنام سنة 1941 حيث أقام في إحدى المغاور واستخدمها كمسكن ومركز عمل ومكان اجتماع مع معاونيه، وقد سُمي الجبل هناك

44- جورج ارسترونغ كاستر كان كستر ضابطاً في الجيش الأمريكي وقائداً لسلاح الفرسان في الحرب الأهلية الأمريكية والحروب الهندية. أما اليوم فلا يذكر إلا مرتبطاً بالكارثة العسكرية في معركة لتل بيج هورن. التحق كاستر بالكلية العسكرية الأمريكية في 1858، ورغم تخرجه في المرتبة الأخيرة في صفه فإن اندلاع الحرب الأهلية جعلت القيادة تستدعي كاستر للخدمة بجيش الاتحاد. حاز كاستر على سمعة قوية أثناء الحرب الأهلية. فقد قاتل في الاشتباك الرئيسي الأول في معركة Bull Run الأولى. بعد الحرب الأهلية، أرسل كاستر إلى الغرب ليخوض الحروب الهندية، هزيمته الساحقة في معركته النهائية ألقت بظلالها على إنجازاته في الحرب الأهلية. هُزِم كاستر وقُتل في معركة لتل بيج هورن في 1876 في قتال ضد تحالف قبائل من سكان أمريكا الأصليين والتي أصبحت تعرف في التاريخ الأمريكي بـ "وقعة كستر الأخيرة".

45- روبرت سترايج مكنمارا هو مسؤول تنفيذي أمريكي ووزير الدفاع الثامن، خدم في المنصب من عام 1961 إلى 1968 في عهد الرئيسين جون كينيدي وليندون جونسون. لعب دوراً رئيسياً في تصعيد تدخل الولايات المتحدة في حرب فيتنام. فقد عمل على تصاعد عدد الجنود الأميركيين في الفيتنام الجنوبية بعد حادث خليج تونكين عام 1964. خشي مكنمارا وصانعو القرار الأميركيون الآخرون من أن يؤدي سقوط فيتنام الجنوبية في يد الشيوعيين إلى سقوط الحكومات الأخرى في المنطقة.

جبل "كارل ماركس" كما سُمي الينبوع القريب من المكان "نبح لينين"، وقد كتب "هوشي منه" في السجن بفرنسا بعض القصائد، إذ أنه من الشعراء الانطباعيين، ولم تلهه السياسة وأعمال الكفاح عن نظم الشعر، وكذلك فإن كثيرين من رجال السياسة الفيتناميين ينظمون الشعر أيضاً، أذكر منهم وزير التجارة الخارجية: رئيس الحقوقيين الفيتناميين.

وتدل الوثائق المعروضة في المتحف على أن مليونين من الفيتناميين ماتوا من الجوع زمن الفرنسيين واليابانيين، وفي 12 آب سنة 1945 بلغ الكفاح أعلى مراحل بانتصار "ديان بيان فو" واتفاقيات جنيف سنة 1954 ولا تزال مستمرة حتى الآن ولن تنتهي إلا بإخراج جميع المستعمرين من أراضي الفيتنام. وفي 19 آب سنة 1945 جرى احتلال مقر الحاكم الفرنسي العام، وأنا نعرفه جيداً لوقوعه تجاه الفندق الذي نزلنا فيه في هانوي وكنا نشاهده عند خروجنا ودخولنا من الفندق، وقد أصبح يرفرف عليه اليوم علم الشعب البطل.

وعند انتهاء جولتنا في المتحف، التي استمرت أكثر من ساعتين دُعينا لتناول الشاي كما هي العادة، وقد دوت في الكتاب الذهبي للمتحف الكلمة الآتية: "بعد زيارتنا لمتحف الثورة في هانوي عاصمة الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية وطوافنا في مختلف قاعاته لا يسعني إلا أن أقدر بإعجاب بطولة الشعب الفيتنامي وكفاحه منذ عشرات السنين كفاحاً دامياً ضد المستعمرين من فرنسيين ويابانيين وأميركيين، لقد أعطى هذا الشعب أمثلة في الكفاح البطولي وقدم من التضحيات المادية والبشرية ما لم يقدم مثله شعب آخر كفاح خلال مراحل طويلة من تاريخه ضد مختلف أنواع الاستعمار والمستعمرين وأسلحتهم وبرهن أن شعباً صغيراً ضعيفاً يستطيع بإيمانه الوطني ووعيه وإخلاصه يناضل ضد أقوى الدول للتخلص من نير الأجنبي ونفوذه، إن بساطة ما عُرض في المتحف لا يمنع من الاطلاع على مراحل كفاح الشعب الفيتنامي، وتشكل عنصر اتهام يشير بإصبع كبيرة إلى جرائم المستعمرين وعدوانهم".

ولقد أوحى لي هذه الزيارة مطلع قصيدة فكتبت الأبيات الآتية: "أشرق الفرج ولاحا وانتضى⁴⁶ الشعب السلاح * فسقى المستعمر الذل وألقاه جراحا * كم صغير أثخن الجبار دمعاً ونواحا * حي شعبنا لم يزل ينشر في الدنيا الكفاحا * ثقة أن نضال الشعب يجتاز الفلاحا". وهكذا كانت هذه الكلمات أول ما كُتب باللغة العربية في سجل المتحف الذهبي، وكم أتمنى ألا تكون آخر الكلمات العربية، لما يجمع بين الشعوب العربية والشعب الفيتنامي من علاقات أخوة وكفاح. وغادرنا المتحف بعدما شكرنا مديره على ما أتاحه لنا من الاطلاع على مراحل كفاح الشعب الفيتنامي.

المسرح الوطني في هانوي

وفي مساء حضرنا حفلة في المسرح الوطني في هانوي، وقد كانت القاعة غاصة بالسكان من جميع الطبقات والأعمار، بالرغم من الحر الشديد، حتى أننا اضطررنا إلى الاستعانة

46- انتضى السيف: أخرجه من غده

بمراوح يد صغيرة إلى جانب المراوح العديدة المعلقة في مختلف أنحاء القاعة. وكانت الحفلة عبارة عن أغانٍ ورقصات تمثل العدوان الاستعماري وبطولة الشعب في الكفاح ضده، وتثير روح النضال في إطار من الفن الرائع الذي يمثل مختلف مناطق البلاد، ومن المشاهد التي مثلت على المسرح تعاون الشعوب في العالم ضد الاستعمار، حيث كانت ثلاث فتيات يمثلن الشعوب الصفراء والسوداء والبيضاء، يقمن برقص إيقاعي مع شاب في ثياب سوداء يمثل وحشية الاستعمار وشيطانه، وقد انتصرن عليه في النهاية بتعاونهن. ومشاهد أخرى من الرقص تمثل كيف يهب الشعب متعاوناً بين بحارته وجنوده وفلاحيه ورجاله ونسائه لصد الغارات الجوية.

وانتهت الحفلة بمشهد مؤثر جداً حيث أن جندياً فيتنامياً من جنود الحكومة العميلة في الجنوب يترك بيته للالتحاق بفرقة فتودعه زوجته، ثم تأتي ابنتها وهي فتاة صغيرة في عمر الزهور تحمل باقة من الورد وتقومان معاً برقص إيقاعي على صوت موسيقى فيتنامية ساحرة، ويأتي ضابط أميركي برفقة جندي ودليل فيتناميين فيُعجب الأميركي بالزوجة، ولكن الدليل يُريه صورة الزوج في ثياب الجنود الجنوبيين؛ مشيراً إلى أنه من حلفاء الأميركيين، ولكن الضابط يرمي الصورة إلى الأرض ويكسرها، ويهاجم الزوجة يريد الاعتداء عليها، فتدافع عنها ابنتها الصغيرة، فيشهر مسدسه ويُطلق النار على الصغيرة فيرديها قتيلة، ويهاجم المرأة من جديد فإذا بالدليل يعود وفي يده فخ من أفخاخ الأنصار ويخبره أن الجندي الفيتنامي قد وقع في مثله، فيحاول الضابط الأميركي عند رؤيته الفخ الهرب مما يدل على الخوف الشديد لدى الأميركيين من مثل هذه الأفخاخ.

وفي هذه الأثناء يعود الزوج فتستقبله امرأته بالبكاء ثم تخبره ما كان من أمر الضابط، فيقع في الحيرة ويظهر التأثر على وجهه ويبدأ بالبكاء على ابنته القتيلة مع زوجته، وإذا بفرقة من الأنصار تقوم بالهجوم فيهرب الضابط الأميركي ويختفي في بيت الجندي، وعند ذهاب الأنصار يخرج من مخبئه ويظهر وجهاً لوجه مع الجندي الفيتنامي، وهنا يقع عراك بينهما يعود خلاله الأنصار ويعتقلون الأميركي ويأخذونه، ثم يجتمعون مع نساء القرية ورجالها حول الزوجين المفجوعين ويعزونهما، ويقررون جميعاً الثأر من الأميركيين، فيرمي الجندي الفيتنامي بندقيته وقبعته وشارته دليلاً على تخليه عن الجيش العميل وانضمامه إلى جيش التحرر الوطني. ويأخذ الجميع بالرقص الإيقاعي الذي يمثل تصميمهم على الكفاح ثم تأتي رئيسة فرقة الأنصار بعلم الثورة، فيرقصون حوله ويمثلون مشهد الكفاح ثم انتصار الثورة.

وما إن استدل الستار حتى اشتعلت القاعة بالتصفيق، وكان أعضاء الوفد أكثر المصفيقين حماسة، حتى أنني شخصياً، رغم تجلدي، لم استطع أن أمسح بعض دموع كانت تسيل تأثراً وأنا أتابع مشاهد هذا الفصل التمثيلي الفني الرائع، دموع كانت تسيل تمتزج بالعرق رغم الحركة الدائمة للمروحة اليدوية. وخرجنا من القاعة وقد ازددنا وثوقاً بنجاح قضية شعب حوّل كل شيء، حتى فنونه الجميلة ومتاحفه إلى خدمة قضية نضاله الكبرى، وارتفع بالفن من المبادل إلى دنيا غير غريبة عن الجو النضالي الذي يعيش فيه، فطبق بصدق وإيمان القاعدة القائلة: أن الفن يجب أن يكون في خدمة الشعب والمجتمع.

لقاء مع ممثلي جبهة الشعب الوطنية

في الأيام الأولى لوصولنا إلى الفيتنام كان من أولى لقاءتنا مع ممثلي الشعب الفيتنامي، لقاءنا مع جبهة الشعب الوطنية، ويشترك في هذه الجبهة الأحزاب الثلاثة الرئيسية الموجودة في جمهورية الفيتنام الديمقراطية: حزب العمل أي الحزب الشيوعي؛ وهو يمثل العمال والفلاحين، أكبر الأحزاب وأكثرها نشاطاً، وهو حزب الرئيس هوشي منه. والحزب الاشتراكي وهو يتألف في أكثريته من المثقفين والطلاب الجامعيين. والحزب الديمقراطي ويتألف في أكثريته من الرأسمالين الوطنيين الصغار والحرفيين والتجار، ويمتد نفوذ حزب العمل إلى جميع أنحاء البلاد وله فروع في كل مكان، على اعتبار أن الفيتنام بلاد زراعية، يُشكل فيعا الفلاحون الأكثرية الساحقة، وتضم الصناعة الناشئة عدداً لا يُستهان به من العمال، ازداد عددهم بعد الاستقلال بازدياد عدد المصانع، أما الحزب الاشتراكي فينحصر نشاطه بين المثقفين والطلاب وله نادٍ واسع في هانوي، ولذلك فإن نفوذه لا يتجاوز المدن الرئيسية، إلا قلة من المثقفين تعمل في الأرياف، والحزب الديمقراطي ينحصر أيضاً نشاطه في المدن ونفوذه قليل جداً خارجها. ولذلك فإن سكان الأرياف عندما يذكرون "الحزب" مجرداً، وكثيراً ما يفعلون، إنما يقصدون به حزب العمل.

وقد اكتسب حزب العمل بقيادة هوشي منه نفوذاً واسعاً بين جماهير الشعب الفيتنامي، حتى الذين يؤيدون الأحزاب الأخرى، لأنه كان الحزب الذي أعلن حرب التحرر وقادها، ولا يزال يقودها بنجاح، والشعب الفيتنامي مدين بقيادته بالنجاحات التي أحرزها ضد المستعمرين اليابانيين والفرنسيين، والتي يحرزها اليوم ضد المستعمرين الأميركيين. وقد أصبح اسم هوشي منه حبيباً للجميع ورمزاً للبطولة. وإلى جانب الأحزاب الثلاثة الكبيرة التي ذكرناها، يشترك في الجبهة ممثلون عن جميع المنظمات الاجتماعية والعلمية ومنها رابطة الحقوقيين الفيتناميين وكافة الهيئات الدينية والنسائية والطلابية، وهكذا تعتبر الجبهة مرآة صادقة لاتجاهات الشعب الفيتنامي، مما اكتسبها ثقة هذا الشعب، وأهلها لأن تقوده في نضاله بنجاح.

كان ذلك في الثالث من شهر تشرين الأول سنة 1965، وقد وصلنا إلى البناء الذي يقوم فيه مركز الجبهة صباحاً، فاستقبلنا أمين السر العام يحيط به الممثلون الآخرون، وبعد تناول الشاي والفواكه كما هو التقليد في الفيتنام، وتبادل كلمات الترحيب، بدأنا نستمع إلى ممثلي الشعب الفيتنامي يحدثوننا عن الواقع الذي يعيشه هذا الشعب في الوقت الحاضر.

بدأ الحديث الكاهن الكاثوليكي "تران غوانغ نغيم" راعي منطقة تقع على الحدود الفاصلة بين الشمال والجنوب، وبعدها عرض علينا الأعمال العدوانية التي يقوم بها الطيران الأميركي ضد الكنائس والمصلين والمؤمنين والمستشفيات، مما أوردته في مكان آخر، قال لنا: "ولكن مواطنينا مصممون على مقاومة المستعمرين الأميركيين، ونحن سعداء أن نذكر النتائج التي حصلنا عليها، استطعنا أن نحصل على إنتاج زراعي لم نبلغه منذ سنة 1954 بسبب الجهود الكبيرة التي بذلناها، إن كثيراً من الميداليات قد مُنحت للكاثوليك بسبب النشاط الذي أبدوه ضد الأميركيين وفي ميدان الإنتاج. إننا نحن الكاثوليك نحب السلام كجميع مواطنينا ولكن

الطريقة الوحيدة للحصول عليه كانت حمل السلاح ضد الأميركيين، وقد اتخذنا كشعار لنا: "حب الوطن والسلام والايمان بالله" وتحملنا الألام منذ أكثر من عشرين سنة، ونحن من منطقة قد أُصيب أكثر ما يكون بالقصف لا من الطائرات فحسب، بل من الأسطول الأميركي أيضاً، وقد تمكنا من إسقاط أكثر من ثلاثين طائرة في هذه المنطقة".

وأخذ الكلام بعده الكاهن البوذي "فيان تو": "إننا بوذيون ولكننا وطنيون قبل كل شيء ونحن نعتقد أننا لا نستطيع القيام بشعائرننا الدينية إلا في ظل الاستقلال، ولذلك فنحن مصممون على الدفاع عن قضية شعبنا، بوذا يقول لنا أن نكون انسانيين، ولكننا أمام جرائم المستعمرين لا يسعنا إلا الكفاح. وبعدها تحدث عن أعمال القصف قال: "ولهذا السبب فنحن الكهنة البوذيين مع رعايانا مصممون على التضامن مع سائر أفراد الشعب للقيام بالكفاح ضد الأميركيين، وندناقش يومياً عن أفضل الطرق للاشتراك في هذا الكفاح، وقد عقدنا اجتماعات واتخذنا مقررات أرسلناها إلى المراقبة، ولكن هذه اللجنة تبقى في أكثر الأحيان دون أن تقوم بأي عمل. لدي كثير من الأشياء لأقولها ولكن الوقت قصير فاسمحوا لي أن أطلب منكم رفع صوتكم لمساعدتنا إذ نحن بحاجة إلى مساعدة كافية من جميع الأصدقاء والمنظمات الأخرى لنتمكن من الانتصار".

وتحدث السيد "فان تونجيا" أمين السر الدائم للحزب الاشتراكي فقال: "إننا الآن في حرب حقيقية وفرضت علينا من قبل الأميركيين الذين بدأوا يتدخلون في شؤوننا منذ عشرين سنة على إثر عقد اتفاقيات جنيف. نحن نريد السلام ولكنهم لا يريدون السلام لنا، إنهم يريدون الحرب لهذا فإن أعضاء جميع الأحزاب وحتى المثقفين في حزبنا وغيره قد اضطروا إلى حمل السلاح لفرض السلام على المعتدين الأميركيين. بعد حصولنا على الاستقلال، أردنا بناء بلادنا ولكنهم بدأوا بالعدوان واستخدموا جميع الوسائل لإثارتنا مما لا يتصوره العقل، وارتكبوا جرائم كثيرة في الجنوب والشمال، وذبنا الوحيد في نظرهم؛ أننا نريد توحيد بلادنا بالطرق السلمية. ومنذ توقيع اتفاقيات جنيف وضعت أميركا خطة عدوانية على بلادنا في الشمال، والحكومة العميلة في الجنوب أطلقت في ذلك التاريخ كثيراً من التصريحات عن وجوب السير نحو الشمال، وقد أنشأ عملاء الاستعمار بمساعدة الأميركيين تسع فرق مسلحة أحسن تسليح لاجتياح الشمال، وإننا نقدر جيداً إخواننا في الجنوب لأنهم أوقفوا هذا الزحف، وهم يتحملون الآن أقسى أنواع الاضطهاد ومضطرون لكي يتمكنوا من العيش أن يثوروا ضد العدوان. لم يستطع إخواننا في الجنوب من تحمل الاعتداء والتدخل، فثاروا ولذلك بدأ الأميركيون "حربهم الخاصة" ضدهم كما يُسمى الأميركيون حربهم في مراحلها الأولى، ولكننا نحن الفيتناميين لا نخضع بسهولة، وكلما تقدمت الثورة هناك ضاعف الأميركيون عدوانهم".

وأخذ يتحدث عن أعمال القصف دون استثناء وتابع قائلاً: "... وفي ظروف كهذه لا يوجد لدينا من حل آخر سوى حمل السلاح، وفي الوقت الذي يتقدم به المسؤولون الأميركيون بما يسمونه مفاوضات السلام يعطون الأوامر بالقصف، فكيف يمكننا التصديق أن عندهم نية حسنة من وراء مقترحاتهم، إنهم يتحدثون عن تقسيم بلادنا إلى جزئين بينما يطلب السكان

في الجنوب والشمال توحيد البلاد. أرجوكم أن تقرؤوا قليلاً مقترحات جونسون وتحكموا عليها.. هل هي مخلصه؟ وهل إنها تؤدي إلى السلام حقيقي؟ وهل أنها تنص على تطبيق اتفاقيات جنيف؟ إذا درسنا جيداً هذه المقترحات رأينا أن جونسون والمسؤولون في البنتاغون بعيدون جداً عن اتفاقيات جنيف؛ إنهم يريدون هدنة فقط لاستعادة أنفاسهم وأنفاس عملائهم التي أنهكتها نجاحات إخواننا في الجنوب، فكيف تريدون بعد ذلك أن نقبل بهذه المقترحات".

وتحدث الدكتور "نغوين تان جي ترونغ" عضو اللجنة المركزية للحزب الديموقراطي وهو من الجنوب وكاثوليكي: "يتشدق الأميركيون بأنهم يقومون بالحرب ضد الشيوعيين ولكن الواقع يدل على أنهم لا يستهدفون الشيوعيين فقط بل جميع السكان. إن حزبنا يمثل القسم التقدمي من البرجوازية الوطنية وإن شعبنا بأجمعه يتحمل العدوان الأميركي، ولهذا السبب فإن الصناعيين والتجار يشتركون في الجبهة الشعبية ويقومون مع الشعب بالنضال ضد الأميركيين، لأنهم يقومون بحرب فناء. ثم ذكر عدة أمثلة عن أعمال القتل بالجملة التي يرتكبها المعتدون الأميركيون.. إنها حرب قتل بالجملة تلك التي يرتكبها المعتدون الأميركيون.. إنها حرب قتل بالجملة تثير الضمير البشري، ولهذا السبب فإن جميع السكان يشتركون فيها، حتى أن الصغار أنفسهم يشعرون بأنهم سيقتلون إذا لم يشتركوا بالحرب، وهم يساهمون فيها على قدر إمكانهم.

وتحدث أيضاً عن استخدام الغازات السامة، وذكر أن الشعب الفيتنامي يفرق بين الشعب وبين المستعمرين، وعندما يقع الطيارون أسرى في أيدينا نعاملهم معاملة حسنة وإنسانية أكثر مما نعامل أنفسنا، وكثيراً ما نكرم أنفسنا بعض الأشياء لنقدمها لهم، لأننا لا نعتبرهم أعداء لنا. ومع ذلك يتشدق جونسون ومكمناراً بأننا نقتل أسرى الحرب، لقد أيدت حكومتنا معاهدة جنيف لأسرى الحرب، وليس هنالك من حرب معلنة بيننا وبين الولايات المتحدة، ولذلك لا يمكن اعتبار الطيارين الذين يضربون بلادنا أسرى حرب بل هم في نظر القانون الدولي "مجرمو حرب" ولكننا عندما نعتقلهم نعاملهم كأسرى حرب.

إن جميع شعبنا متحد في ظل الجبهة الشعبية، متحد في ظل قيادة حزب العمل والرئيس هوشي منه، ونحن مصممون على القيام بالحرب حتى النهاية، ولا نصدق مناورات الأميركيين عن المفاوضات. إذا أرادوا المفاوضة فإن شروطنا هي الشروط الأربعة لحكومتنا، فالقضية ليست قضية دبلوماسية بل قضية حياة أو موت. وهذه الشروط مفهومة جيداً وتصل إلى أعماق شعبنا، ولهذا السبب فإن أحداً منا لا يقبل بما يخرج عن هذه النقاط الأربع. وفعلاً لقد فرض الشعب الفيتنامي بصموده الرائع رأيه على المترددين والذين كانوا يرون أن بإمكان المفاوضات حل قضية الفيتنام.

وفي النهاية تحدث السيد "تران هو دويت" أمين السر العام لجبهة الشعب الوطنية، فذكر بالمناورات التي يقوم بها المستعمرون الأميركيون بعرضهم المفاوضات، وعن الجرائم التي يرتكبها المعتدون. ثم قال: "بأي حق يُدخل الأميركيون جنودهم إلى جنوب الفيتنام، من يسمح للأميركيين باستخدام طائراتهم لضرب شمال الفيتنام الذي يؤلف بلاداً مستقلة سيدة تتمتع

بجميع شروط السيادة، لقد قال بعض أعضاء الوفد أنه يجب الاعتماد على النفس، ولكن الاعتماد على النفس يتطلب أيضاً مساعدة كافية من أصدقائنا. أما من جهتنا فنقول أن تصميم بلادنا على النضال يشكل تقليداً تاريخياً. لقد ناضلنا ضد المعتدين مهما كانوا منذ فجر التاريخ حتى اليوم. لقد قاومنا المغول أكبر قوة وحشية في التاريخ واستطعنا صدهم بينما كانوا يجتاحون مختلف مناطق العالم، فلاقوا في بلادنا هزيمتهم الأولى. وكذلك المستعمرين الأميركيين الذين يحسبون أنفسهم أضخم قوة في الوقت الحاضر لما يملكون من أسلحة ضخمة سيلاقون المصير نفسه، إنهم لم يتمكنوا من الانتصار على 14 مليون فييتنامي في الجنوب، فهل سينتصرون على 31 مليوناً بعدما مدّوا عدوانهم إلى الشمال؟ إن جميع مواطنينا على اختلاف أحزابهم وأديانهم ومعتقداتهم، إن جميع أفراد شعبنا موحدون في جبهة واحدة: جبهة الشعب الوطنية".

بعد انتهاء لقائنا مع ممثلي جبهة الشعب الوطنية، ودّعناهم لنذهب إلى لقاء مع ممثلي المثقفين والعلماء وأساتذة الجامعات، وقد زاد اقتناعنا بأن الشعب الفيتنامي بتصميمه العنيد وإرادته الحديدية، وعدم تراجعهم أمام أية تضحية سيحصل على النصر في النهاية ويسجل لكفاح الشعوب الصغيرة صفحة جديدة رائعة.

زيارة إحدى التعاونيات

ليست الفيتنام كلها بنادق وخنادق وشاشات ومدافع، وليس كل شيء فيها خاضعاً لظروف الحرب والقتال، فإلى جانب فرق الجيش يوجد الفلاحون، الذين يعملون في الخدمات المدنية في المعمل والأرض والمكاتب، دون أن ينسوا واجبهم في الكفاح ضد المعتدين، والتعرف إلى وجه الفيتنام الآخر لا يقل أهمية عن التعرف على الوجه الذي نقرأ عنه، الوجه المخضب البارود والنار والقنابل ولكنه المرتفع أبداً يابى الانخفاض. لقد أتيح لنا أن نتعرف إلى الحياة في إحدى التعاونيات الزراعية القريبة من هانوي العاصمة، فهانوي تقع ضمن حقول الأرز، فما أن تخرج من المدينة حتى تجد نفسك في الحقول المزروعة، حتى أن كثيراً من المظاهر تدل على ريفيتها، فغالباً ما نشاهد الفلاحين والفلاحات من سكان هانوي يحملون محاصيلهم أو الأضراس إليها، وفي الصباح تطالعك جماهيرهم، على الدراجات ذاهبين إلى الحقول للقيام بعملهم في الزراعة.

والتعاونية التي قمنا بزيارتها تبعد عشرة وبضعة كيلومترات عن هانوي ويجري الوصول إليها بواسطة طريق معبدة جعلتها الخنادق المحفورة والاستحكامات المرتفعة المصنوعة من التراب والحجارة إلى جانبها ضيقة جداً، تكاد تتسع لمرور سيارتين صغيرتين. وصلنا إليها بعد الأصيل بقليل، فاستقبلنا جمهور من الفلاحين في ساحة القرية ومعهم كثير من الأولاد، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى مركز التعاونية حيث يُعقد الاجتماعات وهو عبارة عن غرفة كبيرة حوت منضدة حولها الكراسي، فتحلقنا حولها مع رئيس التعاونية وممثلين وممثلات عن الشبيبة والفلاحين، وشيخ كبير بلحيته البيضاء، ثم قدم لنا الشاي والفواكه من التي تنتجها التعاونية وأهمها المانجا.

وبعد تبادل التحية التقليدية، شرح لنا الرئيس "لي" أوضاع التعاونية، التي تشبه جميع أوضاع الفلاحين في الفيتنام، قال: "إن تعاونيتنا تُدعى "ين دوين" في ناحية "ين سو" وهي تقع على بعد 12 كيلومتراً جنوبي هانوي وتتألف من 545 أسرة من 3182 شخصاً: بينهم 11117 كعمال رئيسيين و60 كعمال إضافيين لا يستطيعون القيام بأعمال كاملة، وليس بين هؤلاء العمال أولاد. وتتألف تعاونيتنا من 263 هكتاراً من الأراضي الصالحة للزراعة، و52 هكتاراً من المياه المتجمعة في بحيرات ومستنقعات، وتتألف إدارة التعاونية من 13 شخصاً بينهم خمسة أشخاص لمراقبة الإدارة، وعندنا تسع عشرة فرقة لزراعة الأشجار وإلى جانبها ثماني فرق مخصصة لسائر فروع التعاونية: كالنجارة وتربية الحيوانات، ويعمل الجميع أيضاً في زراعة الأرز.

وقبل ثورة سنة 1945 كان عندنا الأرض نفسها ولكن ثلثها كانا بتمليك كبار الملاكين والثلث الباقي كان موزعاً بين الفلاحين جميعهم، وهذا الثلث كان يضم المستنقعات والأراضي الرديئة التي لا تصلح للزراعة، وكان فلاحونا خلال ثمانية أشهر مضطرين للذهاب إلى خارج المنطقة للتفتيش عن عمل طول هذه المدة في القرية، إضافة إلى ذلك في سنة 1945 جاء اليابانيون الفاشيون إلى هنا ومنعوا الزراعة في خمسين هكتاراً كي يزرعوا القنب، ولهذا السبب مات كثير من أهل القرية جوعاً حتى أن أسراً بكاملها هلكت بسبب الجوع، وبعد ذلك وتحت قيادة "الحزب" ورئيسنا هوشي منه وبعد نجاح ثورة آب سنة 1945 وُزعت الأراضي على الفلاحين ومن ثم ارتفع مستوى الحياة شيئاً فشيئاً. ولكن بعد مدة بدأت المقاومة، فقد لبينا نداء هوشي منه وحزبنا وحكومتنا وحملنا السلاح للكفاح ضد المستعمرين وعمالئهم.

وفي أثناء المقاومة أقام المستعمرون وعمالئهم في قرينتنا أربعة مخافر لإخضاع أهاليها، وأطلقوا الرصاص علينا فقتلوا أربعين كان عدد منهم في المليشيا، ارتكبوا جريمة بشعة على شقيقتين كانا يعنيتان بأبيهما، فقد جاء المستعمرون وقادوها وقطعوا رأسيهما بعد قطع شفاههما. وأوقف جنود الاستعمار امرأتين وحاولوا اغتصابهما فلما قاومتا قتلوهما رمياً بالرصاص، وأمام مثل هذه البربرية اضطررنا إلى حمل السلاح ضد الاستعمار وأصبحنا نُلق الأضرار بالمخافر مما اضطر رجالنا إلى الرحيل بعد ثلاثة عشر يوماً، وكان بودهم الإقامة ثلاثة أشهر.

وعندئذ لجأ المستعمرون إلى خطة جديدة فحاولوا الاستعانة بعملاء من أهالي القرية، فكنا ننبهم ونحذرهم من هذا العمل، فإذا رفضوا كنا نعاقبهم. لقد أوقفوا الرفيق "كونغ" الحاضر هنا ونفوه إلى جزيرة في الجنوب، ولكن توقيفه لم يُضعف من نشاطنا بل بالعكس، كل الناس كانوا يحملون السلاح ضدهم وكنا نستعمل العصي والسكاكين، وفي النهار كنا "نقاتل" بالمحراث في الحقول، وقد احتفظنا بأحد المحارث كذكرى في متحف القرية، وحصل 29 شخصاً على ميداليات من الدرجة الأولى والثانية نتيجة للبطولة التي أظهروها، وأنا شخصياً تلقيت ميدالية من الدرجة الأولى، وكنت أقود فرقة من المليشيا.

وبعد اتفاقيات جنيف وحلول السلام في بلادنا انتقلنا إلى العمل التعاوني، ومن سنة 1954 إلى سنة 1958 ارتفع مستوى الحياة، ولكننا في هذه المرحلة لم نكن قد أنشأنا التعاونية بعد. فقررنا إنشاءها، لأننا أدركنا بأننا إذا أردنا تحسين مستوى حياتنا، فعلى العمل التعاوني، وفي سنة 1959 قمنا بتجربة إنشاء تعاونيتين، وفي سنة 1961 وبإذن من اللجنة الإدارية لمدينة هانوي جمعناهما في تعاونية واحدة، وبفضل هذه التعاونية ارتفعت إنتاجية العمل باستمرار، وفي سنة 1965 تمكنا على 51.60 كنتالاً⁴⁷ من الأرز في الهكتار الواحد، وكذلك ارتفعت الأجور: ففي سنة 1961 كانت أجره العامل 27.37 دونغ⁴⁸، وفي سنة 1964 أصبحت 45.53 دونغ، ومعدل الأجرة 11 دونغ في سنة 1961 أصبح 18.98 دونغ في سنة 1964 نسبة إلى عدد السكان.

قبل سنة 1945 لم يكن عندنا مدرسة، وكان عدد التلاميذ ستة هم أبناء الملاكين الكبار، وكان عليهم أن يذهبوا إلى مدارس القرى المجاورة، وعلى أثر نجاح ثورة سنة 1945 أخذنا نقاوم الأمية، وأنا نفسي كنت أمياً في ذلك الوقت، والآن في تعاونيتنا مدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية، وعندنا عشر حدائق للأطفال، وستة صفوف حضنة. وفي سنة 1962 توصلنا إلى القضاء على الأمية تماماً وقد تلقينا كثيراً من الجوائز بسبب جهودنا الثقافية.

قبل سنة 1945 لم يكن في بلدتنا أي مستوصف ولا أية ممرضة، وكان المرضى يتداون على الأساس القديم بالتعاونيد وغيرها، وفي الوقت الحاضر عندنا مستوصف ودار توليد وثلاث ممرضات وطبيين، وهما من أهالي القرية، وقد أرسلنا إلى الجامعة على نفقة التعاونية، قبل ثورة 1945 في ظل النظام القديم كان مرضانا يلجؤون إلى الصلاة للشفاء ولكن الحال تغيرت بعد تحقيق السلام وقد تخلصنا من الأوهام. سنة 1945 لم يكن عندنا بعض أوراق البامبو⁴⁹ نستعملها كفراش، ولم يكن عندنا من أغطية سوى أكياس قديمة من الخيش، أما الآن فإن 95% من أسرنا أصبحت تمتلك أغطية سميكة وجميعها تمتلك أغطية خفيفة. قبل سنة 1945 لم يكن في القرية سوى ست دراجات هوائية وأما الآن فيوجد 178 وفي بعض الأسر يوجد ثلاث دراجات. عندما يقول الفيتنامي دراجة، يكون كالأميركي الذي يقول سيارة، وقد لاحظنا أن مقام الدراجة في الفيتنام لا يقل عن مقام السيارة في بلدان أخرى. وتابع الرئيس يقول: في السابق لم يكن عندنا مجمع للمياه كنا نحمل المياه من المستنقعات، أما الآن فكل الأسر تملك خزناً للمياه، ولكل خمس أسر بئر للغسيل.

منذ آب سنة 1964 أراد الأميركيون توسيع عدوانهم إلى شمال البلاد، فلبينا النداء الجديد وحملنا السلاح ضد الأميركيين، وإننا واثقون من انتصارنا النهائي لأن نضالنا المشروع

47- غرسة أو شتلة

48- سنة 1946، حكومة فيتنام الشمالية أعلنت دونغ كعملة رسمية بدلا من العملة الهندية الصينية الفرنسية، وقد تم تقييم العملتين سنوات 1951 و1958 وكان معدل ارتفاع دونغ 1000.1. استخدمت الدونغ لأول مرة في جنوب فيتنام سنة 1953، وبعد سقوط سايفون في 22 ديسمبر 1975 أصبحت قيمة الدونغ مرتفعة ب 500 مرة عن العملة القديمة. بعد اتحاد شطري فيتنام في 3 مايو 1978، أصبح الدونغ العملة الرسمي رغم التضخم المالي المزمع الذي واجهته فيتنام في بداية التسعينيات. الدونغ هي عملة فيتنام تصدر من مصرف فيتنام وتساوي 10 هاو رغم أن الهاو لم يعد يصدر كثيرا مؤخرا وانخفضت قيمته كثيرا.

49- الخيزران بالإنجليزية Bamboo هو اسم لأكثر من ألف نوع من أنواع الأعشاب العملاقة ذات جذوع شبه خشبية. وأغلب أنواع الخيزران هي ذات جذوع مجوفة ومقسمة إلى عقد أو مفاصل، وقد استخدم الصينيين سيقان نبات الخيزران (البامبو) المجوفة في صناعة الورق منذ ألفي عام. كما يستخدم الخيزران في صناعة بعض قطع الأثاث المنزلي العملية. وكانت تُصنع من لأوراقه البُسُط التي ينام عليها الفلاحون الفقراء.

حائز على تأييد شعوب افريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية وجميع شعوب العالم وبسبب تضامن شعبنا ووحدته. وبناءً على بعض الأسئلة أوضح الرئيس أن لأعضاء التعاونية 5% من الأرض موزعة بينهم للزراعة الشخصية، بنسبة عدد أشخاص كل أسرة، بحيث يصيب كل فرد من السكان 54 متراً مربعاً من الأراضي الصالحة للزراعة إلا أن ملاكي هذه الأرض لا يستطيعون التصرف بها كبيعها أو نقلها (نقل الملكية أو التأجير)، وإنما يستخدمونها لزراعتهم الخاصة. بالرغم من أن الاشتراك اختياري في التعاونية فإن جميع السكان مشتركون فيها.

وبعدما انتهى الرئيس من كلامه، تحدث عدد من الحضور عن بعض نواحي التعاونية، ثم خرجنا لنقوم بجولة في التعاونية، وكانت الشمس قد قاربت على المغيب، فأخذت ظلال الأشجار وبيوت التعاونية وحقول الأرز تُلقِي في الحقول والمستنقعات خيالات وأشباحاً هي في الفيتنام نسيج وحدها. ودخلنا إلى إحدى بيوت التعاونية فاستقبلنا سكانه بالترحاب وهم عبارة عن والدين وابن وابنة شابة، والبيت عبارة عن غرفة كبيرة وُضِع في أحد زواياها سرير متسع من الخشب، كما رأينا أمام البيت وفي مكان متوسط مع المنازل الأخرى بئر الماء الذي نُوّه عنه رئيس التعاونية، بالرغم من بساطة الأثاث فقد كان نظيفاً.

وانتقلنا بعد ذلك إلى متحف القرية، وهو في ساحة التعاونية، ويتألف من غرفة جُعِلت على جدرانها رسوم ولوائح تُمثل نضال أهل القرية وشهداءها وتطور الحياة فيها، كما عُرضت أيضاً بقايا أكياس من الخيش وثياب وأثاث تُمثل الفقر المدقع الذي كان يعيش فيه السكان قبل سنة 1945، وقد هنا رئيس التعاونية على إنشاء مثل هذا المتحف، مما يجعل الزائر يُكوّن فكرة صحيحة عن تطور القرية، وحذا لو أُتيح ذلك في جميع المدن والقرى لا في الفيتنام وحدها، بل في جميع أنحاء العالم.

وخرجنا من المتحف لنتجول بين بيوت القرية، على طرق ضيقة، تتعرج بين المستنقعات المحيطة بالبيوت، ولا تخلو منها بقعة، وفي بعضها يسبح الأولاد ويغتسلون مع طيور البط ونقيق الضفادع، مما يُؤلف منظرًا طبيعيًا وسمفونية خاصة لا تعثر عليهما في غير الفيتنام. وتنتشر هنا وهناك بين البيوت: طيور الدجاج وقد أخذت تتراكم نحو أفتانها لتبيت مع غروب الشمس كما هي عادت في كل مكان. وحول المنازل رأينا بعض المزروعات والحيوانات والطيور الخاصة التي هي مُلك لأصحابها، يتصرفون بها كما يشاءون. وعند وصولنا إلى تخوم القرية، امتدت أمامنا حقول الأرز الخضراء، تتزاحم نجومها ويتكئ بعضها على بعض عند هبة كل نسيم، ويُبشر طولها وكثافتها بموسم جيد. وقد كان المزارعون ينتظرون هطول أمطار غزيرة ليتحسن الموسم ويزيد الإنتاج، إلا أن هذه الأمطار لم تسقط إلا عند مغادرتنا لهانوي، بعد انتهاء زيارتنا، مما جعلني أودعها وأنا أفكر بأبناء التعاونية، وبالخصب الذي تحمله هذه الأمطار.

وقفنا نُمتع النظر بهذا المنظر الأخضر، وقد أَلقت عليه أشعة شمس المغيب الباهتة وشاحاً مخملياً رائعاً، أنسانا إلى فترة ما أننا موجودون على أرض المعركة الكبيرة المحترمة بين

الاستعمار الجشع المتكالب والشعب المناضل المحب للسلام. وإنني إذا كنت أتأمل ما تقدمه لنا الطبيعة من خيرات ومناظر خلابة وموسيقى ناعمة يرتفع جرسها كلما تبادت الشمس تواريا في خدرها، وما يستطيع الانسان أن يفعل بكده ونشاطه وعبقريته، شعرت بالاحتقار والحق على الأيدي الملوثة المجرمة التي تريد أن تحرمه من التمتع بهذه الخيرات، والعيش بسلاك في حضن الطبيعة الرؤوم.

وسبحت في تخيلات وتخيلات، والجو لذلك ملائم، إلى أن أخرجني منها صوت الدليل، يعلن أن الوقت قد حان للعودة، فركبنا السيارات وودعنا مستقبلنا من أهل التعاونية، وذكرى زيارتها ستبقى منطبعة في المخيلة إلى المدى البعيد، وأنا على اعتقاد تام بأن نضال "المحراث" لا يقل أهمية عن نضال "السيف". لقد حملنا معنا من الفيتنام البطلة ذكريات عن بطولة الفلاح في أرضه، مثلما حملنا ذكريات عن بطولته في أرض المعركة. وبهذه البطولة التي لا تتزعزع سينتصر، وستصفق لانتصاره الشعوب وتفرح من أعماق قلوبها.

معمل الميكانيك: "كران هونغ داو"

في خلال زيارتنا للفيتنام أتيح لنا أن نزور معلمين: المعمل الأول للميكانيك والمعمل الآخر للنسيج، زرنا الأول في أول أيام وصولنا والأخر قبل مغادرتنا مباشرة. ومعمل الميكانيك يقع وسط هانوي، وتاريخه مرتبط بتاريخ نضال الشعب الفيتنامي ضد الاستعمار ابتداء من سنة 1945 ويحمل اسم أحد الأبطال الفيتناميين المعروفين تاريخياً "كران هونغ داو"، وقد أنشئ المعمل سنة 1946 في الأدغال، وكان مقتصراً على صنع الحربات والآلات البدائية، ثم بدأ يتطور وينمو مع نمو ثورة الشعب، حتى أصبح في الوقت الحاضر عبارة عن ورشة كبيرة فيها الآلات الضخمة وآلات الخراطة وغيرها. ويضم آلاف العمال من أبناء الجنوب والشمال، لا فرق.

وقد أقيم المعمل في مكان كان الفرنسيون قد أعدوه سجناً يحبسون فيه من يقبضون عليه من الوطنيين، ولا تزال الأبواب والشبابيك الحديدية الظاهرة تدل على ذلك. إلا أن يد الانسان البطل حولته من مكان للاضطهاد والظلم إلى مكان للإنتاج والعمل، وتحويل سجون المستعمرين، التي كانوا يزجون فيها بالوطنيين إلى مصانع يلحق ضربة مزدوجة بالاستعمار، إذ لا يكتفي أن يتحرر الشعب المستعبد سياسياً بل يجب أن يتحرر أيضاً اقتصادياً، وإلا فإن الاستعمار يحافظ على سيطرته بشكل جديد.

وصلنا إلى المعمل عند الساعة التاسعة والنصف تقريباً في الثاني من شهر تشرين الأول سنة 1965، وكان في استقبالنا المدير وأمين سر الفرقة الحزبية وقائد المليشيا، وغيرهم من ممثلي عمال المعمل والعمال الجنوبيين الذين يعملون بعدد كبير فيه، وقد جلسنا على مائدة كبيرة في إحدى غرف الإدارة، عليها طبعاً الشاي والفواكه والحلويات، وقد روى لنا المدير تاريخ هذا المعمل منذ إنشائه حتى تاريخه الحديث، كما حدثنا الحاضرون عن ذكرياتهم ومواقفهم ومواقف العمال النضالية، وأكثر ما استرعى انتباهنا حديث المواطنين الجنوبيين الذين يشتغلون في المعمل.

ومما قاله لنا المدير أن عدم الترتيب الموجود في المعمل يعود إلى العدوان الأميركي حيث تجدون كثيراً من الملاجئ، وهو يحمل اسم أحد الأبطال الوطنيين وقد حملنا اسم هذا البطل لا لنخلد ذكره فقط، بل أيضاً لنتشجع في الإنتاج، لقد كافح هذا البطل ضد المغول الذين استطاعوا غزو أوروبا ولكنهم عجزوا في الفيتنام. لقد انتصر هذا البطل بسبب تضامن الشعب والمقاومة المستمرة وقد وضعنا أمامنا شعار كفاية أنفسنا بأنفسنا.

في سنة 1946 عندما حاول الفرنسيون إعادة سيطرتهم على البلاد قامت اللجنة المركزية للحزب بإنشاء معامل للأسلحة تساعد على الإنتاج للمقاومة. ولم نستطع في ذلك الوقت أن نجد سوى سبعة أو ثمانية عمال وبعض الآلات الصغيرة، وقد حصلنا عليها من بعض المصانع الفردية. وفي الأيام الأولى من المقاومة بدأنا بإنشاء المعمل وقد كان البدء صعباً لعدم تمكننا من استعمال الآلات، وبسبب الضغط الاستعماري كنا نعمل في ظروف صعبة وكثيراً ما كانت الآلات تفقد على الطريق. وقد بدأنا العمل في الغابات وكان على عمالنا أن يعملوا في الإنتاج والزراعة للحصول على الأغذية وعلى تركيب الآلات، وكنا ننتج في بادئ الأمر الأسلحة البدائية، وأول قنابل انتجناها لم تكن تنفجر وإذا انفجرت لم تكن تنتج أي مفعول. ثم أخذت التجربة تساعدنا على التقدم وقد أنشئت معامل في مناطق أخرى.

وفي سنة 1949-1950 أخذت معاملنا تنتج إلى جانب الأسلحة آلات لحرارة الأرض حتى أننا أصبحنا ننتج آلات للري ومعامل لإنتاج ورق الطباعة. وقد استعملنا أول طباعة لطبع أوراق النقود. وفي سنة 1953-1954 اتسعت شيئاً فشيئاً المناطق المحررة وزاد إنتاجنا كمية ونوعية وأصبحنا ننتج أدوات الاستعمال المنزلي، وقد كان علينا أن ننتج حتى الأدوات الأولية لسكان المنطقة الشمالية الغربية (كالسكاكين والمعاول). وعند معركة "ديان بيان فو" قررنا نقل معاملنا إلى المنطقة الوسطى بدلاً من الغابات، وعند انتهاء البناء المخصص للعمل وردنا خبر الانتصار فقررنا نقل المعمل إلى هانوي حيث وصلنا إليها في آخر سنة 1954 والبناء الذي تجدونه هنا هو معمل لإنشاء الكبريت وقد حوله الفرنسيون إلى سجن ولا تزال آثار السجن ظاهرة حتى الآن. وقد أضفنا إليه إنشاءات ونحن الآن في صدد إنشاءات جديدة.

وعند رجوعنا إلى هانوي حملنا معنا كثيراً من الأدوات حتى الأدوات التي استعملناها في الأيام الأولى. وإلى جانب هذه الأدوات استطعنا الحصول على أدوات حديثة كلها من صنعنا. وفي سنة 1960 حولنا المعمل إلى إنتاج "محركات" الديزل وقطع السيارات بناء على قرار حكومتنا. وإنتاجنا يقوم لشكل أساسي على إنتاج محركات ديزل بقوة 20 حصاناً. تُستعمل في الزراعة. كان عمالنا في الأساس متخصصين في إصلاح الآلات ولكنهم مع الوقت اكتسبوا خبرة واختصاصاً. وعدد العمال 1500 في الوقت الحاضر ولم يكن عددهم في البدء سوى 7 أو 8 ونستطيع كل سنة إنهاء البرنامج وقد حصلنا على عشر ميداليات من الحكومة. إننا نطبق شعار الحكومة والحزب في الوقت الحاضر: "الإنتاج والحرب: في اليد المطرقة وفي اليد الأخرى البندقية" وعلينا في الوقت الحاضر مواصلة الإنتاج مهما كانت الظروف ونحن نفهم أنه علينا أن نقاوم مستعمرًا قاسياً هو الاستعمار الأميركي. وقد تلقينا مساعدة إخوان لنا

في البلدان الأخرى، ولكننا نعرف أنه علينا أن نعتمد على أنفسنا، علينا أن نضاعف الإنتاج لأننا كلما كفيينا الانسان استطاع أن يقوم بمهمته في الكفاح. ونحن نقوم بالمباراة (المنافسة أو المسابقة) مع معامل أخرى وخاصة معامل تقع في المنطقة الرابعة. لقد وضعنا أمام عمالنا وعاملاتنا مهمات ثلاثة موضوعة أمام جميع الفيتناميين: -
- الشباب مستعدون للدخول إلى الجيش للقيام بكل عمل يكلفون به من قبل الحكومة.
- ومستعدون للذهاب إلى كل مكان في الفيتنام.
- والشابات مستعدات للحلول مكان الشباب إذا ما دُعوا إلى مكان آخر.

وقد أظهر 100% من الشباب رغبتهم في الالتحاق بالحرب وتتعلم الشباب، عدا أعمالهن، الأعمال الأخرى ليتمكن من الحلول مكان الفتيان. ولتنظيم الدفاع يوجد عندنا فرقة المليشيا ولها قائد ولها مفوض، ومن ناحية التدريب العسكري، فإننا نتدرب على مقاومة الطائرات بشكل خاص حتى أن 80% قد حازوا على لقب (رام جيد)، وكذلك فإن الشباب يُحسن إطلاق الرصاص، وأن شاباتنا حُزن الدرجة الثانية في النزول بالمظلة على مستوى هانوي.

إن الأميركيين يأتون زاعمين أنهم محررون وهم في الواقع معتدون. ويقومون بالغارات على بلادنا. إنهم يريدون المفاوضة بدون قيد ولا شرط ولكنهم في الواقع يفرضون أقصى الشروط: البقاء في بلادنا. وفي الوقت الحاضر يذيقهم شعب الفيتنام في الجنوب أقصى الخسائر. يقولون بالمفاوضات ولكنهم لا يعترفون بجهة التحرر الوطنية. إنهم يقومون بالعدوان ويزعمون أن الشمال يقوم بالعدوان. إن طبيعة نضالنا تقوم على أننا لا نستطيع تحمل النير الأميركي. وإذا استمر الأميركيون في عدوانهم فإن لا شيء يمنع أصدقاءنا وخاصة الاتحاد السوفياتي والصين من مساعدتنا ماديا. وكما تعرفون فإن الحكومة والحزب في الصين والاتحاد السوفياتي وغيرهما من البلدان أعلنوا أنهم لن يتركوا بلادنا تقع في قبضة المستعمرين، وكذلك الشعوب الصديقة في افريقيا وأميركا اللاتينية مستعدة لإرسال الأسلحة والمتطوعين. إننا أقوىاء أيضاً بالمساعدات التي قدمها لنا العمال في جميع أنحاء العالم، وأن كثيراً من الشعب الأميركي معنا وفي أميركا حركة احتجاج ضد العدوان الأميركي.

إن الغارات الأميركية تدفعنا إلى زيادة الإنتاج ولكننا نضطر إلى تخصيص فرقة دائمة للمراقبة مما يتطلب منا زيادة في الجهد كان يمكن أن نصرفه في الإنتاج. أما صعوبة النقل فقد تعودنا عليها فإذا لم نستطع إيصال إنتاجنا بواسطة السيارات نقلناه بواسطة ظهور الرجال. وقد استعملنا هذه الطريقة في "ديان بيان فو". والطلب على إنتاجنا قد زاد، والذين اشتركوا في الحرب الأولى عديدون عندنا، ومنهم سكرتير فرقة الحزب الذي قام بالنضال في منطقة هانوي المحتلة، وهناك عمال اشتركوا في معركة "ديان بيان فو" منهم قائد المليشيا ومساعد المدير، وكذلك العديدون من الجنوب وهم منذ عشر سنوات محرومون من رؤية بلادهم، وهم مستعدون لتلبية نداء جبهة التحرر الوطنية، وهناك عديدون يشتركون في الجيش، وقد حاز أحدهم على ميدالية، فإن الجميع مدعوون للخدمة العسكرية ومنهم التقنيون، وفي العمل 50 مهندساً.

أجرة العمال الشهرية المتوسطة 60 دونغ يصرفون منها 20 للغذاء، وفي محاولتنا تطبيق مبدأ العمل والقتال لم نتمكن من رفع مستوى الحياة ولكن ظروف الحياة تحسنت بالنسبة إلى عهد المقاومة وفي أول عهد الاستقلال، وفي أثناء المقاومة لم تتمكن الحكومة أن تدفع لنا أجرة نقدية بل أغذية، وأحياناً لم نتمكن من الحصول على هذه المواد، وكان علينا أن ندبر الأمر بأنفسنا وأن عمالنا وشعبنا مستعدون لتحمل التضحيات في سبيل الانتصار وأنا نتحدى الأميركيين في ذلك، وبدلاً من الأرز فإننا مستعدون لأكل البطاطا وأن نمشي على أرجلنا إذا لزم الأمر. فالجنود الأميركيون جنود مرفهون حتى أن أسطولهم التجاري لا يكفي لتموين جنودهم. وساعات العمل عندنا نُظمت حسب الظروف الحالية وهي تختلف من معمل لآخر ومن منطقة إلى أخرى.

وقال لنا سكرتير فرقة الحزب: خلال عشر سنوات قام الأميركيون بأكثر من 60 ألف غارة وقتلوا 170 ألفاً وعذبوا 800 ألف واعتقلوا 400 ألف شخص ودفنوا 5000 شخص وهم أحياء ووضعوا 5 ملايين شخص في القرى الاستراتيجية رغماً عن إرادتهم، واستعملوا الغازات السامة لقتل الناس والحيوانات والأشجار وخرّبوا 100 ألف هيكتار من الأرض، وذكرت الصحف الأميركية أن الطائرات الأميركية قامت 226 ألف غارة وألقت 10 ملايين قذيفة و6500 طن من القنابل كل شهر، واعترف جونسون ورئيس أركان المشاة أنهم قتلوا 75 ألفاً بالغايات الجوية (جنوب الفيتنام)، ونحن نعتقد أنه لن يمر الزمن على جرائم الحرب التي تقوم بها الأميركيون في الجنوب، وقد قاموا مرات عديدة بغاراتهم على بلادنا، ولكنهم نالوا عقابهم، وقد اسقطنا 600 طائرة ومئات الطيارين قُبض عليهم، وقد قَدّم عمالنا أكثر من 900 طلب للاشتراك في الحرب، في انتظار ذلك فهم يقومون بالإنتاج على أحسن ما يكون، وقد ذهب كثير منا، أما الباقون فهم ينتجون ويتدربون على القتال.

وقالت إحدى مواطنات الجنوب، وتُدعى "توربا" وعمرها 35 سنة من منطقة "في لإن": أنا مواطنة من الجنوب، مقيمة في الشمال منذ عشر سنوات، وأسرتي جميعها في الجنوب، إن الأميركيين متوحشون إلى آخر درجة فهم يغتصبون نساءنا ويعذبون رجالنا، وهم يضعون الناس في مراجل مملوءة بالزيت الغالي. وتجمع الحكومة العميلة مئات الفتيات لتحويلهن إلى بغايا للترفيه عن الأميركيين، وهناك جرائم أخرى كاستعمال قنابل النابالم التي تقتل المئات من إخواني. نحن النساء لطيفات ولكننا مستعدات لتلبية نداء جبهة التحرر، وإن مساعدة قائد الجيش في الجنوب امرأة. في الوقت الحاضر (ملاحظة من المدير) إن كثيرات من اخواتنا في الجنوب قد أصبحن عاجزات عن العمل بسبب التعذيب. وتابعت "توربا": وإنني أتوجه بتحية إلى نساء بلادكم إننا مصمّات معهن على شل يد الاستعمار الأمريكي. وتعمل "توربا" في القسم المالي وقد درست سبع سنوات واشتركت في المقاومة منذ 1946.

روى لنا أحدهم "لي فان أمانغ" أن زوجته وجميع أسرته لا يزالون في منطقتهم بالجنوب حيث يوجد قاعدة أميركية، وأنه بعيد عنهم منذ عشرين سنة لم يرههم منذ ذلك الحين، فبعد اتفاقيات جنيف، وتنفيذاً لها تجمع الجنوبيون في الشمال مع جميع أسلحتهم بأمل العودة، على أساس أن الاتفاقيات تنص على إعادة توحيد البلاد ولكن الأميركيين، وفور التوقيع عليها تدخلوا

مباشرة في الجنوب وأقاموا حكومة عملاء، وقال: "وأنا شخصياً محروم من السعادة العائلية منذ عشرين سنة، ومن الطبيعي أن أتمنى كل إنسان العيش بين أسرته وأولاده، ولكن الاستعمار الأميركي الذي يريد السيطرة على بلادنا يحرمنا من تحقيق هذا الحلم، وكلما تذكرنا ذلك تأثرنا وثرنا. وعندما نفكر برفاقنا في الجنوب نضاعف جهدنا لزيادة الإنتاج بانتظار أن نتلقى نداء من جبهة التحرير في الجنوب لنلبي هذا النداء ونحمل السلاح مثلما يحملونه لأننا نعتبر ذلك شرفاً لنا وواجباً". وعرفنا أن هذا المواطن كان عاملاً بسيطاً ولكنه درس واجتهد حتى أصبح مهندساً ميكانيكياً وهو الآن يدير أحد أقسام المعمل، وسيحصل على شهادة الهندسة هذه السنة.

وتحدث "نغوين تونغ" وقد أنهى دراسته الثانوية وعمره 37 سنة وهو من المقاطعة التي جرت فيها معركة "بيونغ" حيث قتل 600 من رجال البحارة الأميركيين، ويعمل الآن في قسم الآلات الكهربائية، فقال أنه اشترك في المقاومة الأولى خلال تسع سنوات وبعد اتفاقيات جنيف جاء الشمال للمساهمة في البناء الاشتراكي، وقد انتظر بفارغ الصبر توحيد البلاد ليعود إلى موطنه وأهله، ولكن الأميركيين يمنعون توحيد البلاد مما جعله منذ عشر سنوات محروماً من أي اتصال مع أهله وزوجته وأولاده، الذين ظلوا في الجنوب وبلهجة متأثرة قال: "أنا لا أعرف إذا كانوا لا يزالون أحياء أم أصبحوا أمواتاً. منذ عشر سنوات، أنا في الشمال مع جميع رفاقي أساهم في الإنتاج، ولكنني في كل وقت مستعد لتلبية نداء جبهة التحرير للعودة إلى الجنوب والاشترك في المعركة ضد المعتدين الأميركيين وتخليص بلادي، وبذلك أستطيع العودة إلى أهلي ومنزلي وأسرتي. كيف لا أبغض المستعمرين الأميركيين وأنا أسمع في الإذاعة وأقرأ في الصحف، وأتلقى رسائل من بعض رفاقي في الجنوب، وكلها تتحدث عن وحشيتهم ووحشية عملائهم، فهم مثلاً يقبضون على الناس ويضعونهم في أقفاص ثم يرمونهم في البحر. وكما تعرفون فقد ارتكبوا أبشع جريمة باستعمالهم الغازات السامة لقتل الحيوان والنبات وتسميم الإنسان. إن بغضي عميق للمستعمرين الأميركيين، وسأحاول أن أعبّر عن هذا الحقد بالأعمال. لذلك فقد تابعت دروسي الثانوية وقمت بدراسة تقنية، ليلاً نهاراً أجرب أن أقوم بنصبي في الإنتاج.

وبعدما استمعنا إلى حديث عدد من المشتغلين في المعمل، تجولنا في ورشه المختلفة فشاهدنا إلى جانب الآلات البدائية التي كانت تُستعمل في البدء كالحراب، وآلة الطباعة البسيطة، آلات وأدوات وقطعاً حديثة ومخارط عصرية، وقد أخبرنا المدير أن المعمل ينتج جميع قطع الغيار للسيارات والمحركات. وعرفنا أن في المعمل فرقة خاصة للمليشيا، مسلحة ومدربة ومستعدة للطوارئ، ومثل هذه الفرق موجودة في كل مكان وفي كل مشروع، وفعلاً شاهدنا العمال والعاملات يشتغلون على الآلات وإلى جانبهم البنادق المحشوة الجاهزة للإطلاق. وشاهدنا النساء يعملن بنسبة تكاد تكون مساوية للرجال، ففي الفيتنام تحققت المساواة التامة بين المرأة والرجل، ففي العمل مثلاً لا فرق بينهما إطلاقاً، كما شاهدنا العمال يقومون ببناء أقسام جديدة للمعمل، إنهم واثقون من النصر، ولذلك فهم يستمرون في البناء كما يستمرون في القتال.

وبعدما قمنا بجولة واسعة في المعمل، وتحدثنا مع العمال والعاملات أعلنت صفارة المعمل حلول وقت الغداء، فتجمع العمال في غرفة المائدة لتناول طعامهم، فدفعتني حب الاستطلاع إلى إلقاء نظرة على الطعام العادي للفييتناميين، فإذا هو مؤلف من كمية من الأرز المطبوخ مع شرائح من اللحم أو السمك، والمعروف أن سكان تلك المناطق ليسوا كثيري الأكل، نظراً لتكوينهم الجسدي وطبيعة بلادهم، ومع ذلك لا تظهر عليهم دلائل الشيخوخة باكراً كما تظهر على سكان أوروبا مثلاً، بل يحافظ الواحد منهم على مظهره الشاب ورشاقتة إلى سن متأخرة.

ثم عدنا مرة أخرى إلى غرفة الاجتماع لنودع مدير المعمل ومعاونيه فشكرناهم على هذه الحفاوة التي قابلونا بها، كما أبدينا تقديرنا لما يبذله كل واحد من مجهود سواء في ساحة القتال أو في ميدان الإنتاج. ولا أزال أذكر من كلمات المدير الأخيرة: إننا نعتزف بالجميل للاتحاد السوفياتي والصين الشعبية وشعوب افريقيا وأميركا اللاتينية، إننا فقراء ولكن إخواننا أغنياء، ولو كان عندنا أسلحة أكثر حداثة لكننا تمكنا من إلحاق أضرار أكثر بالأميركيين الذين يظنون خطأ أننا نجهل التقنية الحربية.

معمل 8 آذار للنسيج

وفي الزيارة الثانية كانت لمعمل النسيج، الذي يحمل اسم "8 آذار" وقد زرناه في الثامن من شهر تشرين الأول سنة 1965 بعد الظهر، وقد استطعت أن أحمل عن هذا المعمل المعلومات التالية: منذ سنة 1960 ساعد الحزب الشيوعي والحكومة في الصين على بناء هذا المعمل فنياً ومادياً. وقد بدأ في العمل فيه في 8 آذار سنة 1960 وانتهى في 8 آذار سنة 1965 أي أن العمل استغرق فيه خمس سنوات كاملة. وقد ساهم أيضاً في بنائه الاتحاد السوفياتي، وبلدان اشتراكية أخرى، إلا أن العبء الأكبر قام به الصينيون.

وقد كلف بناء المعمل 10 آلاف طن من المواد و22 كيلومتراً من الأسلاك الكهربائية، و310 آلاف متر مكعب من "الباطون" و1560 متراً مكعباً من الخشب. وفي المعمل ست ورش رئيسية: ورشة لصنع الخيش وهي تستخدم فقط المواد الأولية المنتجة في الفييتنام، وتنتج أنواعاً ممتازة من الخيش بالنسبة إلى الخيش الأجنبي، والإنتاج السنوي 4.7 مليون كيس و700 ألف متر من الخيش المستعمل في اللف. والورشة الثانية لغزل خيوط القطن والإنتاج السنوي 5580 طناً من الخيوط. والورشة الثالثة للنسيج وإنتاجها السنوي 35 مليون متر، وهي تنتج الأقمشة المطلوبة محلياً كالكاكي والغبردين⁵⁰، ونساء الفييتنام يصنعن أثوابهن من إنتاج هذا المعمل. والورشة الرابعة للصباغ والنقش وإنتاجها السنوي 45 مليون متر.

وعدا هذه الورشات الأربع يوجد ورشتان ثانويتان لخدمة المعمل هما ورشة الميكانيك وورشة الكهرباء والبخار. ويشتغل في المعمل أكثر من 6000 عامل وإداري، ويأتي عمال من المناطق المعرضة للقصف، وقد وُضعت خطة لإخلاء المعمل في حالة الخطر ونقله إلى

50- نسيج الغبردين هو عبارة عن نسيج أو قماش خشن ومتين ومنسوج بشكل وثيق. معنى كلمة غبردين هو القماش المتين. كانت تستخدم الكلمة للإشارة إلى اللباس أو الغطاء القماشي منذ تسعينيات القرن ال 16، ثم بدأ استخدامها بالمعنى الحالي في 1904. أخذت الكلمة الحالية من كلمة Gaberdine (بمعنى سترة طويلة أو عباءة فضفاضة). يستخدم نسيج الغبردين في صناعة البذل، والمعاطف، والسراويل، والأزياء الموحدة، والسترات، وغيرها.

أماكن آمنة، وقد رأينا إلى جانب العمال الذين يشتغلون في الإنتاج، عمالاً آخرين يعملون في تفكيك قسم من الآلات لنقلها إلى مكان آخر وذلك كي لا يُفاجؤوا بالقصف، ولتلافي التجمع الكثيف وحماية حياة العمال ومواصلة الإنتاج.

وفي المعمل وسائل كافية لتسهيل عمل الشغيلة، والإدارة منظمة بشكل لا يتعب النظر. وهناك قاعة للطعام وأمكنة خاصة للنساء، وقد دُهنّت الأرض بدهان خاص يمنع الأمراض من التسرب، وأرض ورشة الصباغ مفروشة بالقرميد لتلافي تأثير الأحماض، وفي ورشة الغزل والنسيج أجهزة خاصة لامتنصاع الغبار والمواد المضرة، وقد جُهِز المعمل بأجهزة للتهوية والتبريد في الصيف، وللتدفئة في الشتاء مما يندر وجوده في مكان آخر من الفيتنام. ولهذا السبب ذكر لنا أن صحة العمال مؤمنة وهي تتحسن بسبب هذه التجهيزات ووسائل الراحة، ويستخدم في المعمل جهاز القاطرات المعلقة، وسيارات صغيرة للنقل في داخله.

والإدارة مؤلفة بشكل رئيسي من النساء لأن المعمل يحمل اسم 8 آذار عيد المرأة العالمي، ومديرة المعمل العامة امرأة، وفيه 41 مهندساً بينهم عشرون امرأة. وهناك مائتا عامل بينهم 79 من النساء أنهما دروسهم المهنية، ويدل الإحصاء على أن ثلثي شغيلة المعمل من الشابات اللواتي تتراوح أعمارهن بين 18 و25 سنة ومعدل السن العام 21 سنة. وأكثرهن أنهين دروسهن الثانوية للدرجة الثانية أي قبل صف البكالوريا بسنتين.

وكما هو الوضع في جميع أنحاء الفيتنام، لجأ المعمل إلى "الحماية الذاتية" ففيه فرقة من الميليشيا تضم ثلاث مجموعات نسائية عدا فرق الجيش المرابطة في جواره، وقد اتخذت احتياطات واسعة لحماية المعمل من الطائرات، وكان العمال وإداريو المعمل يقولون لنا: نحن من جهة نعمل وننتج، ومن جهة أخرى مستعدون للقتال، وشعارنا كشعار الجميع، العمل والكفاح. وقيل لنا أن من جملة الصعوبات التي لاقاها المعمل، اضطراره إلى العمل والإنتاج أثناء القيام بأعمال بنائه، وحتى تاريخ زيارتنا لم يحص في المعمل أي حادث، وقال لنا المشرفون على الإدارة أن جميع المشتغلين فيه وضعوا منذ 1964 شعاراً أمامهم: أن يعمل الواحد بقدر اثنين، وقد كانت النتيجة أن نشأ 182 مجموعة طليعية، فيها 32 عاملاً متفوقاً وحصلت مجموعتان على لقب "فرق العمل الاشتراكي" من الدولة، وحصلت 44 فرقة على هذا اللقب من قبل لجنة المدينة.

لقد تجولنا في مختلف أقسام المعمل ما يقارب من ساعتين وأن ما يسترعي النظر ليس حادثة الآلات وعصرية التجهيزات والإدارة، إذ يمكن للإنسان أن يجد مثلها في أماكن كثيرة أخرى، وإنما تلك الروح النضالية التي تجدها على كل الوجوه، وفي مختلف الأحاديث، حتى لتشعر كأن الجميع مدركون الدور الملقى على الشعب الفيتنامي في معركة الأهمية الكبرى ضد الاستعمار الشرس، وخاصة من يعملون في معمل 8 آذار حيث يسد إنتاجه القسم الأكبر من حاجات سكان الفيتنام بالنسبة إلى اللباس والخيش، ويبرز كأروع مثال عن مدى ما يستطيع التعاون بين الاشتراكيين أن ينتج من خيرات للجميع، فالخلافات بينهم يجب أن تقف على حدود العمل المنتج والجهد المشترك، وإلا فالأضرار الناتجة لا تقتصر على فئة دون أخرى.

لقاء مع العسكريين المكلفين بالأسرى الأميركيين

قرأت في الصحف أن مراجع صينية ردت على المارشال مالينوفسكي وزير الدفاع السوفياتي، ونعتته بعدم الصدق لأنه ذكر أن الصين منعت إيصال المساعدات السوفياتية إلى الفيتنام عبر أراضيها. ثم قرأت أن الاتفاق قد تم مؤخراً بين الاتحاد السوفياتي والصين على حل هذه المشكلة بحيث يتأمن وصول المساعدات السوفياتية إلى الفيتنام بسرعة عبر الأراضي الصينية. وسواء ما نسبته مالينوفسكي إلى الصين أو لم يصح، سواء كان صادقاً في اتهامه أو غير صادق، فإن الشيء الذي يتفق عليه جميع المخلصين في العالم، هو أن قضية الفيتنام أخطر قضية عالمية في الوقت الحاضر، ويجب أن تبقى الخلافات والاستغلال والاتهامات، لأن من شأن ذلك أن يُضعف المعسكر المعادي للاستعمار والرأسمالية بشكل عام.

إن من واجب كل الاشتراكيين والتقدميين، سواء كانوا في مراكز الحكم ببلادهم أو لم يكونوا، مساعدة أو تسهيل مساعدة الشعب الفيتنامي في كفاحه ضد الاستعمار الأميركي، دون منة أو استغلال، لأن هذا الشعب بوقوفه الصامد ضد محاولات الامبريالية إنما يدافع عن جميع المواقع الاشتراكية والتقدمية صغيرها وكبيرها.

وفي الوقت الذي يتأسف فيه جميع المخلصين لموقف الصين إذا صح اتهام مالينوفسكي إذ لا يمكن أن يتصوروا أن دولة اشتراكية كالصين الشعبية تعرقل وصول المساعدات إلى جارتها الشعب الفيتنامي، أو لموقف مالينوفسكي إذا كان اتهامه غير صحيح إذ لا يمكن أن يتصوروا دولة اشتراكية كالاتحاد السوفياتي أو بلد تحققت فيه الاشتراكية، تتخذ من قضية الفيتنام وسيلة للدعاية، واتهام دولة اشتراكية أخرى اتهاماً غير صحيح مهما بلغت الخلافات العقائدية بينهما، يغتبطون جداً لأنباء الاتفاق المنوه عنه أعلاه، إذ يعتبرونه الموقف الوحيد المتفق مع المبادئ الأممية الاشتراكية الصحيحة، وكل موقف آخر لا يتفق معه، ديماغوجية واستغلال وتخريب لا بد أن تفيد أعداء الشعوب والتحرر.

الشعب الفيتنامي بحاجة إلى مساعدة فعلية، وقد أعلن ممثلوه ذلك عدة مرات، ولا يحتاج أحد إلى كثير من الحجج والبراهين ليقنع بذلك، ومساعدته يجب ألا تكون مرتبطة بأي مكسب مهما كان، على حسابه أو على حساب الآخرين، كما يجب ألا يشوبها أي تحفظ أو لين أو مهاودة، وإفساح المجال لازدياد عدد الضحايا والخسائر عنده، كما يجب احترام إرادته، وتصميمه وعدم اتخاذ أي موقف يُضعف منهما أو يشتم منه التراجع والتخاذل.

وأعود إلى متابعة ذكرياتي عن زيارة الفيتنام البطلة. وفي أثناء عودتنا إلى الفندق بعد زيارة المعمل عرجنا إلى المكان الذي التقينا فيه مع الطيارين الأميركيين واجتمعنا بعض الساعة مع العسكريين المكلفين بأمور هؤلاء الأسرى، فشكرناهم على إتاحتهم الفرصة لنا لمقابلة بعض الأسرى واستجوابهم ومعرفة نفسياتهم وتصرفاتهم، والاطلاع على المعاملة الحسنة التي يعاملون بها. وقد حدثنا هؤلاء الضباط بلهجة العسكريين وصراحتهم فقالوا: تعرفون أن هؤلاء الطيارين ينفذون أوامر حكومتهم لارتكاب أبشع الجرائم وأكثرها مخالفة للقوانين الدولية، من التي يمكن تصنيفها "جرائم ضد الإنسانية". وهم يعرفون أن الشعب الفيتنامي

يحق على المستعمرين الأميركيين ويعرفون أيضاً أن الفيتنام ليست في حرب معلنة مع الولايات المتحدة الأميركية، ويعرفون أيضاً أن قصف المدارس والمستشفيات والسدود يضع صعوبات كبيرة أمام شعبنا لكنهم يلجؤون إلى القصف بإرادتهم، إنما أمام الشعب يخافون من الاعتراف بجرائمهم ولهذا السبب فإن حملهم على الاعتراف شيء صعب جداً، وخاصة بالنسبة إلى عقليتهم وتربيتهم ونفسياتهم التي خبرتموها.

ويقولون لتبرير عملهم: أنهم عسكريون عليهم تنفيذ أوامر رؤسائهم وأنهم يقومون بهذه الأعمال للمحافظة على العالم الحر وأن أعمالهم تستهدف مساعدة الإدارة في الجنوب، وأن الحكومة الأميركية تحترم الاتفاقية المعقودة مع هذه الحكومة ولكنهم لا يعرفون كيف يجيبون على أسئلتنا، مما يدل على أن موقف حكومتنا باعتبارهم مجرمي حرب موقف صريح. ورغم كل ذلك نفرق بين الطيارين الأسرى والحكام، واستناداً إلى مبادئ الإنسانية، ودون أن نكون ملزمين بشيء تجاه القوانين والأنظمة والمعاهدات الدولية المتعلقة بأسرى الحرب، فإننا نعاملهم معاملة إنسانية، ولا شك في أنكم اطلعتهم على ذلك بأنفسكم. إننا لم نستخدم التعذيب ضدهم، ونعطيهم الغذاء الكافي الذي يستطيع شعبنا الحصول عليه بصعوبة نظراً لتصرفهم هم، ومع ذلك نوفر لهم ما يحاولون منعه عنا، ونتخذ التدابير اللازمة ليتصلوا بأسرهم ومراسلتهم، وإننا نسعى أن نبين لهم أين تكون القضية الحسنة وأين تكون القضية السيئة، ونحاول اقناعهم بأنهم أفراد بشريون مميزون لا مجرد آلات منفذة في أيدي جلادي الشعوب، وأفراد شعبنا لا يتعرضون بهم عند نزولهم إلى الأرض إذا حاولوا المقاومة مستندين إلى المبادئ الإنسانية نفسها، وهذا التصرف الإنساني كنا نتخذه للجنود الفرنسيين أيضاً.

ولكننا مؤخراً علقنا المراسلات بينهم وبين أفراد أسرهم، لأن قوانيننا قد حُرقت من الأشخاص المعنيين، فإذا خضعوا للقوانين سمحنا لهم بمتابعة المراسلة، إن قوانيننا تفرض أن يرسلوا أهلهم بحرية ومباشرة لأن هذه الطريقة تسمح لهم بقول ما يريدون بحرية، أما إذا أرادوا أن تمر الرسائل بواسطة السلطات الأميركية فنحن لا نريد ذلك وقد علقنا المراسلة لهذا السبب؛ لأن سلطات بلادهم تخاف من الحقيقة حتى ولو جاءت على لسان الجنود -الآلات- الذين تستخدمهم، وإلا فما سبب إصرارها على أن تمر الرسائل بطريقها وتسلم بواسطتها. وودعنا العسكريين ونحن على اقتناع تام بأن الحقيقة ستنتصر في الفيتنام، وأن الاستعمار بسبب صمود الشعب الفيتنامي سيجتاز أياماً صعبة تُعجل في نهايته إلى الأبد.

زيارة النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء

وأخذت المدة المحددة لمغادرتنا هانوي تقترب شيئاً فشيئاً حتى لم يبق منها سوى يومين، كان علينا خلالهما أن نستخدم ابتداء منها المعلومات التي حصلنا عليها من زيارتنا للفيتنام في كثير من مناطقها ووجوه الحياة فيها. لقد كان بودنا أن نقابل الرئيس هوشي منه لنبلغه تحياتنا وإعجابنا وتقديرنا، كما هو شعور الطبيب في العالم، وخاصة أن رئيس جمهورية الفيتنام الديموقراطية؛ أديب وشاعر إلى جانب كونه سياسياً واستراتيجياً ونظرياً (مفكراً) من الطراز الأول، إلا أن وجوده خارج هانوي في ذلك الوقت حال دون تحقيق هذه الأمنية، التي لو

تحققت لكانت من أجمل الذكريات التي نحملها من الفيتنام بلد البطولة والفداء، وكذلك كان غائباً رئيس الوزراء "فام فان دونغ".

وقد زرنا النائب الأول لرئيس الوزراء "فام هونغ" في مقره وهو عبارة عن قصر قديم كان يخص أحد الإقطاعيين السابقين تحيط به حديقة واسعة جداً، وهو مؤثث برياش فاخر يدل على الاستثمار الذي كان ينزله هؤلاء بجماهير الشعب، بمساعدة الفرنسيين واليابانيين. "فام هونغ" مناضل من الجنوب حكم عليه بالإعدام في زمن الفرنسيين بسبب نضاله ضدهم، في سبيل التحرر والاستقلال، ولكنه تخلص من الإعدام بأعجوبة، وأصبح بعد الاستقلال أحد الأعضاء البارزين في حكومة الفيتنام الديمقراطية والنائب الأول لرئيس الوزراء.

وكان يرافقنا في زيارتنا له، أمين سر الحقوقيين الفيتناميين عضو أمانة السر لرابطة الحقوقيين الديموقراطيين العالمية، ورئيس غرفة التجارة في الفيتنام، وقد اجتمعنا إليه أكثر من ساعة اجتماعاً حميماً بعيداً عن البروتوكولات الرسمية، وتحدثنا عن نضال الشعب الفيتنامي وعن البطولة والتضحية اللتين يقدمهما هذا الشعب على مذبح التحرر والاستقلال، كما تحدثنا عن الدعم الذي يلاقيه من مختلف الأوساط الطبية في جميع أنحاء العالم، وقدمنا بواسطته للرئيس هوشي منه باسم رابطة الحقوقيين العالمية هدية هي مجموعة من المذكرات والبيانات والتحيات التي أصدرتها الرابطة بشأن قضية الفيتنام، وقبلها وشكر الوفد قائلاً أنه يعتبرها من أثنى الهدايا، وخاصة أن رابطة الحقوقيين الديموقراطيين العالمية ساهمت بقسط فعال في النضال الذي يقوم به الشعب الفيتنامي بمختلف فئاته ومنهم الحقوقيون.

ونقل كل منا إلى النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء تحيات الشعوب التي نعيش بينها، وأمنياتنا في أن تجد الشعب الفيتنامي منتصراً في المعركة القاسية الدامية التي يخوضها لمصلحته ولمصلحة جميع شعوب العالم التي يزداد التفافها وتضامنها مع القضية الفيتنامية. كنا نتحدث ونحن متعلقون حول "فام هونغ" في قاعة كبيرة واسعة، صفت المقاعد الوثيرة حولها، وحوث كل مظاهر البرجوازية وأبهتها، ولكن الوزير الفيتنامي كان يبدو بينها وكأنه لا يزال على سجيته الماضية، سجية المناضل العنيد المحكوم بالإعدام، وكل تصرفاته وحركاته، وحديثه تبدو كأنها تتناقض تماماً مع الذكريات التي تحملها تلك القاعة، لقد كان يبدو رجلاً ثورياً، بالرغم من مركزه الرسمي الحاضر، في إطار برجوازي قديم، ولكن الانسان ينتصر دائماً، فقد كان انتباهنا موجهاً إليه، أكثر مما هو موجه إلى الإطار الذي نحن فيه، لقد كنا أمام المناضل المحكوم بالإعدام أكثر مما نحن أمام زينة البورجوازية القديمة، لقد كنا ننظر إلى معركة النضال الشاق الدامي أكثر مما كنا ننظر إلى الرياش الفاخر، وفعلاً اختفت من أمام أنظارنا ومن تفكيرنا فخامة المكان لتحل محلها مشاهد البطولة في الأدغال والمستنقعات والوديان والجبال والمدن والقرى، في الفيتنام اليوم، لا مكان إلا للبطولة والفداء والتضحية.

وعندما كان الوزير يُحدثنا بالبساطة والصراحة والتواضع التي لاحظناها عند جميع المناضلين الفيتناميين، لم استطع من أن أمنع نفسي من أن نتحدث مع نفسي لنقول: لو تمكن

الاستعمار من تنفيذ حكم الإعدام بهذا الصديق الكبير لكان حُرْم الفيتنام بل حُرْم جميع التقدميين في العالم رجلاً من رجال الطليعة. مطحنة المستعمرين الظالمة تطحن دائماً أصلب المناضلين، والههم القاسي لا يقبل من الضحايا إلا أفضل المكافحين، وأوعاهم وأكثرهم اندفاعاً.

لقد أعلن لنا أن الشعب الفيتنامي لا يقبل حلاً لقضيته إلا على أساس البنود الأربعة التي تقدمت بها حكومته في الجمهورية الفيتنامية الديمقراطية والبنود الخمسة التي أعلنتها جبهة التحرير الوطنية في الجنوب، وكل بحث خارج ذلك لا فائدة منه، حتى ولو استخدم المستعمرون الأميركيون جميع ما لديهم من قوة وسلاح وعتاد وضغط سياسي، فالشعب الفيتنامي مصمم على أن يحيا حراً، فيقدم أروع أمثلة للشعوب المناضلة، أو يموت أفراداً أبطالاً، وفي كل تاريخه عرف كيف يقدم على مذبح النضال أبطالاً. والشعب الفيتنامي لا يريد أن يسمع بمفاوضات قبل أن يرحل الأميركيون من بلاده، ويكفوا عن عدوانهم جنوباً وشمالاً، ويتركوه يقرر مصيره بنفسه، على أساس اتفاقيات جنيف المعقودة سنة 1954، إنه مؤمن بالسلم لكن المفاوضات في ظل حراب المستعمرين، تخدم دعاة الحرب، ولا تؤدي سوى الضرر لقضية السلام العالمي. وبعد انتهاء الزيارة أبقى الوزير إلا أن يرافقنا إلى أسفل السلم الخارجي، حيث أصر على أن نأخذ صورة معاً بالرغم من أن المصور كان قد فاجأنا بصورة أثناء لقائنا وحديثنا، فلما فهنا، ودعنا وتواعدنا على أن يكون لقائنا المقبل في سايجون.

المؤتمر الصحفي

وقبل يوم واحد من مغادرتنا العاصمة عقدنا مؤتمراً صحفياً، في القاعة الكبرى التي كانت تضم أكثر من مائة صحفي من مختلف أنحاء العالم، ومن مندوبي الصحف المحلية، وقد وصلنا إلى المؤتمر متأخرين بسبب خطأ في الموعد، مما دعانا إلى الاعتذار من الصحفيين الذين يكرهون دائماً أن يكونوا منتظرين، ومع ذلك ينتظرون. وفي المؤتمر الصحفي تحدثنا عن مشاهداتنا وعن التأثير الذي حملناه من زيارتنا للفيتنام، وعن اقتناعنا التام كحقوقيين أن الشعب الفيتنامي ضحية عدوان في جنوب بلاده وشمالها، وأن المستعمرين الأميركيين يرتكبون من الأعمال ما يمكن اعتباره كجرائم حرب، وأن محكمة نورمبرغ قد حاكمت وحكمت لأعمال مثل التي تُرتكب في الفيتنام. كما أعلننا عن اقتناعنا التام بأن اتفاقيات جنيف لسنة 1954 قد خُرقت خرقاً واضحاً من قبل الأميركيين الذين تعهدوا بلسان ممثلهم ببديل سميث باحترامها وعدم عرقلة تطبيقها. وإن الولايات المتحدة بتوسيعها الحرب إلى الشمال، قد خالفت ميثاق الأمم المتحدة والأعراف الدولية، باعتدائها على بلاد تتمتع بجميع شروط السيادة والدولة المميزة.

ولما جاء دور الأسئلة والأجوبة كانت قليلة جداً، لا لعدم رغبة الصحفيين في الأسئلة، أو عدم رغبة أعضاء الوفد في الجواب بشكل مسهب فكلهم حقوقيون، والمعروف عن الصحفيين والحقوقيين أنهم كثيرو الكلام، بل يعود السبب إلى أن قضية الفيتنام أصبحت مفهومة من جميع أفراد الناس في العالم أجمع، وكل من يزعم أنه يجهل عنها شيئاً، إنما يصطنع الجهل، لغاية في نفسه، ولمأرب يريده. وبالرغم من قلة الأسئلة والأجوبة، فقد دام المؤتمر ساعتين

ونصف الساعة، مما يدل على أن كلام الصحفيين والحقوقيين، مهما قل وأوجز، يبقى كافياً وربما كثيراً، إلا أنه مهما يكن الأمر فإن كل من يعمل اليوم من أجل الفيتنام مهما كان ضئيلاً، وحتى لو اقتصر على كلمة تأييد أو تشجيع، يفيد القضية الخطيرة التي تهتم بها الإنسانية جمعاء.

حفلة نادي الحزب الاشتراكي

وفي مساء النهار نفسه الذي عقدنا فيه المؤتمر الصحفي حضرنا في نادي الحزب الاشتراكي الواقع قرب مسرح هانوي حفلة خطابية تكرم فيها كل عضو من أعضاء الوفد، وكانت القاعة الواسعة غاصة بالحضور، من ممثلي جميع الفئات والأحزاب والمهن والاتحادات العلمية والثقافية، حتى أن المراوح الكهربائية العديدة المثبتة في الجدران وسقف القاعة لم تكن لتخفف من الحر الذي زاده الازدحام حدة. وكانت الخطب تُترجم إلى الفيتنامية مرحلة مرحلة، إلا ما كان منها باللغة الفرنسية فقد كان الأقلون لا يفهمونها، ولذلك لم يكن الحضور بحاجة إلى ترجمتها. وقد أُلقيت كلمة باللغة الفرنسية ضمنيتها مشاعر العرب بشكل عام واللبنانيين بشكل خاص بالنسبة إلى قضية الفيتنام، وأنهم جميعاً يهتمون بها اهتماماً خاصاً، لأسباب عديدة ليس أقلها أن الفيتنام تقع في الجانب الشرقي من قارتنا آسيا.

ومما قلته: في لغتنا العربية كُتِبَ فيها أساطير كثيرة تتحدث عن البطولة كقصص ألف ليلة وليلة، وقصة عنتره ولكنني عندما جنّت إلى الفيتنام اطلعت على قصص من البطولة الحقيقية عند الشعب الفيتنامي هي أشبه بالأساطير، لو جمعناها لألفت كتاباً لا يقل عن ألف ليلة وليلة وغيره. إن شعوبنا تهتم بقضية الفيتنام كأنها قضيتها الخاصة، ولا سيما أن التاريخ جمع بيننا في كثير من حوادثه، فالمستعمرون الفرنسيون الذين احتلوا الفيتنام فترة طويلة، أخضعونا لهم فترة من الزمن، وإذا كان الأسطول السادس الأميركي احتل شواطئنا لفترة من الزمن، وهو لايني يقوم باستمرار بزيارتنا زيارات غير مستحبة، ويقوم على هذه الشواطئ بمظاهرات يستهدف منها تذكيرنا وتذكير جميع الشعوب العربية بوجود المستعمرين الذين وراءه.

إن صحفنا تنشر يومياً أخباراً عن الفيتنام، حتى أصبح جميع الناس يعرفون أخبار "الفيكتونغ" معرفة تامة، وأصبحت مدنكم بالرغم من صعوبة لفظها، غير غريبة عن مسامعهم، وطالما وقع الكثيرون منهم العرائض، وقاموا باحتجاجات مختلفة تأييد لقضية شعبكم التي يعتبرونها كقضيتهم الخاصة. قصة دون كيشوت مشهورة وقد استطاع شعبكم أن يحول المستعمر الأميركي إلى "دون كيشوت" جديد، ويتخبط في مستنقعات بلادكم وأدغالها وحقولها وجبالها، وأن يحول سلاحه الضخم الحديث إلى ما يشبه السيف الخشبي يصارع به طواحين الهواء، فلا ينال منها ويتكسر بين يديه. كما استطاع أن يحول الحكام العملاء إلى أناس يشبهون خادم الدون إلى درجة أنهم لا يجدون حماراً يمتطونه.

لقد زاد اقتناعنا بعد زيارة بلادكم واحتكاكنا بأوساطكم المختلفة بأن قضيتكم العادلة منتصرة حتماً، وهذا الانتصار لن تفرحوا به وحدكم، بل تشارككم في فرحكم جميع الشعوب المحبة

للسلام، في مختلف قارات الدنيا، وما هذا العطف والتأييد اللذان تجدونهما في كل مكان إلا الدليل على أنكم لستم وحدكم في إحدى معارك المصير الأممي. إن وجود المعسكر الاشتراكي على حدودكم ووقوف جميع دوله دون استثناء إلى جانبكم، ووقوف جميع الشعوب التقدمية والعناصر الثورية في العالم بصفكم، إن هذا الصف المتراص الواقف في مجابهة الاستعمار، سيؤدي بالنتيجة إلى تصفيته، ولن يخرج من بلادكم إلا مهمشاً مهيض الجناح وفي النزاع الأخير، وسيكون الفضل في ذلك لصدوركم ولجميع مؤيديكم دون فخر ولا منة. وعندما انتهى أعضاء الوفد من إلقاء كلماتهم، تحول الاجتماع إلى مظاهرة أخوة وصدافة تفاهمت فيها القلوب قبل الأيدي، وشعر الجميع أنهم يتكلمون لغة واحدة، ويلقون حديثاً مفهوماً من الجميع بالرغم من اختلاف لغاتهم وديارهم وأجناسهم، ولا غرو في ذلك فلغة النضال واحدة، وحديث الكفاح واحد، وساحة التضحية وميدان الشهادة لا يفرقان بين اللغات والأجناس.

جولة في أسواق هانوي

وفي صباح اليوم التالي، أي اليوم الذي سبق مغادرتنا هانوي ذهبنا مع مرافقينا من الفيتناميين للقيام بجولة في أسواق المدينة، وكانوا قد اختاروا لكل منا هدية تمثل بعض أوجه الفيتنام الحرفية، فقبلناها شاكرين ولو مرغمين إننا كنا نعتبر أن طبيعة الحياة الحاضرة في الفيتنام لا تفسح مجالاً لتقديم الهدايا من قبل الفيتناميين بل العكس هو الأجدر، وهم بها أحق. ولكن ما الحيلة، ونحن في بلد شرقي لا يمكن أن تجادل فيه إذا أراد تكريم الضيف. مررنا على المخازن فرأيناها مملوءة بالبضائع التي يحتاجها الناس في استعمالهم اليومي، ولكنها فقيرة جداً بالكماليات، والبضاعة الأجنبية تكاد تكون معدومة، إلا ما كان مستورداً من الجيران، وهو قليل جداً يقتصر على الضروري أيضاً، والوقت حرب والبحبوحة لا يمكن أن تتيسر ومن واجب الجميع الضغط بأقصى ما يكون على الاستهلاك. ومع ذلك فالناس لا يتذمرون بل هم راضون بذلك، لأنهم مدركون أهمية المعركة التي يخوضون غمارها.

وفي بعض المخازن شاهدنا مصنوعات يدوية فنية فيتنامية، تعبر عن الطبيعة والمشاهد المحلية، أو عن بعض شعارات يضعها الشعب الفيتنامي اليوم في المقدمة، وكلها تدل على يد ماهرة وذوق شرقي رفيع. وقد اخترنا بعضاً منها فسارع مرافقونا إلى دفع ثمنها حتى الحد الذي تسمح به امكانياتهم، بالرغم من احتجاجنا وتهديدنا، وعندما يلح الشرقي عليك بقبول تكريمه لك، فلا بد لك أن تقبل أخيراً مهما حاولت وبذلت من جهود.

البضاعة المعروضة بسيطة بعيدة عن الترف، بشكل تكون فيه بمتناول الفيتناميين جميعاً، لأن الأجانب نادرون جداً في الوقت الحاضر بسبب ظروف الحرب، ولا تجد منهم إلا من كان في مهمة رسمية أو صحفية أو عضواً في وفد. مع أن الفيتنام من أجمل البلدان في العالم، وأكثرها ملاءمة للسياحة ولكن المستعمرين ما أبشعهم فهم يحولون الجمال إلى بشاعة، ويمنعون الانسان من التمتع بخيرات الدنيا وقد أنمتها يداها، ومتع الطبيعة وقد جعلت له جميعاً. واستغرقت جولتنا بضع ساعات، وعدنا بعدها إلى الفندق، نستعد لليلة الأخيرة التي سنقضها في هانوي، والتي فيها سيتم توقيع البيان المشترك بيننا وبين الحقوقيين الفيتناميين.

حفلة توقيع البيان المشترك

في الساعة الثامنة مساءً، وبحضور ممثلي الأوساط الرسمية والحقوقية والشعبية، أقيمت حفلة في قاعة الفندق الكبيرة، تم فيها التوقيع على البيان المشترك، وقد وقع عن الجانب الفيتنامي رئيس الحقوقيين ووزير التجارة، وأمين السر العام، ووقعه جميع أعضاء الوفد، وكان توقيع كل منهم يقابل بالتصفيق والعناق من الزملاء الفيتناميين. فقد دل هذا البيان على وحدة وجهة النظر بين الحقوقيين الفيتناميين وبين حقوقي العالم الذين تمثلهم رابطتنا أو يؤيدون أهدافها.

وبعد توقيع البيان أقيمت حفلة عشاء ضمت أكثر من خمسين مدعواً، وإني أسجل هنا أننا اجتمعنا مع أحد المناضلين الأوائل الذين ألفوا مع الجنرال جياب جيش التحرير الفيتنامي، وكانوا عبارة عدد قليل لا يتجاوز ثلاثين شخصاً، استطاعوا بعد مدة أن يصبحوا جيشاً كاملاً، كان أحد انتصاراته الرائعة معركة "ديان بيان فو"، وهذا المناضل من الجبال حيث ترك الاستعمار أهلها في حالة شديدة من الجهل والبؤس والتأخر والفاقة، ومع ذلك استطاعوا أن ينفذوا غبار التأخر والجهل وينطلقوا مع الشعب الفيتنامي في وثبته الجبارة، وهو اليوم يشغل منصب رئيس محكمة في مقاطعته الجبلية. وقد حضر خصوصاً ليشارك في حفلة الوداع في هانوي، فلم أتمالك من أن أشد على يديه بشدة، وأن أنظر إليه بتقدير وإعجاب وعاطفة قلما شعرت بها تجاه أحد الأشخاص. ثم لم تلبث حفلة العشاء أن تحولت إلى تبادل الخطب والهدايا، فقدم لنا الحقوقيون الفيتناميون علماً يحمل شعار التضامن في الكفاح بين رابطة الحقوقيين الديموقراطية العالمية والحقوقيين الفيتناميين.

ومما قلته في الكلمة التي ألقيتها: لقد زرنا بلادكم وإننا نحمل عنها أجمل الذكريات، ومن أثنى الذكريات التي أحملها هذا الخاتم المهدى إليّ من فتيات "تان هوا" والمصنوع من معدن الطائرات الأميركية التي سقطت هناك. ليس من عادتي أن أحمل الخواتم، ولكنني فخور بحمل هذا "المحبس" بشكل خاص، واعتبره كدليل للرباط بيني وبين الشعب الفيتنامي، وإذا كان من الواجب أن تقوم بين الزوجين روابط الإخلاص والتعاون والأمانة، فإني من جهتي أعدكم بأن أكون أميناً للشعب الفيتنامي أبذل ما بوسعي لأكون باراً بالواجب المفروض، كما إني أعتبر هذا الشعب باراً أميناً نحوي ونحو جميع التقدميين في العالم.

لإني أجد على المائدة زهوراً ووروداً. من الممكن أن تكون جميع أراضي الفيتنام مملوءة بالورود والزهور والرياحين لولا تدخل المستعمرين وزرعهم القنابل والرصاص والدمار فيها، ولكن جنث الضحايا ودماء الشهداء لا بد أن تقضي عليهم، وستنبت الورود في كل مكان، كما أن طريق الصداقة الذي يربط بين الشعوب وإن كان اليوم مزروعاً بالشوك في بعض جوانبه، فلا بد أن يُفرش بالزهور في وقت قريب. وقد لاقت هذه الكلمة استحساناً وصفق لها الحاضرون كثيراً، ونظرت زوجة إلى زوجها، كما نظر زوج إلى زوجته.

وبعد انتهاء العشاء حضرت فرقة غنائية تضم قسماً من أحسن فناني الفيتنام وفناناته، فعزفت بعض الأناشيد وغنى أفرادها أغنيات وطنية لم نتمالك من الإعجاب بها بالرغم من أننا لم نفهم كلماتها، فقمنا وقبلنا الفنانات والفنانين وأخذت لنا الصور معهم. وكانت الساعة قد بلغت

الحادية عشرة، وقد تقرر السفر في صباح اليوم التالي عند الساعة الخامسة، فاستأذن الحاضرون بالذهاب وودعونا بحرارة، وكنت أشعر وأنا أشد على يد كل منهم مودعاً أنني أودع بطلاً من أبطال الأساطير. أليست الفيتنام أسطورة القرن العشرين في كفاحها وصمودها وبطولتها. وأويت إلى السرير، بعدما هيات حقيقتي، ولكن مضى وقت طويل قبل أن أستطيع النوم، فالذكريات تتوالى بعضها أخذاً برقاب بعض، وهل يستطيع النوم بسهولة من أزمع على مغادرة أرض شهد فيها أسمى معاني البطولة والتضحية والفداء، وحب الحرية والإنسانية والسلام.

مغادرة هانوي

وعند الفجر أفقتنا من النوم، وهبطنا إلى ردهة الفندق استعداداً للذهاب إلى المطار، وأشد ما كانت دهشتنا عندما شاهدنا الفيتناميون قد سبقونا، وزير التجارة الخارجية، ورئيس المحكمة العليا بالرغم من مرضه، وزملائنا الحقوقيون الآخرون، فركبنا السيارات معهم، وفي الطريق أخذت السماء تمطر مطراً غزيراً، كان ينتظره الفيتناميون على أحر من الجمر، لجودة موسم الأرز وبقدر ما أسفنا شديداً لاضطرارنا إلى وداع الفيتنام، كان فرحنا بسبب هطول هذه الأمطار. وفي طريقنا إلى المطار كنا نمر بين جموع الفيتناميين، الذاهبين إلى عملهم في الحقول أو المصانع، وأكثرهم يركب الدراجات فكانوا يفسحون لنا المجال وعلى محياهم جميعاً كنا نلاحظ دلائل النشاط والعزم. فكانوا يشكلون أجمل الرسوم البشرية التي تنطبع في ذاكرة المسافر.

ولما وصلنا إلى المطار اضطررنا أن نمكث بعض الوقت بسبب رداءة الجو، مما يمنع تحليق الطائرة، ومع ذلك ظل المودعون من الفيتناميين معنا لم يغادروا واحد منهم، مع أن لكل منهم عملاً ينتظره. وعند الساعة العاشرة تقريباً، وكان المطر لا يزال ينهمر، سعدنا إلى الطائرة بعدما قدم لنا مودعونا، باقات من الزهور، ظللنا نحفظ بها حتى ذبلت، بعدما ودعنا إخواننا الفيتناميين أحر ما يكون الوداع. ولم تلبث الطائرة أن حلقت في الجو، وأخذت أرض الفيتنام تغيب عن أعيننا شيئاً فشيئاً دون أن تغيب من ذاكرتنا أبداً ولن تغيب.

البيان المشترك

بناء على طلب الرابطة العالمية للحقوقيين الديمقراطيين ودعوة رابطة الحقوقيين الفيتناميين لتاريخ 20 أيلول سنة 1965. وقد زار الوفد مختلف المناطق واتصل بمختلف الفئات والمنظمات والاختصاصيين وشخصيات متعددة وأجرى محادثات مع ممثلي رابطة الحقوقيين الفيتناميين. والوفد يُعبر عن إعجابه العميق ببطولة الشعب الفيتنامي وقد وجد أعضاؤه في كل مكان الدليل على تصميم شعب لا يُغلب على الدفاع عن نفسه حتى النصر النهائي والاعتراف بحقوقه المقدسة. وإن تضحيات هذا الشعب والمعركة التي يخوضها في سبيل استقلاله الوطني ووحدته تخدم في الوقت نفسه قضية الحرية لجميع الشعوب والسلام العالمي، والوفد يشكر رابطة الحقوقيين الفيتناميين للمساعدة القيمة التي قدّمتها له ولمساعدتها النشيطة في عمل رابطة الحقوقيين الديمقراطيين ويقدم لها شعوره بالصدقة الحميمة.

ورابطة الحقوقيين الفيتناميين تُعبر عن عُرفانها بالجميل لرابطة الحقوقيين الديموقراطيين العالمية للمساندة الفعالة التي ما فتئت تقدمها لقضية الشعب الفيتنامي المكافح ضد الامبريالية والاستعمار. فرابطة الحقوقيين الديموقراطيين العالمية قد فضحت جميع مراحل سياسة التدخل المنظم والعدوان العسكري للإمبريالية الأميركية في جنوب الفيتنام. ومؤخراً الأعمال الحربية المرتكبة ضد جمهورية الفيتنام الديموقراطية، وقد ساندت منذ شباط سنة 1961 على أساس اتفاقية جنيف ومجموع مبادئ الحق الدولي الكفاح القائم على الدفاع العادل عن النفس الذي يقوم به شعب جنوب الفيتنام، وفي نيسان سنة 1962 اعترفت بأن النضال الجاري بقيادة الجبهة الوطنية للتححرر في جنوب الفيتنام يُشكل مساهمة هامة في الدفاع عن السلم في هذه المنطقة من العالم، وقد قدّمت هذه المساهمة المستمرة مساعدة مثمرة للشعب الفيتنامي المتحد من أجل الدفاع عن حقوقه المقدسة في الاستقلال والوحدة. ويستنكر الوفد ورابطة الحقوقيين الفيتناميين تسعير وتوسيع الحرب العدوانية التي تقوم بها أميركا ضد الفيتنام.

إرسال قوات أميركية سيبلغ عددها 200 ألف جندي، القصف المتواصل والتهديم الجماعي اللذين تقوم بهما طائرات من طراز ب 52 وطائرات الأسطول السابع الأميركي في جنوب الفيتنام، مضاعفة الغارات وتوسيعها على أراضي الجمهورية الديموقراطية في شمال الفيتنام. مما يُشكل في الوقت نفسه تهديداً متزايداً على أمن شعوب جنوب شرق آسيا وسلم العالم.

إنهما يستنكران جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي يرتكبها المعتدون الأميركيون في الجنوب، استخدام قنابل النابالم والفسفور الأبيض والمواد الكيماوية والغازات السامة وتقتيل السكان المدنيين والإعدام الجماعي للوطنيين وتعذيبهم إلخ.. وذلك بهدف القضاء على السكان، وفي الجنوب كما في الشمال تهديم القرى والمراكز الاقتصادية والمستشفيات والمدارس والأبنية الثقافية والدينية.. والهدف من ذلك فيما يتعلق بجمهورية الفيتنام الديموقراطية في الشمال إصابة السكان بجميع شروط وجودهم، إن هذه الجرائم تُشكل في الوقت نفسه خرقاً للاتفاقيات الدولية كاتفاقية لاهاي المعقودة سنة 1899 واتفاقية جنيف المعقودة سنة 1925 واتفاقية جنيف المعقودة سنة 1949، وعلى ضوء هذه الوقائع تظهر مزاعم رئيس جمهورية الولايات المتحدة جونسون عن الرغبة في السلام؛ وخاصة عن "المفاوضات دون أي قيد أو شرط" وعن العودة إلى اتفاقيات جنيف إلخ.. مناورات الغرض منها تغطية توسيع الحرب العدوانية وتسعيرها والغرض من هذه الحرب تحويل جنوب الفيتنام إلى مستعمرة من جنس جديد وإلى قاعدة عسكرية أميركية.

إن الأساس الوحيد لحل سلمي لقضية الفيتنام يكمن في احترام اتفاقيات جنيف ومبادئ الحق الدولي، ولهذا السبب فإن الفريقين يطلبان وفقاً للمقررات التي أعلنتها الجبهة الوطنية للتححرر في جنوب الفيتنام في 22-3-65 وحكومة جمهورية شمال الفيتنام الديموقراطية في 8 نيسان سنة 1965: "الوقف الفوري لجميع الجيوش والأسلحة والتجهيزات الحربية التابعة للولايات المتحدة الأميركية وحلفائها وتصفية جميع القواعد العسكرية في جنوب الفيتنام والوقف الفوري للقصف وجميع الأعمال الحربية ضد أراضي جمهورية الفيتنام الديموقراطية

والاعتراف بالجبهة الوطنية للتحرر في جنوب الفيتنام، ومنهاجاً للسلام والاستقلال والديموقراطية والحياد، كممثلة وحيدة شرعية قانونية لشعب جنوب الفيتنام الذي يجب أن يُترك حراً في تدبير شؤونه دون تدخل خارجي، إن إعادة توحيد الفيتنام قضية خاصة بسكان المنطقتين دون أي تدخل غريب وهذا الموقف ينسجم واتفاقيات جنيف المعقودة سنة 1954 التي يجب أن لا يبتعد عنها لمحاولة إثارة تدخل هيئة الأمم المتحدة. فإذا جرى الاعتراف بما ذكر أعلاه أمكن إيجاد الشروط الملائمة لحل قضية الفيتنام، ويدعو الطرفان الحقوقيين وجميع محبي السلام في العالم إلى استنكار وفضح الحرب العدوانية التي يقوم بها الاستعمار الأميركي وجرائم الحرب التي ترتكب ضد الشعب الفيتنامي ومساندة هذا الشعب ومساعدته بجميع الوسائل الممكنة في النضال الذي يخوضه في سبيل استقلاله الوطني ووحدته والسلام. إن الشعب الفيتنامي متيقن من النصر في دفاعه عن قضيته العادلة.

هانوي في 11-10-1965



المؤلف الاستاذ حسيب عمر امين سر رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية و
والاستاذ ترانغ امين سر الحقوقيين الفياتناميين يوقعان البيان المشترك .
وقد ظهر من اليسار البروفسور خوسه رودركس (شيلي) والاستاذ بكاي
فدباي النائب العام في باماكو (مالي) والرئيس عبدالله ابراهيموف رئيس
المحكمة العليا في اذربيجان . ورئيس رابطة الحقوقيين الفياتناميين وزير
التجارة الخارجية الاستاذ فان آن فالاستاذ جو نوردمان امين السرالعام لرابطة
الحقوقيين الديمقراطيين العالمية فرئيس المحكمة العليا في الفيتنام.

نداء إلى حقوقي العالم

إن أعضاء وفد الحقوقيين الذي حضر إلى الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية بناء على طلب رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية وأعضاء رابطة حقوقي الفيتنام أصدرت بتاريخ 11 تشرين الأول سنة 1965 بياناً يصح توجيهه إلى الحقوقيين في جميع أنحاء العالم. إننا نذكر أن الإعلان النهائي لاتفاقيات جنيف سنة 1954 ينص في مادته الثانية عشرة على أن كلاً من المشتركين في المؤتمر، يتعهد باحترام سيادة الفيتنام واستقلالها ووحدتها وحرمة أراضيها، وينص في مادته السادسة أن خط الحدود لا يمكن اعتباره حدوداً دولية، وفي مادته السابعة على أن جميع الفرقاء يحترمون التعبير الحر عن الإرادة الوطنية.

وفي 21 تموز سنة 1954 أعلن ممثل الولايات المتحدة الأميركية إلى المؤتمر السيد بيدل سميث؛ أن بلاده ستمتنع عن أي مساس بالاتفاقيات المعقودة بين القيادة الفرنسية-الفيتنامية، وقيادة الجيش الشعبي الفيتنامي، وكذلك المواد 1-12 من الإعلان النهائي عن طريق التهديد أو استعمال القوة. إننا نوجه نداء إلى حقوقي العالم أجمع ليكشفوا عن خرق هذا التعهد، ولجميع مبادئ الحق الدولي المعاصر بسبب التدخل المسلح للولايات المتحدة الأميركية في جنوب الفيتنام، وعدوانهم الجوي ضد الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية، وندعوهم إلى فضح جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي كنا شهوداً عليها. وإننا نذكر جميع الحقوقيين أن واجبهم المهني والضروري مساندة القضية العادلة للشعب الفيتنامي في نضاله من أجل حياته واستقلاله ووحدته.

من نداء إلى منظمة الوحدة الأفريقية

وهنا في الفيتنام، استطعنا أن نرى بأعيننا أم الطائرات الأميركية تنطلق كل الأيام، ومن قواعدها في تايلند والجنوب لتقوم بغارات وتقفز خلالها بدون تفريق المستشفيات والمدارس والمنشآت والكنائس والمعابد وبيوت السكن، وتنشر الخراب والدمار في كل مكان. لقد رأينا أشخاصاً مسنين (في السبعين من عمرهم) قد شوهتهم شظايا القنابل، وأولاداً صغاراً أحرقتهم النابالم، وستكون اللائحة طويلة إذا عددنا كل ما تمكنا من مشاهدته.

إن الدلائل التي شاهدناها وعرفناها بعبيدين عن كل تحيز، تسمح لنا بأن نؤكد أن المستعمرين لم يكتفوا عن قصد بخرق اتفاقيات جنيف سنة 1954 المتعلقة بوقف الحرب في الهند الصينية، بل أقدموا على ارتكاب جرائم ضد الشعب الفيتنامي والإنسانية جمعاء. إننا نشعر في قرارة نفوسنا أن قضية الفيتنام تحمل في طياتها جذور حرب عالمية ثالثة، يجد جميع الناس ذوي الإرادة الطيبة، من واجبهم العمل على كبحها. إذ أن كل إنسان واع يستطيع إدراك نتائج مثل هذا الحدث بالنسبة إلى الإنسانية.

ولهذا السبب وتحسناً منا لمسؤولياتنا كبشر أولاً، وحقوقيين ثانياً، وإيماناً عميقاً بالمبادئ الواردة في ميثاق هيئة الأمم المتحدة، واحتراماً لحقوق الإنسان بشكل خاص، واقتناعاً بأن رؤساء الدول الأفريقية في منظمة الوحدة الأفريقية/ من أنصار السلم ويعارضون حل

الخلافاً بواسطة القوة، فقد سمحنا لأنفسنا بأن نبعث لهم من هانوي هذا النداء حتى يبادروا إلى مساعدة الشعب الفيتنامي المههد بكامله في وجوده، ويبدلوا جهدهم لاحترام اتفاقيات جنيف، ولكي ينسحب المستعمرون من جنوب الفيتنام ويضعوا حداً فورياً لعدوانهم ضد الجمهورية الديمقراطية الفيتنامية. فإذا فعلتم أيها الرؤساء المحترمون، أديتم مساهمة إيجابية في سبيل الحفاظ على السلم العالمي ودافعتم عن الضعيف ضد القوي والفقير ضد الغني، والعدالة ضد الظلم، وعن التعايش السلمي واحترام الأخلاقية الدولية.

هانوي 1965-10-11

بعض فقرات من اتفاقيات جنيف

بتاريخ 21 تموز سنة 1954 صدر التصريح النهائي عن اتفاقيات جنيف، وأذكر منها بعض المواد الواردة في تلك الاتفاقيات، والتي يتجاهلها المستعمرون الأميركيون في الوقت الحاضر.

المادة 4- يأخذ المؤتمر علماً بنصوص الاتفاق المتعلق بإنهاء القتال في الفيتنام، والتي تحظر إدخال الجيوش والأشخاص العسكريين الأجانب إلى الفيتنام وكذلك جميع الأسلحة والمؤن..

المادة 5- يأخذ المؤتمر علماً بنصوص الاتفاق المتعلق بإنهاء القتال في الفيتنام، والتي تتضمن عدم السماح بإقامة أية قاعدة عسكرية تابعة لدولة أجنبية في مناطق الطرفين، الذين عليهما أن يسهرا على عدم انتساب المناطق الممنوحة لكل منهما إلى أي حلف عسكري وألا تستخدم لإعادة القتال أو توضع في خدمة أية سياسة عدوانية..

المادة 12- ويتعهد كل مشترك في مؤتمر جنيف، أن يحترم في علاقاته مع كمبوديا ولاوس والفيتنام، سيادة البلدان المذكورة واستقلالها ووحدتها وحرمة أراضيها، وأن يمتنع عن التدخل في شؤونها الداخلية.

المادة 17- من "الاتفاقيات المعقودة بين قيادة الجيش الفرنسي-الفيتنامي وقيادة الجيش الشعبي في الفيتنامي".

-فور وضع هذا الاتفاق موضع التنفيذ، يُحرّم إدخال جميع الامدادات وجميع أنواع الأسلحة والمؤن وكل المعدات العسكرية، كالتائرات العسكرية والوحدات البحرية الحربية والمدافع والصواريخ المصفحة إلى أراضي الفيتنام.

المادة 19 من الاتفاقيات نفسها:

-فور وضع هذا الاتفاق موضع التنفيذ لا يسمح بإقامة أية قاعدة عسكرية تابعة لدولة أجنبية في مناطق تجمع الطرفين، اللذين يعملان على ألا تصبح المناطق التابعة لهما قسماً في أية مخالفة عسكرية، وألا تُستخدم لإعادة القتال أو توضع في خدمة أية سياسة عدوانية.

تصريح "بيدل سميث" ممثل الولايات المتحدة

في الجلسة الختامية لمؤتمر جنيف سنة 1954 أعلن الوفد الأميركي جهاراً أن الولايات المتحدة ستحترم اتفاقيات جنيف حول الهند الصينية، وستمتنع عن القيام بأي عمل يعد ماساً لها، وقد ورد ذلك على لسان السيد "بيدل سميث" الذي ألقى باسمها التصريح الآتي: إن حكومة الولايات المتحدة، المصممة على تكريس جهودها لتقوية السلم وفقاً لمبادئ الأمم المتحدة وأهدافها، قد أخذت علماً بالاتفاقيات المعقودة في جنيف بتاريخ 20 و21 تموز سنة 1954 بين:

- 1- القيادة الفرنسية – اللاوسية وقيادة الجيش الشعبي في الفيتنام.
 - 2- قيادة الجيش الملكي الخميري وقيادة الجيش الشعبي في الفيتنام.
 - 3- القيادة الفرنسية – الفيتنامية وقيادة الجيش الشعبي في الفيتنام.
- وكذلك الفقرات من 1 إلى 12 من الإعلان المقدم إلى مؤتمر جنيف بتاريخ 21 تموز سنة 1954.

تعلن: إنه فيما يتعلق بالاتفاقيات والفقرات المذكورة أعلاه: -

- 1- أنها تمتنع عن أي مساس بها، عن طريق التهديد أو استخدام القوة وفقاً للفقرة الرابعة من المادة الثانية لشرعة الأمم المتحدة التي تنص على أن أعضاء المنظمة أن يمتنعوا في علاقاتهم الدولية عن اللجوء إلى التهديد أو استخدام القوة.
- 2- وأن كل معاودة للعدوان بخرق الاتفاقيات المذكورة تشكل بالنسبة لها سبباً خطيراً للقلق وتعتبرها تهديداً جدياً للسلم والأمن الدوليين.

تحية إلى الفيتنام

وقد أوحى لي زيارتي للفيتنام الأبيات الآتية وقد تحدثت بها، وترجمت بعضها، إلى مرافقينا الفيتناميين، ومنهم وزير التجارة الخارجية ورئيس رابطة الحقوقيين الفيتناميين وهو شاعر ملهم فطلب مني نشرها، فوعده على رغم كرهه الشديد لنشر ما أنظمه في بعض الأحيان من أبيات: -

أشرق الفجر ولاحا	وانتضى الشعب السلاحا
فسقى المستعمر الذل	وأرداه جراحا
كم صغير أثنخ الجبار	دمعاً وجراحا
حيّ شعباً لم يزل	ينشر في الدنيا الكفاحا
ثقة أن نضال الشعب	يجتاز الفلاحا

شاعر يرئس 51 شعبا	عبقرياً في نضاله
جاعلاً بذل الأضاحي	كل شيء في خياله
يرتضي الجوع ولا يرضى	انخفاضاً لجلاله
لم يئن عزم له	رغم المآسي واعتقاله
لم يكن في الناس قوم	كافحوا مثل رجاله

لم يقيموا للبطولات
وأراد الشعر إنشاد
طاف في الدنيا ولكن
واستطابت نفسه البغض
ابغضوا المستعمر القاسي
وأحبوا السلم ما ضنوا

فرنسا حاولت تحطيمه
سلبته المال والنفس
تملاً الأرض خراباً
تقتل الناس: وفي أعرافها
فإذا هبوا دفاعاً
إنما القانون عند الظالم
وتغنيه بتمدين
بنشر الأمراض فيها

وأتى اليابان يغزون
وأقاموا حكم أنزال
وتحروا في بقايا
يوم كان الناس عبداناً
وجدوا ضالتهم عند فتى
إذ دعاه سادة
أسرع الخطر يلببهم

بعدهم عادت فرنسا
قد تناست أنها كانت
أشرس الناس ضعيف
وإذا الذئب رأى السبع
ظن أن الكون قد دال
وإذا بالشعب يمسي
أشعلت نيرانها تحرق
وإذا بالشعر يضحى
ألهبته إخوانه تستهد
وغدا حراً خلياً

مثالاً كمثاله
التفاني في مجاله
لم يجد غير ظلاله
وحباً بين آله
وبزوا⁵² في قتاله
بشيء لنواله

حتى النهاية
بما فيه الكفاية
باسم إحلال العناية
تلك رعاية
زعمت تلك جناية
الباغي حكاية
الأقاليم رواية
زاعماً تلك وقاية

لصوصاً سالبينا
الرعايا الخائنين
من عهود السالفينا
لقوم حاكمينا
كان أمينا
كانوا عليه قيمينا
كبعض الخادمينا⁵³

أشرس المستعمرينا
طعام الطامعينا
صار بين القادرينا
ضعيفاً مستكينا
له غرباً وصينا
ثورة تحمي العرينا
جلد العائدين⁵⁴
شعلة مع هوشميننا
ف النصر المبيننا
من أناس بانسيننا

52 بزوا أي تفوقوا

53- إشارة إلى الامبراطور بارداي

54- إشارة إلى إعادة استعمار الفيتنام من قبل فرنسا بعد اندحار اليابان

وعراة نسجوا الخز
وجياع صنعوا الخبز
وعطاش ملأوا الكأس
يشبع الكلب وأحرار
وإذا ما همهموا لاقوا
تقطع الأوصال ترمي
فإذا لم يأكلوها

مضت الثورة تجتاح
تدفع الشر وتمضي
لم تعد عن ضربهم إلا
حسبوا أنفسهم في
ونسوا أن حديداً
يحمل الانسان منه
قيد الانسان في
ويلين الصلب والانسان
سقط الحصن وقد ظنوه
رفعوا الأيدي وأخذوا
لم تفدهم آلة القتل
يفعل الشعب الأعاجيب

وأتاهم من وراء
نشروا الموت وسموه
أتقنوا الهدم وقالوا
نشروا السم على الأرض
قتلوا الانسان والبهيم
لم يراعوا ضعف شيخ
هدموا أمكنة
لم يراعوا معبد الدين
قصفوا الأسواق
يقتل الوحش من
إنما تقتيلهم للناس
حسبوا الدولار يأتي
ينبت الزرع وخير الورود
واشتروا بعضاً قليلاً
هل يبيع النفس بالمال
مرغ الأنف على الأرض

لقوم مترفين
لناس متخمينا
لقوم مدمنينا
همو لا يشبعونا
من الظلم الفنوننا
كطعام للبنينا
عذبوا أو يقتلونا

الضواحي والمدينة
لاقتلاع الغاصبينا
وقد فروا خائفينا
دين بين فو آمنينا
إن يكن صلباً متينا
لين اللمس عجينا
التاريخ كم أبقت ثميننا
يأبى أن يلينا
مأموناً حصينا
حصنهم مستسلمينا
فلا ينهرموننا
ويأبى أن يهونا

الأطلسي شرُّ الطغاة
باكسير الحياة
هكذا قتل العصاة
وأوراق النبات
بقصف الطائرات
وصغير وفتاة
التدريس والمستشفيات
وحراب الصلاة
والسكان والمستوصفات
الجوع وخوفاً في الفلاة
حب بالإذاعة
بغريب المعجزات
في أرض موات
من ضعيفي النزوات
سوى عبد الفئات
وأقدام الطغاة

ونسوا مالهم عند
تتنادى تفرع المجد
تحمل الجوع وتحيا

ونرى مستقبل الطاعي
ذاك أن الشعب يأبى
هب كالجبار محمولاً
أحمر الريش لما
معداً للممات
أي لين في القناة
على جناح البزاة
أهدر من جمع الغزاة

شاء أن يستقل بعد جهاده
وأرادوه خاملاً أبداً لا
أصفر اللون خدروه ليقوه
يصبر الشعب للخضوع زماناً إنما الصبر حده نفاذه
أزعج الخلد من كثير الضحايا لم يفر شيئاً لتيل مراده
ومشى كالموج المزمجر حير الجن من شديد عناده
كان كالماء السلسبيل يذيب الصخر مهما يكن قوي حماده
كان كالسيف إنما نصله منذ طويل ما ذاق طعم غماده
كل فرد يمشی إلى الموت والبذل طروباً ناديت أم لم تناده
وأراد النضال أن يعقد الغار وساماً فاخترأوه لعقاده
وإذا شاء كالمسيح اعتماداً فالدّم القاني كان ماء عماده
مثله يصرب اللصوص بسوط عندما دنسوا حرام عباده
ويغوص المستعمرون بمستنقع ذل وما كبا بجواده
كيف يكبوا وركبه الخلد، ملجوماً، وسيف الإباء نعض قياده
وسلاح الشعوب أمضى سلاح واندفاع الرجال أقصى عتاده
وامتساق السلاح للظلم عيب وإلى الاستقلال خير عماده
هل رأيت المستعمرين كذئب ثار من فرط جوعه واشتداده
فمضى ينهش العباد وعينه شرار يهب بين رماده
سعرته الدماء، إهراقها قانونه والتقتيل بعض اجتهاده
حسب الحرب نزهة، وكؤوساً يحتسبها معربداً كبلاده
كل ما الدنيا قيان وكأس
وهنا الشعب غيره فنضال
يقتل النفس إن رآها تراخت
أثخنوه من الجراح ولم يلق
كلما غاص في الوحول هوى
كل من يسعى لاصطياده البرايا يعمل الناس كلهم لاصطياده

مجرم يقتل بالغاز ولا يُراعي ذماما

عند أطماعه يأتي
 وصغار لم يكادوا
 ونساء يتجمعن وقد
 وشيوخ تركوا الدهر
 لجأ الكل إلى جوف
 حين صب الجو والبحر
 يتهاوى للظاهما
 قصدت هدم المباني
 وصغيراً حضنته الأم
 فهوت وهو رضيع
 جائعاً يبغي له:
 ثم أهوى فوقها يشكو
 وكثيراً شاء لو يقضي
 لم يشأ ترك التلاميذ
 فإذا بالمستعمر القاسي
 مات إذ خط على اللوح:
 كاهناً لم يعتنق يوماً
 يعبد الرب فيعطيه
 قانعاً لا يبتغي مالاً
 حسب المعبد ينجيه
 فهوى المعبد أمسى
 ومريضاً تعمل الحمى
 وطبيباً يسهر الليل
 يعرف الراحة لما
 فأحال القصف مستشفاه
 نسي الباغي بأن
 إنه ينهار مهما
 غازه خانق يرتد له
 مجرم دون حياء
 كم رمى من فتنة
 فإذا الشعب أبى الذل
 ينشر الغاز ولا يراعي
 مجرم عن كل نص
 أين نور مبرغ فيها
 حاكم النازي على
 ناسياً أن قضاة الشعب
 وإذا أغمض عيناً

حلالاً وحراماً
 بعد يدرون الكلاما
 شئن السلاما
 وقد لبض هاماً
 الثرى كي لا يضاماً
 من النيران جاماً
 كل عمران ركاماً
 ومن الناس الزحاماً
 لم يبلغ فطاماً
 ثديها حتى يناماً
 من ثديها الميت طعاماً
 الطواغيت اللئاماً
 على الجهل تماماً
 يعانون الظلاماً
 يكافيه حماماً
 لكم نهوى السلاماً
 نظاماً أو نظاماً
 سجوداً وصياماً
 وجاهاً أو مقاماً
 فصلى وأقاماً
 كل ما فيه حطاماً
 بجفنيه اضطراماً
 وقد يشفي السقاماً
 يعرف المرضى ابتساماً
 أطلاقاً رغاماً
 الظلم لا يلقي دواماً
 زاد تقتيلاً وساماً
 موتاً زواماً
 لا ضميراً لا لجاماً
 كي يستغل الاختصاماً
 ألواناً جهاماً
 لشرع احتراماً
 دولي يتعامى
 قد تولى الاتهاماً
 فعل يحاكيه تماماً
 لن ينسوا النظاماً
 وحتى أنفأ وهاماً

فلكي يُشعل في الثورة
مشعل النيران يجثو
ومجيد السيف قد
ناراً واحتداما
نافخاً فيها الضراما
يحنى ليستل الحساما

لم يعظم من أمانوا
إنما من كسروا أغلالهم
ويد التاريخ لا ترضى
أن يقوم الكافر الجزار
وينال المستبد الفظ
يده تقطر بالقاني

وشقيقات الحمى قمن
قد عدا ربعهن
متصاب يحسب الدولار
فإذا لم يستجب هب إلى
يتساءلن عن الأحرار
عن رفاق الأمس يزيحون
لم يعكر كأسهم
ما لهم قد حطموا
يتساءلن لماذا
يوجهن الملاما
الوحش لا يبدي احتشاما
يعطيه المراما
الفتك احتكاما
عن رهط الندامي
عن الدنيا الغماما
أي خلاف، والمداما
الصف شتاتاً وانقساما
يقعد الركب الام؟

سيرة الشاعر: حنا نمر 55

ولد في بلدة شيخان (إحدى قرى لبنان)، وفيها توفي. عاش في لبنان وسورية. تلقى تعليمه الأولي على والده، انتقل بعدها مع أسرته إلى حمص، ومنها إلى دمشق حيث أنهى المرحلة الثانوية، واعتمد على نفسه في دراسة برنامج البكالوريا اللبنانية والفرنسية، ثم التحق بالجامعة اليسوعية في بيروت جامعاً بينها وبين دراسة الحقوق في دمشق، ودرس بعدها اللغة الروسية والإنجليزية.

عمل بالمحاماة في مكتب إميل لحود، وقام بتدريس اللغة الروسية في دار جمعية العلاقات الثقافية بين الاتحاد السوفيتي والبلدان الأجنبية. عمل بالتعليم مدة من الزمن اهتم خلالها بتدريس الآداب العربية واللغة الفرنسية في عدد من المعاهد في لبنان وسورية، منها: معهد الإخوة المريميين، وكلية الثلاثة أقمار في بيروت، وكلية حمص الأرثوذكسية. ترأس تحرير مجلة الحق، وترأس رابطة الحقوقيين اللبنانيين الديمقراطيين، وكان أمين سر منظمة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية، والعضو الاستشاري في منظمة الأمم المتحدة.

الإنتاج الشعري:

- له ديوان «ثورة السلام» - مطبعة النجاح - بيروت 1953، وله عدد من المجموعات الشعرية المخطوطة، منها: «القلوب الثائرة في سبيل السلام»، و«قصائد شعرية» (مجلد يضم ما يزيد على 200 قصيدة) ، و«إلى طفلي زينة». الأعمال الأخرى:

- من مؤلفاته: «أسس الكيان الطائفي اللبناني» - دار الكاتب، و«أيام في الفيتنام»، و«دور الحقوقيين في تطوير القانون»، و«الرأسمالية تتحطم» - دار سمر للطباعة، وله عدد من الأعمال المترجمة، منها: «سيزار بافيز لجورج بيرويه» - دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، و«بوذا لهنري أرغون»، و«سرفانتيس لبيار غينون»، و«لا مالارميه لشارل مورون»، و«مديح الجنون لابراسموس»، وله عدد من المؤلفات المخطوطة، منها: «أسباب الثورة اللبنانية»، و«في ملف تاريخ لبنان»، و«رسالة في الماركسية اللينينية». شاعر نائر، مفردات قصائده التحرر والعدل والسلام والثورة. يتخذ من المناسبات الوطنية منطلقات لإعلان مبادئه، والتنديد بأعداء الوطن والأمة. أهدى إلى الشاعر محمد مهدي الجواهري إحدى مطولاته التي تكشف عن توجهاته. التزم الموزون المقفى في قصائده في عبارة محكمة ولغة رصينة.

مصادر الدراسة:

- 1 - أدباء بلاد جبيل الراحلون - المجلس الثقافي في بلاد جبيل.
- 2 - الدوريات: زياد أبي فارس: حسيب نمر، الصامت الثائر الضاحك وشاغل الناس.

وهو شقيق نسيب نمر⁵⁶ الفيلسوف والأديب والصحافي اللبناني. الذي له عشرات المؤلفات المطبوعة والمخطوطة في القصة والسياسة والفلسفة والديالكتيك. أسس عددًا من الصحف ورأس تحريرها منها "الأخبار" و"النداء" و"إلى الأمام" و"الشرارة". ترأس مؤتمر السلم العالمي والمجلس الثقافي في بلاد جبيل. أدرج اسمه في العديد من الموسوعات العالمية. صاحب مقولة "انتقاد بلا عداء وتأييد بلا تبعية" ونظرية "الحقيقة الحقيقية" ومكتشف "فلسفة الحركة الوطنية التحررية" وهي غير "حركة التحرر الوطني". والده حنا نمر داروينية المربي والناقد والشاعر الملحمي والأديب وأستاذ الفلسفة، والدته كفى عيسى نمر، وشقيقه الآخر المهندس والكاتب شكيب نمر، وصهره الأديب والشاعر فوزي سابا؛ وشقيقاته هن حسيبة سابا وسعاد حبيقة ونجلاء الطويل.

قصيدة: شعوب الدنيا

يا شعوب الدنيا رفعت النداء	وجعلت السلام قصداً رجاء
بالإتحاد فلا بد	د، لأطياره تهرّ الفضاء
خافقات الجناح في موكب كالس	سبيل سدّ الأفاق والأرجاء
وطوتها الجبال في رفعة المج	د، فكانت منها أشدّ علاء
ومشت في السهول مختالة مث	ل الأزاهير فتنة غراء
وبدت في الغابات مع وشوشات الـ	فجر فيه الغناء يحدو الغناء

بالبطولات ثورة حمراء
سيلم ينفي العدا والبغضاء
تتهاوى منثورة أشلاء
دي، ولم تبخلوا عليها دماء
حاً شذاه عزيمة ومضاء

زمجرت في الميدان والساح تغلي
وتلاقت هناك مؤتمراً للسند
فإذا بالعقبان والوحش حيرى
قد أخذتم قضية السلم بالأيد
فإليكم تحية الشعر فوا

قصيدة ثورة السلام

ننشرُ الحبَّ والجمالَ البديعاً
كونِ هذي الشعوبُ تُحيي الربوعاً
والغدَّ الحرَّ والنظامَ المنيعاً
م، أراقوا دماءنا والدموعاً
ها، وخضنا الغمارَ نأبى الرجوعاً
يا، ويطوي في راحتيه الجموعاً
ء، ندياً كالزهرِ يأبى الخضوعاً
من يدٍ تحمل السلاحَ الشنيعاً
من حديدٍ صلبٍ يفلّ الدروعاً
نسمةً تملأ الحياةَ ربيعاً

في سبيل السلامِ ثرنا جميعاً
والإخاءَ الذي تمتَّته منذ الـ
والحياةَ الملائى بأحلى الأمانى
نتحدى اللصوص في ملجأ الإثـ
ثورة السلم والحياة فدنيا
في مجالٍ رحبٍ يلفُّ على الدنـ
بيسط الكفَّ بالسعادة سما
إنَّ كفاً مبسوطةً هي أقوى
وقلوباً تثور للسلم أقوى
هي بنتُ الحياة تخفقُ فيها

من قصيدة: الجواهرية

عَبَّرَ تضيقُ إزاءها الأعمارُ
ينقضُّ منّا نائراً ومُثارُ
فهوتْ على حرّاسها الأحجارُ
دَنَبٌ، ولا عاتٍ، ولا أعمارُ
ينهال منها كالبلَاءِ غبارُ
والمالُ يُتخم كَفَّهُ ونُضارُ
يحميه من غضب الشعوبِ صَعَارُ
والعارُ يجمعُ نفسه ويغارُ
صَلْبٌ وفيه تُكَبَّلُ الأفكارُ
تُبْنى لها الأغلالُ والأسوارُ
متخاذلٌ متكاسلٌ مهذارُ
بعضُ الغنى ووراثتهُ وعقارُ
ويعيش لا مأوى له المعمارُ
خمرٍ تشعُّ بكأسه وتُثارُ
ويعيش منها حِطَّةٌ وتجارُ
فتلقفتها العصابة الأشرارُ
يوحى سناها الكادخ المغوارُ
سيشبُّ منها ضارمٌ سَعَارُ

يفنى الزمانُ ويخلد الأحرارُ
الوكُرُ في لبنان نحن بُزائنه
زحفتْ على سجن الطغاة تدكُّه
لبنانُ ما غنيتُ، لا متسلِّطُ
لا زارعٌ في الأرضِ خضَرَ سمومه
الموتُ يمنحُه لقاتل نفسه
دنسٌ على أعلى المراتبِ واجفاً
دفعته للجمع الحرام نقيصةً
بلدٌ يعدب فيه كلُّ مجاهدٍ
حريّة الإنسان فيه جريمةٌ
ويقيم في القصر المنيف منعمًا
ودعامه خلقُ الوضيع وأسه
ويجوغُ صانعُ خبزه متحسراً
ويعدب الساقى، به ظمأً إلى
وصحافة يُفضى على أجيادها
عرضتْ على النحاسِ سقَطَ متاعها
تتكسّر الأقلامُ لولا دفقةٌ
فالنارُ مهما أطفنت بوقودها

كان الغريب مسلطاً بسلاحه
مستعمرٌ يعنو له مستثمرٌ
وجلا الغريب مخلِّفاً بعض الدُّمى
وعصابةٌ كانت كبعض سلاحه
يحمي زبائنها سفيةً أحمقٌ
ينهى ويأمر سارقٌ متعطرٌ
رتع الخنى في ربعهم وتقدّست
إن كان للأغراب بعض ملامةٍ
والداء نهائشٌ بجسمك خارجاً
بئس الطغاةُ وبئس ما جاؤوا به
وإذا غفت عينُ الشعوب هنيهةً
من خان شعب بلاده فُضحت مصا

وسلاحه، فرَّق تسدُّ، وشعار
رفعت له، ودنت هنا الأسعار
من وحي أعداء الشعوب تُدار
خطرٌ نراه، وكلها أخطار
متحكِّمٌ وجماعةٌ فجَّار
في الناس موهوب الثياب معار
مُتَع السِّقال دعارَةٌ وقمار
فاللوم أضعافٌ لهم يُشتار
ما كان كالداء المقيم يدار
جوعٌ على العمّال واستثمار
كان الظلام وسيطر الدولار
درٌ وحيه النائى، وبان ستار.

انتهى



مسير غيبي

يامني الضلالت

دار الك الامام

ك-م-م